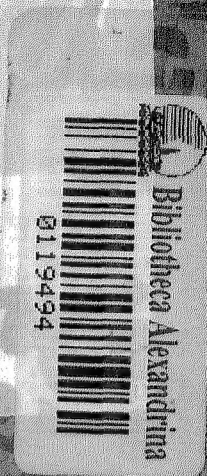


10



حاورہم .. حقیقہ فوزی



# ہفت

حاورہم مفید فوزی



إدارة الكتب والمكتبات

الأخراج الفني : عماد المصري

تنفيذ الغلاف : الفنان طوسون

الرسوم الداخلية : محمد عفت



## الهدايا

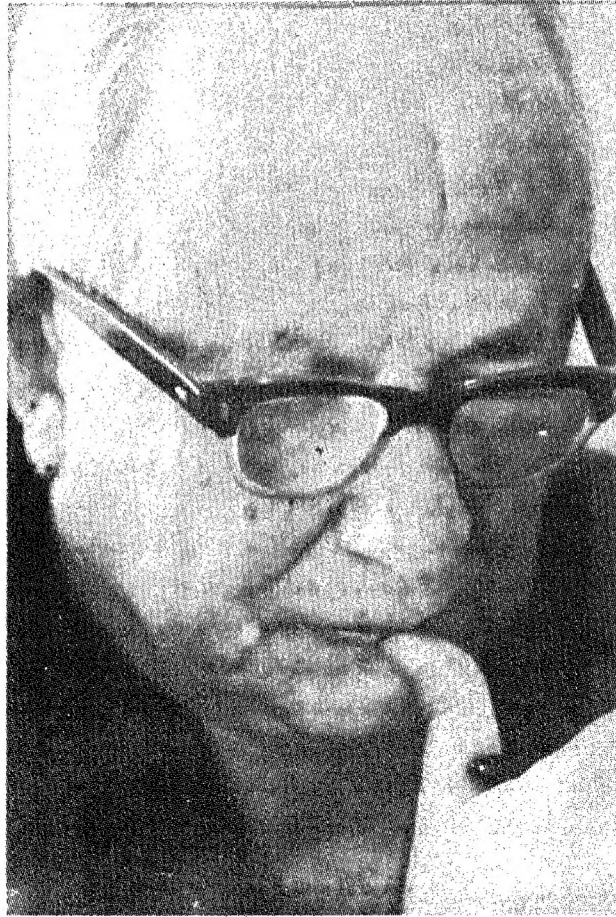
الى مجلس قرائ الصغرى  
 قارئى الاولى امل العوده ، وقارئى  
 الثانية هناء مفيد فوزى  
 واعتذر لراى عبد كل فترة غياب ، اخذت  
 فيها الاجازة في التفرغ للبريه التى  
 صارت حواء الى  
 هذا الكتاب ا  
 نتم هذا عنى قصة حب فيها الموع  
 والمقاء والمواجهه ، والوع  
 والوعيه في الحيا و آخر أو الصد والخطا  
 مفيد فوزى  
 خريف ٩٢



# فی الأدب والفن أنارت !

هؤلاء حاورهم مفيد فوزي - ٥





الأرادة أفضل الفضائل

# يحيى حقي

« .. سأموت يوما ، وأنا  
مستور ، وهذا يكفيني ! »

هؤلاء حاورهم مفيد فوزي - ٧

من الآخرين ، عرفت « الاصغاء الجاف » ، ومنه .. عرفت بل عشقت  
« الاصغاء الحنون » ! وفي ذهني مثل صيني يقول الاصغاء الجيد ، حديث  
جيد !

له في نفسي مكانة خاصة ، ربما لسبب شخصي بحت ، فضلا عن مكانته  
المرموقة في شارع الأدب ، وتميزه الخاص جدا في « عطفة » القصة . أما ذلك  
السبب الشخصي فهو انني اذكر جيدا عندما قابلته في فجر حياتي العملية ،  
معاورا . أيامها لم أكن أحمل شيئا سوى قلم حبر . وكان يعجب على أسئلتي  
وهو يذكر اسمي « المتواضع » . فكان رنين اسمي على اذني يمس شغاف  
نفسي ويداعب أوتار غروري المبكر !

الكاتب الفنان : يحيى حقى ، ومن سواه ؟!

حين جلست إليه منذ أيام أحاوره . صمت وقال : أنت تطلب مني أن أتحدث عن  
نفسى . يا لها من لذة ساحرة تواضعها زائف ! على أى حال ، صورتى .. هي جلسة  
أمام فوتوغرافي محترف .. يسلط على أضواء أعشى لها ، وقد أعوج رقبتى لكى  
تعتدل في نظره وربما ابتسم بلا سبب . أما صورتى في هذه الأحاديث فهي مأخوذة  
كما ترى خطفا ، أحيانا وأنا في مبادلى ، فهي أصدق !

## □ كاتب « خليفها على الله » يحيى حقى

وقلت ليحيى حقى ، ربما لاغرانه أكثر على الحديث « تبدو سعيدا » .  
قال « لا ولوج إلى ساحة السعادة - فى اعتقادى - إلا من أحد أبواب ثلاثة :  
الايمان ، والفن .. والحب . لا شئ يشع بها مثل الخشوع الذى أراه فى المعابد .  
وإذا كان الحب هو أكثرها التصاقا بالصلصال وبالزمان والمكان والصدف ، فإنه  
شرط ارتفاع الانسان عن مرتبة الحيوان ، وكان الايمان أكثرها طموحا لأنه يطلب  
الله لا الناس . الخلود فى الآخرة لا العبور فى الدنيا . وسيبقى بعد هذا ، الفن  
وسطا جامعا للطرفين ويا لها من منزلة » .

وقلت ليحيى حقى وهو يعطينى اصغاء حنوناً ويضع يده على اذنه ليلتقط كل  
ما أقوله وكأنى أنطق الدرر ..

لست أدري لماذا أشعر أنك أب للقصة ، فأنت تحنو عليها وترعاها ونحس جميعا  
بأبوتك لها وأنت رجل عزوف لأنك فنان حقيقى . ولهب الفن لا يغيب عن محرابك  
ويعجنى قولك : اننى ممن يدخلون معبد الفن من أشد أبوابه ضيقا ، ولهذا كنت من  
المقلين ، أسمعهم أحيانا يعيرون هذا على كأنهم يطلبون منى أن أكون من المدلسين وأنا  
يكفينى الصديق . وأحس - إذا أذنت لى - أن القصة عندك ليست ترفا شعوريا ، إنما  
غاية . والغاية هى الاعلاء من شأن الارادة وجعلها أساسا . فأنت ترى أن الارادة أساس  
لكل الفضائل . يستوقفنى هذا المعنى كثيرا .

ويتسلل صوت يحيى حقى بنعومة وبأبوة ليقول « صدقنى يا مفيد أن العالم  
عندى معركة ولا بد لنا من خوض هذه المعركة بسلاح الارادة » .

وحين قلت : كيف كنت دبلوماسيا ، يوما ما ، ولم تستغلم سلاح الدبلوماسية فى  
معركة الحياة ؟

ضحك وقال : ما كنت دبلوماسيا فى نقدى ، أو عرضى للتجارب الفنية . أطلق  
ما شئت عليها من أوصاف . قل أمانة ، قل ما شئت لكنى أقول ما أحس  
وما أرى ، وأجرى على الله !

أقول ليحيى حقى : تبدو كالنهر العظيم عند المصب . ورؤيتك لأعمالك عبر  
التدفق .. تثير فيك الشجن ، أليس كذلك ؟

يقول يحيى حقى بصوت فيه ارتعاشة التواضع الجم : قولك كالنهر لحظة  
المصب تزيد أشجائى لأجدال . ولكن هل يليق للكاتب أن يتحدث عن أعماله . أنا  
لا أريد أن أستعمل الكلمات الطنانة وأقول أن مبادئى ترفض ذلك . إنما أقول أن  
حساسيتى تنزعج وتضج من ذلك . ومع ذلك استجيب - رغما عنى - لطلبك ومن  
يدرى ، ربما صار ما أقوله الآن مرجعا .. حين أسكن التاريخ . نحن مهتمون فيما  
أنتصرون بتاريخ أدبنا الحديث ، ويجب فى نظرى أن يستمر البحث ولا يكف . ولكن  
مما يحزننى أننا ننتشغل بأنفسنا حتى يسقط منا سهوا ما هو غال ! هل تسمع عن  
اسماعيل مظهر ؟ اسماعيل مظهر الذى كان رئيسا لمجلة العصور . الذى كتب  
القاموس الانجليزى العربى . الذى كان من أوائل المنادين باتخاذ النظرة العقلانية  
فى أمور حياتنا . هل يتذكر أحد اسماعيل مظهر ؟ هل يعرفه الشباب ؟ هذه سيرة  
تعتبر من القمم الأدبية الكبيرة ولا أحد يدري حتى .. أنت ! هل سمعت عن  
« حسن محمود » الذى كان لصيقا بطه حسين ، وكان مديرا لمكتبة الجامعة ورئيسا

لتحرير مجلة الكاتب المصرى . لقد أشدت مرارا وتكرارا بقصة له اسمها « الجدة الصغيرة » تعتبر في نظرى من روائع الأدب الحديث . هل سمعت عن « وسيم خالد » الذى كتب عن تجاربه في الجهاد ، ووصف لنا ، كيف أمسك بالمسدس لأول مرة ، ومعنى الحوار بالكلمات ، ومعنى الحوار .. بالرضا صا ! على أى حال عزائى اننى ذكرت أسماء هؤلاء في كتابى « فجر القصة المصرية » فصارت أسماؤهم تتداول في كتب النقد . تكلمت عن مصطفى عبدالرازق في عطر الاحباب . ومازلت أراه قيمة أدبية ومازلت أناشد النقاد الجادين : هذا أول الخيط ، خذوه واتبعوه وادرسوا مصطفى عبدالرازق لأنه لا أحد يعرفه من بين كتاب القصة . لقد سئمت الكلاشيهات ليس من المعقول أن يقول انسان بشكل تقليدى كأنه كلاشيه محفوظ ( اقرا لطف حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ) . نحن محتاجون لهذه « الحفريات الأدبية » وحديثى هذا ، بمثابة شهادة .

تسبب يحيى حقى من الاستطراد المشحون بالحماسى . ولم أشأ أن أقاطعه . بيد أنه عاد يقاطعنى ، وكأنه أمسك بخيط . ما زال يشده من ذهنه المتوقد ، رغم العمر ، ورغم الرأس البضاء ورغم شكوى الجسد وإن لم يفصح عن الشكوى !

قال يحيى حقى في أوربا - يا مفيد - هذه الشهادات كثيرة جدا . إما عن طريق الكتاب . المؤلف يكتب كتابا أو يدلى بحديث طويل طويل للصحفى ، يستجوبه . خذ مثلا : الموت في فينسيا لتوماس مان . ليس العبرة في هذه القصة أنه راح لفينسيا والطاعون ومات الولد . لا . هذا الكتاب يعبر عن كاتب أحس في يوم من الأيام ، أنه يكتب كلاما مرصوفا لا يعبر عن أعماقه وشعر أنه هبط الى مستوى نفاق القراء . وفرد في لحظة الا يخذعهم . فكيف يواجه هذا المأزق . ذهب الى فينسيا وواجه الطاعون وانتحرا ! وخذ مثلا آخر ، لقصته « تونيرو تروجر » لقد أعجبتنى فترجمتها . انها صورة لمعاناة الفنان في الحياة الاجتماعية . الشاعر ، كيف يعامل الناس ، وكيف يعاملونه . ليس في الكتاب حدوته ، ولكن هناك وصف رائع لمعاناة انسان وصدماته !

قلت ليحيى حقى : جنت أسأل النهر عن ( أعماله الأدبية ) فراح يعددلى أعمال الآخرين !

قال وهو يبتسم : حديثى عن الآخرين ، بمثابة الشهادة . ومن يدرى ، ربما كنت أقاوم الحديث عن نفسى . ومع ذلك أنا يا سيدى - في لحظة المصعب كما قلت - اعترف أن لى ١٦ كتابا لو جمعتها معا لما زاد حجمها عن حجم جزء واحد من الثلاثية . ولقد ظهرت هذه الكتب في طبعات رخيصة .. وتلقى بعد القراءة على الأرضة وعزائى انها قرئت ، ثم تجمع . فكان من النادر أن تدخل مكتبة ، نعم اعترف لك أنك لا تجد لى كتابا في مكتبة . ليس مثل هذه الكتب ما يمكن أن يسمى كتاب رف مكتبة !

هل تتصور اننى عانيت في النشر كثيرا ؟

ألقى لى يحيى حقى باعتراف ، فما كان منى إلا أن قلت « عد الى الوراء بذاكرتك » .

فقال : كنت أرسل الصحف بالبريد . وكنت بعيدا عن العاصمة . نشروا أغلب



قصصى قبل أن يرونى . كنت أضغ فيها عصارة قلبى ، وأدفعها فى صندوق بريد كالح . لكنى كنت أقرؤها بمتعة . وحين جئت أطلع أول كتاب « قنديل أم هاشم » وجدت صعوبة كبيرة . وظللت أحمله وأطوف به .. حتى شعرت أن الكتاب قد تعذب ، وبدأ يشكر كثرة الطواف به .. وعذاب المرور على الناشرين . وكاد يتركنى ، أذهب وحدى دونه !! لولا أن الدكتور طه حسين كان يعرفنى وكان يشرف على دار المعارف وصديقى محمود شاكر ، تضامن مع طه حسين ، وقلما يتضامن .. وأوصى بى خيرا وأخيرا قبلوا طبع الكتاب . وربما شعرت أن الصفحات كانت « تزغرد » وهى فى طريقها الى المطبعة !

أعترف لك ولشبان الجيل الذى لم يعرفنى بعد . اننى كنت أرسل للناشر ، مسودات قصصى ، وكنت اكتشف أنه يختصرها للنصف ! ومازال عندى مادة للكتابة . فهل يمهلى العمر . لا أدرى ! لكن الواقع - وأنا أعترف لك ولشبان الجيل الذى لم يعرفنى بعد - أجد نفسى أعبر عن حزنى الشديد لما تعرضت له كتبى من اعتداء !

قلت همسا : اعتداء ؟! تقصد سرقة . إعادة نشر دون علمك ؟  
قال بأسى : ليت الاعتداء كان كذلك ! لكنه اعتداء من المصححين . خرج معظم ما كتبت مشوها . وهذه نكبة لتراثى الأدبى الذى لم يسلم منه إلا جزء يسير جدا .  
قلت ليحيى حقى : كتبت مرة تقول أنك تضيق بشدة عندما يقول أحد أن القصة مجرد حادثة جنائية . والحقيقة أنه لا علاقة بين القصة والحادثة الجنائية .  
قال النهر : القصة عندى ، موقف . لحظة . تأمل . شعور .

قلت : والقصة عندك « وعاء فكرى » ؟  
قال بسرعة : أرجوك أحمنى من الكلمات الطنانة . فأننا انسان وبى ضعف ! ربما قصدت اهتمامى باللغة . وأنا أعترف لك فى لحظة لا يستحب معها إلا الاعتراف بمثابة الشهادة اننى فى قصصى - يا مفيد - أردت أن أحول الاسلوب العربى من الزخارف والزيادات والرنين وأشياء أخرى من هذا القبيل الى التزام الدقة المتناهية بحيث لا تستطيع أن تستبدل كلمة بأخرى أبدا ! لك أنت ككاتب بالمعنى لا بالكلام . انتهاز فرصة حوارى معك لأقول للكتاب الناشئين : راعوا المعنى لا الكلام . لاى كاتب يحاول السباحة فى بحر الكتابة أنصح « ماتكتبش ببك » !!  
أريد أن أقول أن الرنين والبلاغة اللغوية خطر ، مطلوب أن يجدوا المعنى ، فيجب ألا يكونوا خاضعين لسيطرة الرنين والجرس . اننى أحيانا أسرح وأتأمل . وأفكر ! لقد ثبت علميا كما تعرف أن أوتار الحنجرة لا تكف عن العمل حتى ونحن صامتون نفكر . ومن المؤلم فى تاريخ الانسان على الأرض أنه لا يستطيع أن يفكر إلا من خلال لغة ، كان الأمل أن يتجاوز الفكر .. اللغة ! ان اللغة قيود . هى التى حبستنا فى قفصها ! هل يحبس الفكر داخل القاموس ؟ اننا نفصل بين الأوتار والأذن . أنا أقول لألم الموضوع ، فلنلتزم بالمعنى ، وبعد ذلك سيأتى الجرس الموسيقى على مهل !

قلت ليحيى حقى .. كيف أحاورك وأنسى ترجماتك ؟! لقد سبحت فى بحار الترجمة كثيرا .. ووصلت الى شواطئها !

## □ الارادة أم الفضائل

قال : بالقطع ، لن تنسى . وربما يسقط منك ذلك سهوا . وإذا نسيت سوف أغضب لماذا ؟ لأن الترجمة في رأيي ، خدمة للغة العربية . الترجمة نافذة . رؤية ، وممارسة للغة . أحيانا وأنا أبحث عن المعنى الذى يطابق الكلمة الانجليزية ، أخبط رأسي في الحيط . انه الالتزام .. لا التدليس على القارئ . ولعل أسوأ ما نعانیه الآن ، هو هذه المترجمات الركيكة ! وأعترف لك ان ترجماتي أيضا ، فتافيت . ماذا افعل ؟ الدنيا ظروف !

قلت ليحيى حقي وأنا أركب موجة اعترافاته ان صح التعبير : لماذا لم يكتب يحيى حقي رواية طويلة . هل نفسك في القصة قصير ؟ ضحك يحيى حقي ، وأسند رأسه ، وقال : لم يحدث لي أن كتبت شعرا - يامقيد - ولم يحدث أن كتبت رواية طويلة ا حتى « صح النوم » مجموعة لوحات .. لأن الانسان يجب أن يلتزم الصدق . يخل الى وأنا أفكر معك بصوت عال ، ان ميلي بالغريزة ليس إلا قص حكاية ربما أجد في هذا عملا غير مرئي . قد أضيق بالتفاصيل . من يقول لي انه نزل من المحطة وشال الشنطة وخرج من المحطة ونادى سواق تاكسي و .. و .. هذه اشياء أضيق بها للغاية . أنا أحب وصف الشخص ووصف المكان . أنا تحولت من القصة القصيرة لكتابة ما أسميه اللوحات لكي تكون عندي حرية التعبير دون أن أكون مقيدا بحكاية وتفصيلها ! أنقد نفسي بنفسى . بيدي لا بيد عمرو !

يحيى حقي ، يهتمونك في الوسط الأدبي انك ناقد تأثري ! رد بسرعة : لا مانع . دعهم يهتمونني . أنا لا أستطيع ان أفصل في هذا الموضوع لأنني لم أدرس النقد في الجامعة ، ولا تحتوى مقالاتي النقدية على مصطلحات علمية من تلك التي أصطلح عليها النقاد . أنا أعتبر النقد عملا أدبيا . النقد عمل أدبي ينبغي أن يقرأ بلذة . النقد ليس صنعة وليس محاضرة . الذى يريد أن ينصفني يقرأ « خطوات في النقد » يجدنني أقول : لا لزوم لأن أتقيد بمذهب واحد في النقد . البعض يقولك : لا .. لازم ! أنا أزعج ان الكتاب هو الذى يقود الناقد إلى المدخل الذى ينتقد به .

قلت : النارس لأدبك .. سيقول انك « تمجد » قيمة الارادة . وان من يتعرض لقصصك بتجسيدها للسينما أو التلفزيون لابد وأن « يسيد » هذه القيمة .. قال يحيى حقي .. حرصت ان أحذر من فضيلة سلبية . عندما يقولون فلان هذا رجل طيب . ماذا يقصدون بالطيبة ؟ هل هي الضعف ؟ هل هي الغفلة ؟ هذه ليست فضيلة ! ربما كانت الطيبة نتيجة انك رجل لا إرادة لك . ومن هنا ، أرى ان الارادة أم الفضائل وأفضلها . وتتبع هذا في قصصى « نهاية الشيخ مصطفى » و « أم العواجز » و « السلحفاة » ! اننى أرى الارادة تتبلور في القدرة على الجذب . فكل منا خزانة مغلقة لا يعرفها أحد . وسر الحياة في الجذب . قلت مرة في احدى قصصى « لم يكن له ارادة ولم يكن له قدرة على شىء » . كان عاجزا . عجزت يده عن الامتلاك . . اننى هنا ، أصف أشخاصا

تضيق منهم محافظهم وأموالهم وزوجاتهم لافتقارهم للقدرة الإيجابية على الجذب .

قلت ليحيى حقى .. لكنت تعزف ، وفي العزف .. نغمة ساخرة !  
قال وهو يهز رأسه : ربما لأن من صفاتي الشخصية التنبيه الدائم لمفارقات الحياة ، وأول هذه المفارقات جبروت الانسان وضعفه في آن واحد . وكان رد الفعل في نفسى ، نغمة السخرية الواضحة في كتاباتي !  
قلت : أكاد أحس ان رواية « صبح النوم » هي أحب أعمالك الى نفسك ؟  
قال ليحيى حقى : اذا أردت شهادتى قلت لك نعم . لأنها باختصار تطبيق صارم لمبدأ التزمته به وهو الدقة والعمق في اسلوب الكتابة .

قلت ليحيى حقى : لماذا تكتب ؟ ما غايتك من الكتابة ؟  
قال وهو يتنهد : أرفض اللت والعجن في الكتابة . واذا حدثتني عن الكم والكيف في الكتابة ، قلت لك هذا يتوقف على ثراء الكاتب في اطلاعه على اللغة . فإذا كان لدى هذا الكاتب « منجم » لغوى سار الكيف والكم معا ! لكن غايتي الحقيقية من الكتابة أن أضع القارئ أمام احساس بالفن . فإذا تملكه الفن ، استطعت أن أدعوه ليغير حياته ! الفن يا سيدى يلعب دورا في حياة الانسان ليس ببسيط . الفن أقرب الطرق الى الدين . صدقتى . الفنان أقرب الى الله . صدقتى . الفنان حتى وهو يكتب عن أشياء كونية . يقربك من الله . ويبصرك بالجمال . وعندما أتكلم عن غايتي من الكتابة ، لا بد لتكتمل شهادتى ان أقول لك عن ينابيعي ! من أحد ينابيعي ، صعيد مصر الذى جعلنى أتعاطف مع الحيوان وأذكره بالخير في قصصى . ومن هذه الينابيع ، الأضرحة والأحياء الشعبية التى عبرت عنها في قنديل أم هاشم . واكتشفت ان نداءات الباعة ودقات أطباق يانثى العرقسوس تستحث القدر على الرزق !!  
تتواري أسنلتى ، ولا أسمع سوى صوت يحيى حقى ..

يسعدنى كائنسان أن يعمنى سلك كهربائى مكشوف اسمه ، الفن .

للأسف ، المدرسة « أماتت » يدى . هذه شهادتى عن التعليم في زمانى ، حيث كان الضرب على اليدين والقدمين بحد المسطرة .. مع ان اليد جزء من ذكاء الانسان .

تبكىنى العواطف الجميلة المهذرة .. حتى بدون ذنب من أصحابها !

تزوجت مرتين ، ماتت الأولى ، والثانية زوجة فرنسية ، أعيش معها . وليس في حياتى نقوءات أو مطبات ، واعتبر المرأة رمز الحنان .

فانتى الكثير في مشوارى الفنى ، أتمنى أن أعيش لاحققها ، انها أحلام الكاتب !

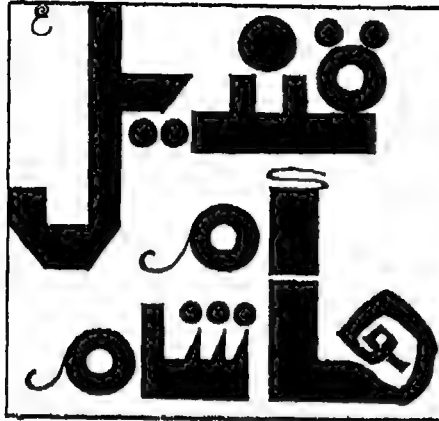
..... ●  
تربويا ، النظرة عندي أكثر تأثيرا من الكلمات !

..... ●  
إذا كانت الألوان مادة الرسام ، فالكلمات واللغة مادة الكاتب وربما كان هذا سر اهتمامي بالقواميس على وجه التحديد وليس هناك لغة خدمت مثل اللغة العربية .

..... ●  
نعم ، ان الجوار من الأشياء يقتل اللهفة اليها ، وربما هذا الذي لمطنت اليه من خلال ترجمة كتاب عن النيل . نراه كل يوم وقد لا نحس به ، فإذا ابتعدنا عنه قليلا ، اشتقتنا اليه . انها المسافة بينك وبين الشيء !

..... ●  
تسألني عن الموت ، أقول لك ، انه شيء لا بد أن نؤمن به وانه أت ! ولحسن الحظ ، يستطيع الانسان قبل أن يموت ان يتهيا الى هذا بأن يتخلص من كل الغرائز والشهوات والتكالب ، ويشعر الانسان انه قادم على لقاء مع حبيب فيستعد للقاء ، وهو أنقى جسدا ! وسأموت يوما وأنا مستور . الا يكفيني هذا !؟

قلت للأستاذ يحيى حقي ابن محمد حقي ابن إبراهيم حقي :  
تعال نختم حوارنا ! لقد شعرت اني أرهقتك !  
قال وهو يسند يديه على عصا افريقية :  
أنا رجل أرجو رحمة الله ، وأن يغفر لي حين أدخل بيته !





# إحسان عبدالقدوس

« أنا يتيم عاطفيا .. »

هؤلاء حاورهم مفيد فوزي . ٥٥

حاولت قراءة « كف » إحسان عبدالقدوس !  
ولأني لست عرافا ولا أحترف التنجيم ، بدت لي خطوط كفه وكأنها طلاس  
تسد الطريق أمامي ، وتردني إلى صوابي !  
الصواب ، هو أن أدق على أبواب خزانته المغلقة وموروثاته المغلفة  
بالسلفان . فمفتاح شخصية الكاتب طفولته .  
طفولته التي قد يفرض عليها . من فرط عذاباتها . « حظر تجول » ، وأحيانا  
يطلق سراحها !  
من « مادة » الطفولة ، يصنع الكاتب « نظرتة » للأشياء .  
فوق لهب تلك الأيام ، ينمو إحساس ما . رؤية ما ، ينضجها الزمن ..  
وتصاحب الكاتب كظله !  
رؤية « إحسان » للمرأة مثلا ، من أي العناصر تكونت ؟ من أي الخيوط  
نسجت ؟  
بطالاته . ما ملامحهن في عقله ؟ لماذا يتصرفن هكذا ؟  
أطرح السؤال ببساطة من يريد أن يعرف ، وليس بتقعر ناقد يبحث بتشنج  
عن المضامين التحتية !  
ولكني أيضا لست « على بابا » الذي يدق على أبواب الخزائن فتتفتح أمامه !  
ولست قارئ كف يتكهن . لابد من شهادته !  
فكيف أثير شهية إحسان عبدالقدوس للكلام وهو إنسان يحيا بالمزاج !  
عصريوم جمعة ، اتفقنا الفنان جمال كامل وأنا . أن نزور إحسان في صومعته  
التي تحتل من بيته المطل على النيل ركنا قصيا !  
جمال كامل يذكر إحسان بشبابه . بمبنى روزا القليم . بقصصه الأولى أنا حرة  
والطريق المسدود والنظارة السوداء ولا تطفئ الشمس .  
جمال كامل يعيد لإحسان . كلما رآه . أيام الصبا والجمال وأبو العينين ، واجتمع  
« جيمي » و « سانو » وكنت أنا لثلهما !  
في سيارة « جمال كامل » . تيقظت ذكريات كنت أظنها نائمة ، ولكنها طفت على  
سطح ذاكرتي وصارت في حالة « حضور » !

بنى سويف .

حبى الأول بالبنطلون القصير . وتذكرت كيف تدخل فيه إحسان عبدالقدوس !  
كنت . بعد . صبييا في مرحلة الحلم والاضطراب . كنت قانعا بالنظر إليها لا أكثر . كنت  
قانعا بالتودد لها لا أكثر . كان أعظم وأقصى ما أتمناه أن تلمس أصابعي فيشتعل صباي  
كله ! لكنها كانت غاضبة من قناعتي هذه ! كانت تود لو أفعل مثلما يفعل أبطال  
قصص « صانع الحب » لإحسان عبدالقدوس ! أهدتني الكتاب ، هالتهمت في ليلة  
واحدة . وقررت أن أقتل أبطال إحسان !

وفي اليوم التالي عرفت أن ابن عمها تقدم لخطبتها فلم أعد أراها . وعدت أنا  
كالفارس المهزوم أكتفى بالتحديق في نافذة بيتها وأنصورها تهل كالبدن من خلف  
النافذة فابتسم . ثم اكتشف أنها خيالات الستارة !

جمال كامل يسألني وكأنه يوقظني من اغفاءة قصيرة ، لماذا ابتسم ؟  
أجتزعه الحكاية ، فيضحك . ويقول واحدة من مائورات إحسان : إن حبك  
الأول هو حبك الأخير !

وصلنا لبيت إحسان .. وكنت أنسى « جهاز التسجيل » من زحمة الأسئلة التي أود  
أن أخطر إحسان عبدالقدوس بها .  
اننى أريد أن أعرف إحسان الذى لا يعرفه أحد . إحسان « الأمس » و « اليوم » ..  
وغدا ! إحسان « الثورة » والتمرد .

بلغت السينما الحديثة التي تختصر المشاهد الزائدة عن الحاجة وتغاطب متفرجا  
ذكيا ، أحاول أن أكون !

إذا كان ميلاد كل منا - كما قال سلامة موسى - مغامرة مع القدر ، فإن ميلاد  
إحسان عبدالقدوس ، مغامرة كبرى !



جلس يحكى :  
قلبه . أخضر ، كغيط شرب ماء النيل لتوه ، وشعر رأسه . أبيض بفعل رسام  
ماهر اسمه الزمن ! لكنه أبدا لا يشيخ !  
يحكى لى .. عن الفردوس الذى لا يتكرر إذا فقدته الانسان .. الأم .

اعترف لك أن حياتى لم تعرف الطبيعية . تخاصمت مع المألوف وتصالحت مع  
الغريبة ، أمى . ليست مثل بقية الأمهات . فقبل أن أولد ، كانت هى فى حد ذاتها  
صرخة مدوية لا علاقة لها بالواقع أو التقاليد . كانت مرفوضة من مجتمعها لأنها  
ممثلة .

وكان والدى مهندسا . أصابه عشق التمثيل فأدار ظهره للهندسة وأصبح ممثلا  
رغم أنف والده القاضى الشرعى المعمم !

وسط هذا الجوار المتزمت ، ولدت ، جئت إلى الدنيا ، وبعد قليل ، عشت فى بيت  
جدى حتى سن الثامنة عشرة . كانت « عمى » هى التى ترعانى فى واقع الأمر ،  
وبدأت غربة حياتى - كما ترى - فى عمر مبكر . ولا تستطيع أن تتردد فى تحليل  
هذه الحياة لأنى من رحم تناقضاتها ، خرجت !

فعلاقة إحساسى . « بأمى » السيدة روز اليوسف ، لا بد أن تستوقفك . كنت  
مرتبطا بها . رغم أنى لم أعش معها . كنت أزورها مرة كل اسبوع وأعود فى آخر  
النهار إلى بيت جدى . كنت أتردد عليها فقط ، ولم أتم يوما فى حضنها إلا مرات قليلة  
تعد على أصابع اليدين ! ورغم هذا الارتباط ، كنت دائما فى معارك مستمرة معها .  
كانت حياتى مع عمى هى التى تشعل فى نفسى الثورة عليها . ففى الوقت الذى كان  
محرمًا على « عمى » أن تجالس رجلا من غير الأسرة . كنت أرى « أمى » جالسة  
بين عشرة رجال .. كالعقاد والتابعى وآخرين !

كنت أتساءل أيهما على صواب . أمى أم عمى ؟ وظل التساؤل يكبر معى حتى  
صار « حيرة » . واعترف لك أن هذه الحيرة مزقتنى فى وقت من الأوقات ..  
وانتصبت العقد فى طريقي كالمباريس ! وحاولت الانتصار على « العقدة » فكانت  
ثورتى . اننى تأثر على وضع أمى ، وتأثر أيضا على وضع عمى اننى أحبهما ، ولكن  
أسلوب حياة كل منهما ليس كل الصواب ! بل بدأت - فى العمر المبكر - أكتشف أن  
الوضعين خطأ . منذ سن السادسة ، والحيرة والتردد يدقان على بابى !

إحسان عبدالقنوس يبحر فى ذاكرته . أرسو معه على شواطئ بعيدة . أقيم معه  
فى مرافق قديمة . أتريض معه فى حدائق ملونة . نصادف زهورا لها عطر وأخرى  
لا تعطى عطرا . نقابل أشواكا تدمى يداه . نقفز فوق قنوات . نتعثر فى أحجار .. و ..  
وما زال « يحكى » ..

« كانوا ينادوننى ويقدمونى للمجتمع على أنى ابن « روز اليوسف » فأنا  
منسوب لأمى علنا . كنت أتساءل بينى وبين نفسى لماذا أنا فقط - انتسب لأمى .  
وأصدقائى ينتسبون لأبائهم ؟ أفلا أحد من الأولاد - فى العباسية - ابن سنية  
هانم أو خديجة هانم أو كانت هذه « عقدة » أعانى منها !

بدأت التفكير فى المرأة وأنا لم أصل حتى لسن البلوغ .. بدأت أفكر ، لماذا  
نتنسب لأبائنا دون أمهاتنا . ولماذا انتسب أنا لأمى . ومن هو هذا الكائن الغريب



المسمى المرأة ؟ فيم يختلف عن الرجل ؟ هل هو مخلوق آخر ؟ من يكون إذن ؟ من هي ؟

ومازلت - حتى الآن - أحاول أن أجيب على التساؤلات . ربما دفعتني هذا لاعتبار المرأة - عندي - كائن مستقل يشغل بالي ويستفز فكري . ربما ! حتى اسمي هو الآخر .. كان يسبب لي عذابا مبكرا . اعترف لك أنني كرهته ! أن اسم « إحسان » اسم بنت . وفي حي مثل حي العباسية ، يصبح لهذه الأشياء حساسية خاصة . كان أولاد الحنة يجرون خلفي ويصيحون : « البنوة » أهه ! كانت الامانة تغيظني وتسبب دموعي أنهارا . وصار اسمي بالنسبة لي « عقدة » أخرى من العقد . وظللت أتساعل بيني وبين نفسي ، لماذا أطلق على أبي وأمي هذا الاسم « الفضيحة » ؟ ربما لأجل هذا السبب وحده أطلقت على « أولادي » فيما بعد أسماء « محمد » و « أحمد » !

ولم أتردد مطلقا في التحقيق مع أبي وأمي ، لماذا « اختاروا » لي اسم إحسان ! أبي قال لي أن جدتي تركية ، وفي تركيا ، يعتبر اسم إحسان من الأسماء الحبيبة الشائعة للأولاد !

والدتي قالت لي أن السيدة الوحيدة التي كانت تقف بجوارها يوم مولدي ، فنانة صديقة لها .. اسمها إحسان كامل ، سميت باسمها تيمنا بها ! والله أعلم . أي رواية من الروايتين هي .. الأرجح !

إحسان عبدالقدوس « يبحر في ذاكرته » . والتعبير مستعار من ديوان للشاعر صلاح عبدالصبور . يحكى - بحماس - بتدفق . جمال كامل يحبسه في فرخ من ورق أبيض . يرسمه مرة « إحسان يتاع زمان » . وكان جمال ، شاءت ريشته أن تتوقف عند هذا العصر . يعيد الرسم وهو يختار الزاوية ! إحسان يعترف . نوبة من الاعتراف .. أشبه بتسجيل سيرة ذاتية . حرف الرء غائب طوال حديثنا ، بالنسبة لإحسان ! وأنا يدهشني أن يتكلم إحسان عن « السيدة روز اليوسف » ، أكثر مما يتكلم عن أبيه محمد عبدالقدوس . كان هناك شيئا ما من « التعتيم » على ذكره !

البحار يحكى ..

« ليس في الأمر أي تعتيم . كل ما في الأمر - بصدق - أن والدتي كانت أكثر غرابة اجتماعيا منه ! والدي كان مظهره المميز أنه مهندس ضحى بالهندسة من أجل حب التمثيل . غرابة والدتي . أنها عاشت معتلة . ثم صحفية . من مهنة إلى مهنة انتقلت بإرادة وتصميم . بيد أن والدي كان رومانسيا وحالما يعيش مع خياله أكثر من الواقع . وكان مرحا لا يكف عن الابتسام .

كان رقيقا ومتفائلا . ولم يكن طموحه سوى طموح فني ! كان هدوء والدي يريحني . وقد لا تعلم أنني ورثت الكتابة عنه ! والدي كان كاتب مسرحيات وأحدى مسرحياته الناجحة كان اسمها « إحسان بك » وكان شاعرا وكان زجالا ، كان كتلة من الأحاسيس ، يصوغها كلمات !

استيقظ صباي على والدي يحملني ويضعني أمامه على السرير ، ثم يطيل النظر في .. ويكتب أحملني هذا - فيما بعد - أن أقلده . أن أحفظ في جيبى دائما بورقة

□ كرهت  
اسمي لأنه  
كان فضيحة  
بجلاجل

## □ أخذت من روزاليوسف الارادة ومن أبى الخيال

وقلم ! كانت هذه أول علاقة تنشأ بينى وبين الورق والقلم . وصارت لعبتى ،  
فهوايتى ، فاحترافى .. فمزاجى !

في بداية حياتى ، كنت أكتب زجلا ، ثم اكتشفت أنى لا أستطيع . وحاولت أن  
أكون شاعرا . ولم أكن أملك أدوات الشاعر وأسلحته . ثم تركت الريح تتولى نشر  
موهبتى .. وترسوبها على شاطئى !

تسألنى ، ماذا أخذت من أبى ، وماذا أخذت من أمى ، أقول لك وشريط عمرى  
يجرى أمامى .. أخذت من والدى « الخيال » وأخذت من أمى « الإرادة » .. فأنا  
حيناً « عملى جدا » ، وأحيانا الود بالخيال ، وأحيانا تنتصر الإرادة على الخيال ،  
وأحيانا يهزم خيالى .. أرادتى ، ولذلك أنا لست ثابتا على حالة واحدة . ومن التوليفة  
هذه ، جنّت !

وأسأل « إحسان » . سمعت من سكرتيرتك الأولى « مديحة » زميلتى في روز  
اليوسف أن والدتك كانت شديدة الصلابة وشديدة النعومة . وروت لى مديحة . كيف  
كانت « تشخط » فيك فتمثل !

وسمعت من « أحمد بهاء الدين » مرة ، بعد أن قدمنى لها لتعيننى محررا في  
صباح الخير في ديسمبر عام ١٩٥٦ .. أن روزاليوسف هى الحلم والواقع في حالة تمازج  
وتناسق .. ما معنى هذا التناقض ؟! إنها محيرة

وتلمع عينا إحسان . فالموضوع . موضوعه المفضل . وأعرف أنه رفض أكثر  
من عرض بانتاج قصة للسينما عن والدته . إيمانا بأن أحدا لن يستطيع أن يرسم  
صورتها .. مثله ! وهو متحيب أن يخوض في دنياها !

يقول الملاح : أمى ، كانت سمعتها الأساسية التصميم على الوصول . منذ  
طفولتها وهى طموح . كان « اسكندر فرح » يرببها ، فنشأت في جو الفن ،  
وصممت أن تنجح . كانت ناعمة ورقيقة . ولم تأخذ الحياة العملية من رقتها  
شيئا .

كان صوتها حتى قبل موتها ، كصوت البنت ! كان صوتها خفيا ، ولكنه  
كان يزلزل الدار اذا غضبت . كانت الرقة الصخرة ! في الفن ، وصلت الى أرفع  
مكانة تصلها ممثلة . وفي الصحافة - والمجال صعب - وصلت وفرضت اسمها  
على الواقع السياسى والواقع الاجتماعى . بعنادها ورقتها ، حققت المستحيل !  
لقد تعذبت أمى ، ودفعت الثمن غاليا من أعصابها .

أذكر أنها اختلفت مرة مع الوفد وأفلست وبيعت ممتلكاتها وحجزوا على  
ثيابها الداخلية ولكنها كانت صلبة .. ولم تسقط في حفرة اليأس . تلك هى أمى  
التي أبحث في كل امرأة عنها . أقارن بين أمى وكل الأمهات . أرى أمومتها على  
البعد ولا أزال أذكر « عندمالقى بنفسى في أحضانها وأنا م على صدرها »  
وعندما أذهب الى المكتب . تعاملنى كائى محرر وتشخط في .. وتضربنى أحيانا !  
من هذه « الحوادث والخواطر » صاغ احسان عبدالقدوس رؤيته للمرأة التى  
« صنع » منها بطلاته !

ان كل كاتب يرى المرأة من « زاويته » . مصطفى أمين . مثلا . رأى صفية  
زغلول في مطلع صباه ، فاحترم كل امرأة ، واعتبرها مناضلة كالرجل .

## □ غرابة حياة أمى الاجتماعية صنعت رؤيتى لبطولاتى

فى التاريخ ، قال برناردشو : ان اعفاء المرأة من الجندية لا يعنى عدم قدرتها على الحرب ، ولكن يعنى تخصيصها لغرض واحد هو انجاب البشرية . ان شو كان يراها « الأم » ولا شيء أقدس من هذا عنده ! ولكن بودلير كان يتعجب حين « تدخل المرأة الكنيسة ، ماذا يمكن أن تقول لله ؟ »

ووالد ويطمان يعترف انه يحب « الشقاء الذى تبسم والعيون التى تذرف الدمع ، والأطفال ، واللاتى يلدن الأطفال » !  
واحسان .. بم يعترف ؟

رؤيتى للمرأة قامت على أسس غير عادية . جعلت علاقتى بالمرأة علاقة قائمة بذاتها . لانى - مثلا - كنت أقيم بعيدا عن والدتى ، فقد كانت لذتى هى فى الجلوس الى « أمهات » أصدقائى اكننت اتكلم كالقطة بجوارهن . وكان هذا الحب الطفولى يملا على حياتى . كنت فى الواقع افتقد الارتباط الدائم بها . كانت أمى « عنصرا شاذا » فى المجتمع ، وكان القول بأنى ابن الست ، نوعا من التشهير ، فانتصرت على العقد بالجهد المكثف حتى أثبت للجميع ان فى أعماقى مواهب كامنة .

لم تكن أمى - بهذا المقياس - نمطا عاديا من الأمهات ، ومن هنا ، كانت بطلاتى غير عاديات ، بطلاتى ، ثائرات وان ظهرن مستسلمات ! المرأة عندى من أساسيات حياتى .. ولكنها لم تكن فى يوم من الايام « كائنا مريحا » ! انها تدفعنى للتفكير الدائم . أريد أن أحدد موقفى منها ، ولانى لم أحدد بعد موقفى منها . مازلت مستمرا فى الكتابة . ومازالت « موضوعا » فيما أكتب ! ولا تنس انى - فى طفولتى - كانت لى شخصية مميزة بوصفى ابن روزا بعكس أولاد عمتى ، كانوا طبيعيين . اننى أحيانا أشعر ان الغرابة الاجتماعية تلد قنانا . وان الحياة المستقرة بشدة تخلق موظفا !

كل هذا جعل « نظرتى » للمرأة .. تحليلية .. فالمرأة عندى حالة تستفز خيالى . لقد كانت أعظم أمنياتى عندما كبرت وصار لى اسم ، ان « أريخ » أمى فى البيت . لكنها ابدالم تستسلم لهذه الدعوة اكننت أريد ان أراها « هانم » . ويبدو ان عقلية « جدى » سيطرت على هل أنا فى أعماقى انسان محافظ رجعى ؟ لا أعرف !

احسان ينادى على زوجته الفاضلة : « يامامى » هى ترد .. « ايوه يابابى » يعيش مع احسان وزوجته ، ابنهما محمد الذى تزوج بنت الشيخ الغزالى وأنجب منها « محمد » وينادونه : مودى ! مودى فى الثالثة ، ويردد أسماء الضيوف ، كلما سمعها مرة واحدة . ذاكرته جيدة مثل احسان فى طفولته !

ان كل فلسفة فى الحياة تبدأ باحساس أو شعور عميق أو مزاج شخصى وتنتهى برأى !

كيف انتهى احسان على رأى فى « اختيار » زوجته ؟ هل كانت مثل « عمته » أم انها امتداد لوالدته ؟ وقد قالت لى مرة سكرتيرة احسان الوديعه نرمين القويستنى ان « أبى احسان مدين فى حياته لاثنين فقط والدته .. وخالتى ، زوجته » .

كيف « اختار » احسان « بطلته » حياته ؟

الملاح - المبحر فى ذاكرته - يحكى !

كانت زوجتى على عكس والدتى تماما . كان أول شرط اشترطه وبدون فصال هو

أن تكون « امرأة لا تعمل » ! نعم . اعترف لك أن عمل أمي حرمني منها . ولذلك شبيت أكره العمل للمرأة وأعتبره ، يسرقها من رعاية أولادها وحنانها الذي لا يعوضه أى حنان !

لقد عشت محروما من دلع الأمومة لأن أمي كانت مشغولة بقضاياها ومعاركها . منذ طفولتي وأنا أكره الأمهات اللاتي يعملن . وفي صباي . ارتبطت عاطفيا بنساء لا يعملن ، أنا - مثلا - لم تكن لي في أى وقت من الأوقات أى علاقة بالفنانات . لأنهن لا يعطين الحب كله والحنان كله لأولادهن اكننت أحلم بامرأة متفرغة للبيت . فالبيت عندي مسئولية وكيان . تصور حتى علاقاتي وأنا مراقب . كنت اختار البنات اللاتي يحلمن بالبيت أكثر من طموحاتهن !

وأرجوك ألا تتصور أن هذا موقف لاحسان من اشتغال المرأة بالعمل . انه موقف شخصي يخصني وحدي . أنا أعتقد أن عمل البيت عمل كامل أن ادارة بيت من أخطر المهام في الحياة . صدقتي ! أن أمي هي التي أعطتني الفرصة للعمل . فلولا مجلة روز اليوسف . لما ظهرت بسرعة . وفي الوقت الذي كنت أعمل فيه ١٨ ساعة . كانت هناك « امرأة » أخرى هي زوجتي مسئولة عن حياتي . عن وقت أفكر فيه . ووقت أنتج فيه . ووقفت استريح فيه ! أن فضل زوجتي على يساوى فضل أمي على .. رغم التناقض . أنا مصمم أن الحياة الزوجية هي تقسيم عمل . الرجل يعمل . في الخارج والزوجة تدير دفة الحياة في الداخل ، وإذا كان البيت غير ناجح انتقلت العدوى للعمل ذاته . أن البيت السعيد ، امرأة متفرغة لبيتها ! هكذا أرى . وأن كانت ( رؤية ) خاصة جدا .

أن بطلا قصتي « استقالة عالمة ذرة » من وحى هذا الرأي ! هكذا ترى أن بطلاتي لسن من العدم . انهن من نسيج فكري ومعاشتي للتجارب ومعاناتي للآلم الذي عشته . فأنا منذ الأزل يتيم عاطفيا .. أكافح في سبيل العواطف ! وانتصر للتفرغ للبيت ! وأبحث عن « أمومة » .

الملاح يحكي عن احسان « اليوم » !

فضل زوجتي على كبير . انها تعرف جيدا كيف « تستثمر » الآلة المنتجة التي هي أنا ، أن صح التعبير !

خذ مثلا صغيرا . أن زوجتي هي التي تمسك بدفترتي وتتعامل مع الضرائب . فأنا لا أفهم فيها شيئا ولا أعرف كم أدفع ! انها تتولى هذه المهمة ليس عجزا إنها - بوعي وذكاء - تريد أن أتفرغ لعملية أخرى .. هي الانتاج والابداع ! أن كل رجل فينا عبارة عن مصنع ينتج ، فلا بد له من « مدير متفرغ » يحسن استغلاله الاستغلال الأمثل . أن النظرية العامة عندي هي أن الست المتفرغة لزوجها تصنع مجده لأنها تشارك فيه بجهد لا يقل مطلقا عن جهد الزوج ! وأسأل احسان في لحظة صمت .. هل لو حلت الحب الذي يربطك بزوجتك ، سنكتشف فيه أمومة ؟

قال احسان بسرعة ويحسم : قطعاً !

علت أقول لكاتب الحب : ما نظرتك التي كونتها عن الحب ؟

يقول احسان : الحب عندي اكتفاء ومسئولية .

□ البيت  
السعيد :  
زوجة متفرغة  
لبيتها تماما

□ زوجتي  
تجاسب الضرائب  
لتعطيني  
وقتا للكتابة

قلت .. هل هو مثلما نراه منادام لاهيت فيه شيء من كل شيء .. شيء من العقل  
وشيء من القلب .. وفيه شيء من الجسد؟!  
قال احسان : نعم أنا أرى انه كلما شعرت بالاكثفاء يكبر داخلك ، كان حبك  
يكبر . لانك اكتفيت به . انك تكتفى بمن تحب ، لانك تجد فيها الأم والأخت  
والصديقة والحبيبة والزوجة كل العواطف تتجمع فيها . لا أحد يحب بعمق  
.. امرأة لأنها جميلة - انه حب ينتهى مثلما بدأ !  
هناك عناصر اذا تجمعت فى المرأة . أعطتها الشخصية الجذابة !  
أما المسئولية . فمعناها ان كلامنا - أنا وحبيبتي - نتحمل مسئولياتنا تجاه  
بعض ! والمسئولية هى الترجمة السلوكية للحب .. الصادق .  
تذكرت عبارة لكامل الشناوى يقول « أنا اشتري الحب بالعذاب » ..  
تجرات وسألت احسان : هل يستطيع « الفنان » احسان أن يعيش فى حب مستقر  
ليس فيه أنواء ؟ حب يلهمك . حب يلهب خيالك؟!  
لم يهرب من السؤال . بل اجاب احسان بصراحة .  
قال : انه ليس حبا ، بالمعنى الذى أفهمه ، الاكتفاء والمسئولية ..  
قلت وأنا أشعر اننى أحاصره . ماذا اذن؟!  
قال : العاطفة مهمة بالنسبة لى .. انها نوع من الغذاء . ومنذ طفولتى وأنا أبحث  
عن « عواطف » أمى واستفزها من مرقدتها ، و« عمى » كانت تهبنى ما تستطيع  
من عاطفة . وأبى « يحبنى » على طريقته الحالية . وأمها وأصدقائى . أخذت  
منهن بالقطارة ، بعضا من العاطفة .. فأنا أفكر بقلبي أكثر مما أفكر بعقلي ، على  
عكس توفيق الحكيم ، انه يفكر بعقله أكثر من عواطفه . ان العاطفة حين تملونى ،  
يتسع أفق فكرى .. وتنضج نظرتى . اننى أبحث دائما عن « الشيع » العاطفى .  
قلت لـ .. سألوه معنى ذلك ، انك لا تستطيع أن تعيش بدون حب . بدون « امرأة »  
تشغل خيالك . اننى أتكلم هنا عن احسان الفنان .  
رد بدون تردد .. عندما أكون فى حالة « فراغ » عاطفى ، أكون كمن لم يستكمل  
كل قواه .. وأنا أكره الفراغ العاطفى !



موعد. ولقاء. وفنجان شاي. وسكارين. وأسئلة. وتساولات. وتردد.  
واجابات. وعطش. وسعال. واعتراف. وكوب ماء. ومغالطات. وذكاء. وتذاكى.  
وكلام. ودخان. وقناع. وأقنعة. وتليفون. وضحكات. وسيرة. ورأى. وصدق.  
وكذب. وريشة. وهواجس. ورسام. وظلال. وكاتب. وقلم. وروانى. وشهرة.  
وحوار. وابحار.

واحسان عبدالقدوس !

« تسألنى - بخبك الذى يرتدى دائما ثياب البراءة والعفوية - اذا كنت قد  
هربت من كتابة المقال السياسى وجحيمة .. الى جنة القصة والرواية . وترشونى  
بكلمات حماسية مثل :

عرفناك الكاتب الشجاع الذى لا يهاب .. والثائر الذى له تاريخ . فربما أنفعل  
وأبوح .. وأثير قراءك ! ولكنهم خدعوك وقالوا لك ان قصصى عاطفية لأنى كاتب  
عاطفى . وهذه شهادة خاطئة . فانا لست كاتباً عاطفياً . وأغلبية قصصى ليست  
عاطفية . فانا عالجت موضوعات سياسية كثيرة . وتطرقت الى موضوعات عبرها  
الروائيون مثل الادارة والتأميمات . ولكن القصص العاطفية هى التى تستريح بين  
يدى الناس وتنام تحت جفونهم . وتأخذ ضجة . فتسمع الدوى .

انا - مثلاً - من أين أتى بأبطالى وبطلاتى ؟ من الحياة . بكل تناقضاتها  
الاجتماعية والسياسية والفكرية . لأن القصة هى الحياة ذاتها . انا لا أصنف  
قصصى بتقسيمات صيدلية ولكنى أترك الأبطال يتحركون بمحض حريتهم كما  
يتحركون فى الحياة ومن هنا الصدق . انا لست مصوراً فوتوغرافياً . ولكنى أقرب  
ما أكون الى الرسام واللوحة والألوان . ان القصة . موقف ما . يتفاعل داخلى  
وينمو وينضج . وربما بعد ثلاثة أشهر . يطلب الانعتاق والافراج واليلاذ ! فانا  
- فى الواقع - لم أهرب من المقال السياسى . لكنى لجأت الى القصة لأنها تتجرد من  
التصاقها بالتاريخ . وتلك حرية كاتب القصة ! أضف الى ذلك انه لا يوجد شيء  
اسمه مقال سياسى وخواطر سياسية وقصص عاطفية وأخرى غير عاطفية . هناك  
« تعبير » عن رأى ، يختار « ما يريد » من الأشكال وقد تنطوى قصة على ما هو  
أخطر من مائة مقال سياسى !

ذاكرتى تذكر قصة لاحسان عبدالقدوس . بطلتها فتاة جميلة تعذبت من ركوب  
المواصلات والمعاناة اليومية . فاستجابت - من فرط العذاب - لدعوة راكب سيارة .  
وتعودت على أن تلبى « الدعوات » وصارت تختار « ماركات السيارات » . ثم أصبحت  
تتخير « نوعية » من تستجيب لندائهم المكتوم من الرجال . واحترفت !  
احسان يقول .. ان كل انسان فى الدنيا يعمل بالسياسة دون أن يدرك لأن  
السياسة ليست حرفة وليست تخصصاً .

ست البيت التى تذهب للجزائر لتشتري اللحمة وتفاجأ بأن الكيلو ثمنه ٢٧٠  
قرشاً . فيعلو صوتها وتغمغم بكلمات غضب . انها لا تشتت الجزائر . ولكنها توجه  
نقداً عنيفاً للحكومة . وهذا صميم السياسة !  
ان الاحساس السياسى كامن فى كل البشر . فيما عدا الوعى . فهو على درجات .

ولذلك فإن السياسة تدخل - بلا تعمد - كل قصصى . ان قصة « أنا حرة » قصة سياسية . والخيط الرفيع . قصة سياسية وان بدت لك انها قصة عاطفية ! وأريد أن أعترف لك أن قصة أنا حرة تصور الحيرة في حياتى . انها قصتى شخصيا . لقد قال هذا نجيب محفوظ يوما . قال أن احسان جعل نفسه « بطلة » لاحدى قصصه ولم يشر للقصة ! وغضبت يوما . الآن - في هذه المراجعة الأدبية - اعترف لك ، بما قاله نجيب محفوظ . ان الكاتب - في أغلب الأحيان - يتسلل دون تعمد الى شخصيات القصة لأنه يفعل ( بجيرانه ) في الحياة ! ان قصة أنا حرة . تصور شبابى . الحرمان . الحيرة . اليتيم !

قلت لاحسان عبدالقدوس : لى برنامج اذاعى أعز به اسمه « أبى من المشاهير » وكان طرف الحوار معى ابنك محمد عبدالقدوس . وكان محمد صريحا ومباشرا وانتقد قصصك وقال انها لا تسير فى المنهج الذى اختاره دستوراً فكرياً لنفسه . ولا أعرف كيف تواجه أنت هذا « التمرد » الفكرى عليك فى بيت يعيش فيه معك ابنك الذى تزوج ابنة عالم فاضل هو الشيخ الغزالي ؟

وصمت احسان وقال : فى أى حوار ، من المهم أن تحترم رأى الآخر . وأساس المناقشة بينى وبين « محمد » هى احترام آرائه التى اختلفت معى فيها . لقد كنت حراً فى مناقشتى لأمى وأنا صغير : فكيف أصدر آراء ابنى محمد ؟ لقد بلغ من ايمانى بأرائى ، أن كانت والدتى تقول لى : أنت كل آرائك ضد مصالحك ! لكنى كنت مقتنعا بطريقتى فى التفكير . ولذلك أحترم آراء محمد ومنهجه الفكرى واختلف معه كلية . ان أية مناقشة بيننا هى « حوار » وليس « خناقة » !

قطع حوارنا رنين التليفون ! قام احسان وجلس على مكتبه الصغير حجما وجرى الحديث التليفونى همسا . تصوريته فى حالة عاطفية . لحظتها يلثم الزهر ويعانق الموج وينام على أصداف البحر ! مرت دقيقة واثنان وثلاث . واحسان يتكلم ويعبث بسيجاره الكوبى . ان التليفون فى حياة احسان كشاطيء بعيد عن العيون . يستلقى فوق رماله . كلما كان الجو سهدا والرطوبة عالية .

انتهت المكالمة . وضع احسان السماعة برهق شديد ، وعاد من شاطئه . خطواته . كرائص باليه قديم .. معتزل !!

وأتأمل الشعر الأبيض فى رأس احسان ، وبعض تجاعيد الزمن التى يتحداها . وأتذكر ما سمعته من الدكتور زكى نجيب محمود : أنت تعرف الشخص من حديثه

### اضافة !

كان لاحسان عبدالقدوس ثلاثة نماذج من الصور الفوتوغرافية صورة جادة جدا وصارمة الملامح . للسفارات والصحف الأجنبية والأجهزة الرسمية ! وصورة ثانية يتطلع فيها للأفق البعيد . وهذه تهدي للشباب الطموح ! وصورة ثالثة فى بوز جذاب . حيث العينين فيهما مسحة حزن وهى تهدي للمعجبات ويكتب احسان عبارة واحدة لكل معجبة : « عشت لى » !

( المصدر : صلاح حافظ )

أكثر مما تعرفه من كتاباته ذلك إذا أرسل كلامه على سجيته ، ولا عجب إذ قال  
سقراط إلى جليس له ذات مرة إذ رآه صامتا : كلمنى لكى أراك !  
لماذا لم تكتب سيرتك الذاتية ؟

قال احسان وهو يضحك : هناك سببان لإحجامى عن هذه المحاولة . السبب  
الأول اننى لا أريد أن أكتب مذكرات لأن هذا من أفعال العواجيز والكهول وأنا لم  
أدخل بعد هذا المدار ! اننى أعيش العمر الذى يجعلنى أفكر فى المستقبل لا فى  
الماضى . وأحب أن « أنتج » جديدا ولا « أردد » قديما . أريما يبلغ بى الغرور انى  
لا أحب أن أسجل بنفسى تاريخ حياتى . بل يفعل هذا الآخرون المنصفون !

السبب الثانى أنا أسجل بالفعل مواقف وتاريخ حياتى فى قصصى ومقالاتى  
وخواطرى انها ليست مكتوبة على لسانى مباشرة ولكنها على لسان أبطالى ! انك  
تعرف الكثير عنى لو أعدت قراءة قصة أنا حرة .. لأنها متأثرة بتاريخ حياتى . أنا  
استغل رؤيتى للمجتمع فى قصصى وانتاجى الأدبى .

سألت احسان عن الكتابة . كفن . كعشق !  
أطرح عليه السؤال وفى ذهنى صيحة ديكنز « الروالى لسان يثرثر كثيرا عن باطن  
الأرض وبواطن الناس وسريرة التاريخ » .

أطرح السؤال وفى ذهنى ان الكلمة المكتوبة « عبر الرواية » تجعلنا نجتر خبراتنا  
الخاصة وتعطينا لمحات من خبرات يحتمل أن نمارسها . رغم ما يقوله اندريه مورو  
وزير الثقافة الفرنسى الراحل .. « حتى مع أعظم الكتاب أمثال دانتى وجيته . يرى  
المراء ان عباراتهم فاترة اذا قورنت بالخبرة نفسها . ان جيته لم يستطع أن يشير الى  
التعاسة والفراغ فى مأساة جركشن ولا يمكن أن يكون جسيم دانتى إلا صورة ضعيفة  
لما كان فى خياله .. »

احسان عبد القدوس يوقظنى من ذبذبات ذاكرتى ، برأيه فى الكتابة . « الكتابة  
هى المتعة الوحيدة التى أنسى فيها نفسى . وحين يغيب عنى مزاج الكتابة ، أتعذب  
وأشعر بالغصة فى حلقى !

أسأل احسان : هل قصدت أحدا بعينه فى قصتك « ونسيت انى امرأة » .. ؟  
احسان يرد .. قصدت أن أتعرض للأخطاء التى تواجه العاملات فى مجال  
العمل الاجتماعى . لم أقصد شخصية بالذات . قصدت « الموضوع » لا  
« الفرد » !

أقول لاحسان : هل تحكم المرأة العالم . كما يقول ثيربرد . فى المائة عام القادمة ؟  
قال احسان : ستصل المساواة بين الرجل والمرأة الى أشواط بعيدة . وليس  
مستغربا بعد ذلك أن يكون رئيس وزراء مصر يوما ما امرأة ، مثل مسز تاتشر ..  
وانديرا غاندى وغيرهما . ولكنى لا أتصور سيطرة جنس النساء على جنس الرجال  
أو العكس ، فهذا درب من الخيال . سيعود التوازن بين الطرفين بعد أن ظل  
مختلا !

أسأل احسان عن شخصيات تاريخية تأثر بها احسان . قادة . مصلحون . حكام .  
احسان يرد لازلت متأثرا بشخصية نابليون !

□ لست كهلا  
لاكتب مذكراتى



سألت احسان : لكنى أنشط حوارى معه . عن أخطاء الحب .  
فلمعت عيناه وأشعل السيجار وقال : فى كلمة واحدة ، أهم هذه الأخطاء هو  
« الأنانية » اقالها وهو يركز على كل حرف فيها . خصوصا انها كلمة تخلو من  
حرف « الراء » الغائب فى استحياء من حوارنا معا !

قلت ل احسان : لقد أصبحت حياتنا وإيقاع العصر يدوس قيم الحب وربما كانت  
هذه الأنانية من افراز هذه الحياة التى صارت جافة وصارت أرقاما فى أرقام . صرنا  
نعيش فى الجمع والطرح بدون قسمة !

أطرق احسان برأسه ووافقنى ، ثم استطرد يقول : ان ما يهدد الحب ويضعفه  
أن يتصور أى طرف من الطرفين أنه يريد أن يسيطر ويستولى على الآخر !  
قلت ل احسان : هل تزوجت فى هدوء كما يتزوج كافة البشر ؟

قال - وهو يبحر فى ذاكرته - أبدا ، لقد تزوجت بطريقة لعبت فيها ارادتنا دورا  
فحين تقدمت لأسرة المهيلمى التى تنتسب اليها زوجتى . رفضت أسرتها لأنى كنت  
بعد خريجا حديثا ولم ابن نفسى بعد . لم تكن المقاييس التى يحلمون بها لأزواج  
بناتهم تنطبق على اقرارنا أن نتزوج دون استشارة الأهل . وكان شاهد الزواج هو  
الاستاذ التابعى ! ان الحب هو التحدى والحلم والارادة .

قلت ل احسان ، ونحن على نفس الوجه . لو جاءك رجل متزوج له أولاد كبار وقال لك  
انه وقع فى الحب وانه يصدد ان يطلق زوجته ويتزوج من حبيبته فماذا أنت قائل له ؟  
قال احسان بضيق شديد : أنا لا أوافق أبدا على التضحية بالزوجة أو الزوج فى  
سبيل مطلب ذاتى . هناك الاكتفاء والمسئولية فى الحب فإذا حدث فى إحدى الكتفين  
خلل ما ، وليكن ذلك فى الاكتفاء . فلا يجب أن تغيب المسئولية مطلقا . فإذا تعرض  
أحد الطرفين الزوج أو الزوجة لأى احساس عاطفى ، مهما كان فلا يجب أن يكون  
على حساب احدهما وبالواقع الزوجى وإذا كان مفروضا ان نضحى . فليضح بحبه  
الجديد !

قلت ل احسان : هل تعتقد ان الخوض فى « الموضوع الخاص » والعلاقة الحميمة بين  
الزوج والزوجة « مشروع » ؟ هل فى مصلحة القارئ اللبيب ؟  
قال احسان بسرعة : انه ترشيد ومادام منطلقا من دعوة أخلاقية فلا بأس ..  
وأذكر انى تعرضت لهذا الموضوع فى باب ( زوجة أحمد ) هل تذكر !؟

إضاءة ..!

كلما قرأت هذا الفصل فى حياة نابليون . أشعر انه يكاد يشل تفكيرى . انه يروى  
موعظة الحياة كلها . انه يقول مثلا « حاول أن تسبق الراغبين فى الحرية الى رغباتهم » .  
ويقول « ليس الحكم مجرد ان تتبع نظرية معينة بل هو أن تبني بما فى يديك بناء  
سليما . فيجب أن يتعلم المرء النزول على حكم الضرورة » .  
ويقول نابليون « لقد كنت ديكتاتوريا رغما عنى والدليل على هذا . انهم كانوا  
يعرضون على من السلطة أكثر مما أردت . وأكثر مما كنت فى حاجة اليه .. » .

المصدر : العدد ١٤٠٠ من روز اليوسف باب أمس واليوم وغدا

قلت لكاتب الحب : هل تحتاج المرأة لكلمات الحب دوما . إن هذا يحتاج لشاعر ..؟  
شاعر يضرب خيامه على شاطئها .

ضحك إحسان وقال : حتى الشاعر لا يستطيع أن يعد لها قصيدة غزل كل لحظة . المهم عندي عدم الافتعال في كل سلوكنا وأقوالنا مع المرأة .  
ذكرني ما يقوله إحسان برأى أبو حيان التوحيدي في الحب . « أفضل كلمات العشاق تلك الصادرة من القلب .. على المدونة المنمقة التي تراعى فيها الأصول وتنزه عن الأخطاء » !

عدت أقول لإحسان : ما لا تغفره لامرأة ؟  
سرح قليلا ثم قام وتمشى في صومعته وأغلق زجاج النافذة فقد كانت الريح تدوى .. وقال وهو يعتدل في جلسته « ما لا أغفره لامرأة ما ، هو الكذب . لماذا ؟  
لأنى أتصور المرأة التي تكذب على رجل هي التي تراه غير كامل وغير قوى .  
ولا يستحق أن يقال له الحقيقة !

المرأة التي تكذب على .. تحقرنى .. أنا أفضل أن أترك امرأة ذهبت إلى غيرى وأنا أتعذب على أن تحدد لي مساحة ما في حياتها . ولغيرى مساحة ثانية ! إننى من القائلين إن « الشك أقسى من الواقع » حين أشك في أن حبيبتي تخوننى فهذا أكثر قسوة من اكتشاف خيانتها بالفعل ! إن المرأة الذكية الفاضلة المحبة الودودة هي التي لا تكتفى بحب رجلها . ولكنها أيضا لا تثير الشك فيه !  
قد تكذب المرأة على الناس ولكنها لا تكذب على حبيبها مطلقا ! إن الاثنين يجلسان على حجارة الثبات والطمأنينة .

سألت إحسان : هل تربطك علاقات صداقة بالفنانات ؟  
قال الروائى : معظمهن صديقات . لكنى أنظر لهن - كفنانات - وأفضل الموهوبات .

قلت لإحسان : أعرف صداقتك الحميمة بفاتن حمامة !  
قال صائحا : قوى !

### ❁ إضاءة ..!

« .. كانت تمر أسابيع طويلة وأحمد زوجى عازف عني لا يحاول أن يقربنى !!  
نحن الذى كان ليلنا كله حارا نشطا تنطلق فيه صواريخ حمراء وخضراء وزرقاء  
كانت لهفة أحدها إلى الآخر لا تفترو ولا تنتهى . لم أياس بعد أن مر على زواجنا سنوات .  
لم أدع أنايتى تسيطر على عقلى وتدفعنى إلى تصور أوهام لا حقيقة لها ، لم أتصور أبدا  
أن أحمد لم يعد يعبنى وأن هناك امرأة أخرى تشاركنى فيه . وتستلهد حيويته .  
إن الرجل عندما يحصر تفكيره في عمله لا يبقى فيه شيء من طاقته الحيوية  
يمنحه لمتعة جسده . ولو حاول أن يهرب من ظروفه لصار مفتعلا ، إن احتياجات  
الحب تتغير مع المسؤوليات الجديدة في حياة الزوجين .. ويصبح الجنس أحد هذه  
الاحتياجات وليس كلها » !

( المصدر : العدد ١٠١٣ من صباح الخير باب أنا وزوجى )

## □ المرأة عندي إمّا ذكية وإمّا قبيحة

أعطيه اصغاني ، فقال .. « أولا أحب أن أحيطك علما بأنني مبتعد أساسا عن الست العاملة لا عواطف بيني وبينها في حياتي لم أرتبط عاطفيا بصحفية أو ممثلة . فائق أعرفها منذ فيلم يوم سعيد . كانت تمثل مع والدي . عرفتني عن طريق زوجها المرحوم عز الدين ذو الفقار . ولما توطدت صلتني بها . اكتشفت فيها الذكاء والادراك والحس السليم في الفن ، لعلمك المرأة عندي ذكية أو غبية . ذكاء المرأة أهم « عضو » فيها . ذكاء امرأة يشدني . وأنا مدين لاثنتين من الذكيات هما أمي .. وزوجتي .. فقط !

قلت لاحسان : حفيدك « مودي » ماذا يضيف لك ؟  
قال « الجد » الوسيم : صار مودي أهم شخصية في البيت . إنه يجعلني مطمئنا الى استمرار اسمي . انه رمز ومعنى . لم أعد أنا وابني فقط .  
صرنا : أنا وابني .. وحفيدي ! أتمنى لو أعيش حتى يتزوج حفيدي وينجب أطفالا . فتصبح متعة أعظم ! ولأنه لم تعد لدى مسئوليات ادارية كثيرة فقد صار « مودي » رفيق الساعات الطويلة . إن عمره عامان . ولكن له نظرة في كل شيء .. وأنا أحترم ذكاءه المبكر . إن حوارنا الصامت فيه متعة خاصة . متعة اللقاء بين « الأصل » و « الفرع » !

قلت لاحسان : وأنت وحدك في هذه الصومعة ألا يسرح فضولك في الرغبة في اكتشاف نساء لا تعرفهن !!

ضحك إحسان وقال : صيغة سؤالك مباشرة . وأنا أعرف فيك ذكاء الصياغة والتسلل ومع ذلك أجيب عليك ! المرأة التي تثير فضولي هي « مارجريت تروودو » ! فإذا كانت أنديرا غاندي . أعجوبة الهند تثير إعجابي فإن مسز تروودو تثير فضولي ! إنها امرأة هيبية مجنونة وأريد أن أعرف جانب « العقل » فيها . فلسنا جميعا مجانين على الإطلاق أو عقلاء على الإطلاق . أريد أن أعرف ما الذي جعلها تدير ظهرا للسلطة والشهرة وتجرى إلى البراري .. والشبان والرقص القدهزت مسز تروودو وليس كندا وحدها .. بل العالم كله لأنها صفت « السلطة » وهي أحد مواطن ضعف المرأة وشغفها وتذكرت نفسها كأمراة ! مجرد امرأة عادية .. لا سلطان لها !  
و .. صممتا !



موعد . وأوراق . ودخان . ونساء . ورجال . وذكریات . وفضول . وطفولة .  
واجترار . وأحزان . وأسرار . وصدقات . وحب . وإضاءة . وجنس . وشهرة .  
وقصص . وأفلام . ونقد . ومال . وإبحار . وزوجة . وضرائب . وفراغ . وحفيد .  
واسم . وحوار . و..

وكان إحسان عبدالقدوس !

يمكن القول ان الكاتب العربى الكبير إحسان عبدالقدوس .  
نزل إلى أعماق آبار المرأة وأقام هناك ، ذلك أن إحسان عبدالقدوس . عبر رواياته  
رسم صورة للمرأة المعاصرة بتفاصيلها الدقيقة ! وإحسان لا يعتبر المرأة لغزا . يقول  
« إن الرجل والمرأة يتساويان في كل شيء والفرق الوحيد بينهما ، بيولوجى ، ولا أثر له  
على شخصية المرأة وخصائصها فمن أين جاء اللغز ؟ » ، وإحسان عبدالقدوس  
بالمنااسبة . يعترم المرأة بشدة . وتسأله عن تأصيل هذا الاحساس فيقول « تربى  
عندى ذلك الشعور من إحساسى بشخصية أمى .. كانت أمى تقوم بمسئوليات رجل  
قوى جدا . لهذا أحترم المرأة احتراما كاملا ولا أضعها في مستوى يقل عن مستوى  
الرجل ! » .

كان إحسان عبدالقدوس يكتب ، حين زرته ذلك الصباح . وربما لم يحس بنا زميلي المصور وأنا . كان عاكفا على الكتابة بخط صغير منمنم وعلى ورق من حجم ضيق . وحين انتهى من الأبحار فوق الأوراق ، أفاق ورفع رأسه وقال لي .

حين تدق الأفكار بابي ، استقبلها بلهفة ، فأننا لا نستطيع أن اعتذر لها ! ثم استطرد يقول : لقد درست القانون ، ربما لأنه ينظم الحياة ، ويعطيني فرصة للتجول في ثقافة العالم العامة . فمن أهم خصائص الروائي أن يكون ملما بالحياة . إن الرواية هي عرض وجه من أوجه الحياة وكيف أعرف الحياة دون أن أجمع معلومات . وهذا هو الفرق بيني وبين نجيب محفوظ مثلا . إن أسفاري وقراءاتي تميزني . ونجيب لا يحب السفر وقراءاته نذهب في إطار آخر ، ومن هنا ، فالأبطال في قصصى غير أبطال قصص نجيب محفوظ ربما يثير فضولك - الذى أعرفه جيدا - أن تعرف ماذا أكتب الآن . اننى أكتب رواية عن سيدة تقوم بعملية تجميل . ومن المهم أن يكون عندي معلومات عن دنيا طب التجميل معلومات عامة تساعدنى على رسم شخصية البطلة . وليس من الضروري أن تحولنى إلى طبيب تجميل !

وصمت إحسان عبدالقدوس ، ووجدت الطريق مفتوحا أمامى لأسأله : هل أنت مع طب التجميل ؟ والسؤال بشكل أدق : هل توافق أن تجرى المرأة عملية تجميل ؟

قال إحسان : أنا مع طب التجميل حين يكون علاجاً لا « ترفاً » ! نعم أنا مع طب التجميل حين يكون علاجاً للحروق مثلا . وقد بدأ طب التجميل في الحروب لعلاج آثار الشظايا والحروق ثم تطور ودخل من باب القرف الشديد ، ولا أوافق مطلقا على إجراء عملية التجميل لمجرد إجرائها . وخذ عندك هذه الحادثة الواقعية وهى تدل على ذبذبة الحب . أعرف أن رجلا أحب امرأة رغم عيوبها الخلقية الصغيرة . رغم أنفها المقوس . رغم صدرها الصغير . كانت عنده ميول شديدة بها وبشخصيتها ومن ثم لم يشعر بهذه العيوب ولم يفكر فيها ولم تخطر له على بال لأن الحب الكبير للشخصية ، يهمل التفاصيل بل ويمحوها ويتجاهل العيوب . وربما اعتبر هذه العيوب مرضية بشكل ما ، لكن المرأة تريد أن ترضى حبيبها بأى شكل . كان كلما نظر لامرأة تصور أن لها أنفا جميلا ، وصدرها جميلا ناهدا ، وقررت أن تجرى عملية تجميل في أنفها وفي صدرها . وأقنعت أنها سوف تسافر إلى الخارج . وكانت هى تدخل غرفة العمليات .. ثم ذهبت لتقابله وتفاجئه . ومن حبه لها لم يلاحظ مطلقا أنها غيرت أنفها أو صدرها ، فصورتها الأولى مطبوعة في رأسه ، وحبه أكبر من هذه التفاصيل . ولفقت حبيبته نظره ! وتنبه الرجل انظر إليها نظرة فاحصة ليكتشف أن أنفها لم يعد مقوسا . وصدرها لم يعد صغيرا .. وثار صرخ فيها : أنا أحبك لشخصيتك لا لأنف أو صدر .. ومعنى هذا أنك لم تكونى واثقة من جمالك أو حبنى يوما .

**أين الخطأ ؟**

ويقول لى إحسان عبدالقدوس وهو يشعل السيجار الكوبى ويرسم بقلم رصاص دوائر فوق ورق أبيض : وصدقتى ، فتر الحب وأصبح في الطريق إلى

## الزوال .

قلت لإحسان عبدالقدوس : ما خطأ هذا الحب ؟

قال بسرعة : سؤالك يفجر قضية هامة . أن ما يضعف الثقة بين حبيبين هو أن ترى مثلا امرأة تحب رجلا لشيء واحد . ربما كان هذا الشيء . ثراغه . خفة دمه . شطارته . فلو كان غنيا وأصبح فقيرا ، اهتز الحب . ولو كان خفيف الدم وأصبح ثقيلًا لأي ظروف ، اهتز الحب . ولو كان شاطرا وأصابته الخيبة . اهتز الحب . وفي كل مرة يهتز الحب ، تضعف الثقة . فالحب المحصور في نقطة واحدة مصيره ضعيف الثقة . ومن ثم الزوال .. ونفس الشيء بالنسبة للرجل ، فإذا أحب امرأة ما لجمالها فقط فإنه بعد قليل سيفقد إحساسه بهذا الجمال ويصبح شيئا عاديا . ولأن الحب في هذه الحالة محصور في عنصر الجمال وحده ، فإنه يهتز . ويفقد الوهج . انا أحب امرأة بكل ما فيها . أحب ذكاءها وشطارتها وخبيثتها ! وهذا حب لا يفتر ولا يختل لأنه قائم على حب الشخصية كلها وليس من أجل « ميزة » واحدة .

فإذا وقع رجل أو امرأة في حب من النوع الذي ذكرته حب « الميزة الواحدة » وضعفت الثقة واختل الحب . وسأل نفسه ، لماذا ذهب البريق وضاعت اللهفة ، عرف السبب ، وبطل العجب !

الشعراء والمفكرون والفلاسفة وصفوا « الحب » بكلمات كثيرة . أحفظ من هذه الكلمات عن ظهر قلب عبارة لا أذكر من قالها وهي « الحب هو أن يسير اثنان في خط واحد ، وأحفظ عبارة ثانية تقول « الحب هو صداقة تصل إلى حد البكاء بعيون الآخرين » . وأحفظ عبارة ثالثة تقول « الحب هو المسرات الحميمة التي تجعلنا نحس بذاتنا » . وأحفظ عبارة رابعة قالتها غادة السمان « الحب كسر لصقيع الوحدة والفربة » .

وأحسان عبدالقدوس ، كيف يرى الحب ؟ طرحت عليه السؤال .

قال إحسان عبدالقدوس : « الحب عندي اكتفاء ومسئولية » . وهذا تعبير وأقوى عن حالة منتهى الحب وليس الحب العادي . في حالة « منتهى الحب » يكون كل من الرجل أو المرأة « مكتفيا » بالآخر اكتفاء مطلقا . والاكتفاء ليس اكتفاء مظهريا ، إنما هو قائم على « الشبع النفسي » . والاعجاب بامرأة ما ، ليس ضد الاكتفاء . فالاعجاب « حالة نفسية » . تذوق للجمال الذي خلقه الله . والمسئولية هي الشعور بالحب لا بالواجب . فالمسئولية المبنية على الواجب مسئولية جافة روتينية ، والمسئولية المبنية على الحب ، مسئولية متجددة ، الرجل المحب لا يتردد في حمل المسئولية . يحملها بحب ويعشق دون أن يشعر أنها واجب مفروض . مسئولية الحب نابعة من الانسان نفسه . سعادة حبيبته هي سعادته وهو مسئول عن تحقيق هذه السعادة .

سألت إحسان عبدالقدوس : كيف أتأكد من حبي ؟

قال : عندما تشعر أنك « مكتف » بامرأة واحدة هي حبيبتك ، وتشعر أنك في حالة شبع نفسي لوجودها في حياتك ، وتحس أنك مسئول عنها بحب وعشق

وليس مجرد واجب تنفذه آليا !

قلت لإحسان : يغنى الموسيقار على لسان رامي « الشك يحيى الغرام » هل هذا حقيقي؟

قال إحسان : أنا أختلف مع هذا الرأي . أنا أرى أن الشك يضعف الغرام وربما يقتله ! فالشك جرثومة خطيرة . الشك أخطر وأصعب من البلاء نفسه . لأن المصيبة عندما تقع تكون قد حددت الأمر . أما الشك فلا يقبل التحديد . الشك يزرع ألف سؤال . الشك غابة من العذاب . الشك يعذب أكثر من أقسى الوقائع . الشك حالة مستمرة تنتهي بالقتل النفسى . والشك يبدأ عندما يهتز الحب ! عندما أحب إنسانة ما . فأنا لا أشك فيها مهما غابت . بالعكس ، إننى أبرر لها هذا الغياب . فإذا اهتز الحب ، فإن أقل تصرف أخذه بالشك ويعذبني الشك حتى ولو كان على غير أساس . الحب الكامل السليم لا يتطرق إليه الشك مطلقا . لقد أحببت زوجتى ٤٠ عاما ولم أشك فيها مطلقا . هناك بالطبع أحاسيس صغيرة وليست شكا . كأن يقول رجل فى سهرة تضمنى أنا وزوجتى كلاما لا يصح أن يقوله . فهذا يحتاج للدفاع . ان ثورتى هنا للدفاع عن احترامى لامرأة أحبها . لذلك أرفض القول بأن الشك يحيى الغرام . اننى أرى الشك كالسوس ينخر فى شجرة الحب حتى يقتلها وينقل الحب من حركة « الدفاع عن النفس » لحركة .. الهجوم . فى بعض قصصى ، انتصر لرجل يقاوم الشك ، أنصحته أن يقطع علاقته بهذه المرأة .. قائلا : أنا أشك فيك .. ولن أراك بعد اليوم !

نعم ، لأن الشك هو « العذاب المستمر الفتاك للنفس » . ربما تسألنى الآن متى أشعر بالشك فى حبنى والأجابة : إذا اختل الحب وضعف ، طفا الشك على السطح . والحل الأمثل أن تقطع العلاقة إذا تسرب إليها الشك .. إلا إذا كنت تتلذذ من عذاب الشك وهذه حكاية أخرى !

سألت إحسان عبد القنوس : ماذا يعطى الحب للرجل؟

قال الحب يعطى للرجل اكتفاء ويعطى للمرأة انسجاما وتوازنا . الحب الكامل استمرار . استمرار للعلاقة بشكل فيه بناء وفيه حافز لقد أعطتني أمى يوما ما الطريق للكتابة ولكن كل مجد حصلت عليه . كان شهادة أقدامها لزوجتى لتفخر بى أكثر . من هذه العلاقة السليمة جاء أولادى « محمد وأحمد » ثم تزوج أولادى . وأصبح لى « أحفاد » .. وأحفادى أهم ما فى حياتى الآن ! أحفادى استمرار لحبنى ولارتباطى ولكيانى كله . الحب يعطى المرأة الانسجام مع نفسها . المرأة - فى الحب - تبدو جميلة . تتألق . وعندما تحرم المرأة من الجمال ، تبدو صفراء وكالحة ! الحب هو الحالة النفسية التى تعطى كلا من الرجل والمرأة إحساس الجمال بالحياة والتكيف معها . الحب حافز كبير يدفعنا أن نغير كل المتاريس ونقفز فوق المستحيلات . الحب يجعلك أقل وزنا يجعلك فراشة هائمة ..!

وقال إحسان ضاحكا : عندما تنتظر للحياة بمنظار شاعر . وتكتشف إنك تتكيف مع صعوبات الحياة وتحس إنك فراشة ، فأنت فى حالة حب !

قلت لاحسان عبدالقدوس : قرأت مرة أن الحب كالثبات الأخضر ، لكي ينمو .. لابد له من الماء والهواء . وبمعنى آخر ، يحتاج الحب للرعاية والحنان والأذبل ومات !

فأجاب : لا يوجد حب يولد كاملا . الحب يولد كالطفل . يبدأ بالاعجاب . ولذلك أقول أن الاعجاب يساوي « وأوة الطفل » . هذا الاعجاب يكبر . وينمو ويتكلم . ثم يستكمل الحب عناصره . لهذا لا أؤمن مطلقا بالزواج من غير حب . فالزواج من غير حب صدمة . كأن حبا نريده أن يولد صناعيا . بيد أن الحب « نموه » بالضبط كالطفل ولهذا يعجبني في بعض المجتمعات المتحضرة الاعتماد على اختيار الولد للبنت .. واختيار البنت للولد . ذلك يتم أمام الأهل ، في النور . والشرع نفسه اعترف به في صورة الخطبة . الخطوبة تجربة شخصية لولادة حب بين ولد وبنت . فهما - شرعا - يحاولان أن يصلا بالحب إلى الاكتمال ، ويحققا نظرية « الحب واقع ، قانون الزواج » الحب هنا ، ليس لعبا ، ولا شهوة ولا تسلية ومن هنا تنجح هذه الزيجات . واعترف لك أن أولادى تزوجوا بهذه الطريقة .

عن الاحترام في الحب ، سألت إحسان عبدالقدوس ؟

فقال لي الاحترام أساس الحب . أنت أولا تحترم امرأة ما ، وتعجب بها ، وهي أيضا تحترمك وقد تبادلنا الاعجاب . ثم يولد الحب .. وينمو فالاحترام في الحب هو أساسا احترام ذاتي . إنك تحترم حبيبك وكأنك تحترم ذاتك .

قلت : وفي الخصام والخلاف ، هل تقف مع « الكبرياء » ؟

قال إحسان : الكبرياء من سمات الشخصية والكبرياء موقف وليس « عنطرزة » أو عنادا . الكبرياء الذي يعيد « وصل الحب » ، كبرياء أقف معه لأنه يعبد الحب - بعد الخلاف - إلى صفاء فيه احترام ، ولذلك لا أقف مع « العناد » لأنه يدمر الحب ويقتله . تسألني ، متى تستخدم كبرياءك في الحب ؟ الإجابة : عندما يستدعي الأمر موقفا محددا من هذه العلاقة . قلت لاحسان : هل الحب فن أم إنه إحساس تلقائية ؟

قال : أنا مع التلقائية ولست مع الافتعال . أنا مع ذكاء العقل المنطقي . أسخف ما في الحب التخطيط والافتعال . أنا لا أتصور الحب « بمكياج » ، لابد أن تراني حبيبتي في أسوأ حالاتي وأراها في أسوأ حالاتها . فإذا تأثر الحب ، كان ضحلا نعم ، أن مقياس الحب هو تحمل الأخطاء والعيوب . فإذا لم تحتملك حبيبك أو العكس ، فالحب بينكما ليس كاملا . أنه حب قائم على « المكياج » فلما زال « المكياج » لم يحتل أحد الطرفين الآخر وأنا لست مع التلقائية الساذجة . أنا انتصر هنا ، لتلقائية « ذكاء القلب » . إن بطلاتي مثلا يتصرفن بعفوية شديدة . وهذا يجعلهن مرغوبات في نظر الأبطال الرجال . وعندما يتصرف « أحد » أبطالي بتخطيط محكم . فإن بطلتي تكشفه وتجعله يحس أن التخطيط في الاحساس لا يجدي . ومن هنا ، فأنا لا أؤمن أن الحب فن له قواعد . الحب حالة ، تزورك أو لا تزورك ! تسألني : كيف أعرف بالزيارة ؟ . أقول لك : تجد نفسك متحمسا للحياة ، متكيفا معها ، تفكر كطفل



وتحدث كشاعر وتهيم كفراشة !

سألت إحسان عبدالقدوس عن « الغيرة » !

فقال إنها ضعف بشري وارد في الحب . فالحب في صورته العليا عطاء . وفي صورته الواقعية أخذ وعطاء . ومن هنا ، تولد الأنانية ، فإذا اعجبت حبيبك مثلاً بمطرب . فلهذا الاعجاب حدود . فإذا وصل هذا الاعجاب الى حد تخشاه . فهنا تندلع الغيرة .. وتنهش فيك ! المهم هنا أن تضع حبيبك اعجابها في إطار . لا يثيرك . وأحياناً تتعمد المرأة أن تثير رجلها ليغار عليها . ذلك يحدث حين تدخل معه معركة ، تشعر مثلاً أنه معجب بامرأة ما ، فتزد على هذا الشعور بادعاء الاعجاب برجل آخر ! وإذا كانت « الغيرة » مشاعر ضعف واردة ، فإن « قليلها » يفيد العلاقة ، وكثيرها يدمرها عن آخرها .. حين تصبح الغيرة مشاعر مرضية شرسة !

والغيرة في هذه الحالة تجعل من البيت معركة ضارية . والحب المتكامل هو لقاء جميل للتخلص من الوحدة ولتحمل المسئولية المشتركة . والرجل الذي يعيش في بيت تديره زوجة يحبها وتحبه ، مختلف تماماً عن من يعيش في بيت تنشب فيه « المعارك » لأسباب تافهة في أى وقت .

قلت لإحسان عبدالقدوس : هل يموت الحب ؟

قال ببساطة لا تخلو من دهشة : الحب مثل أى شيء فى الحياة . فربما كان في منتهى العافية ثم تقتله مفاجأة ما !

سألته : كيف يتغلب رجل وامرأة على « الصدمة العاطفية » ؟

قال : بالصلاية وقوة التحمل . الصدمة العاطفية ليست نهاية كوارث الدنيا .

قد يفكر الرجل في قتل حبيبته الخائنة مثلاً . وقد ينتحر ولكن بتفكير واقعي لابد أن يرفض هذا المنطق . سيقول لنفسه : سأتعذب ستة أشهر وبعدها أعود إلى نفسى متحرراً من هذه المرأة . هذا يعتمد على قوة التحمل وحسن استخدام العقل .

قلت لإحسان عبدالقدوس : ماذا أردت أن تقول في قصتك الشهيرة ، « ونسيت

أنى امرأة » ؟

قال : أردت أن أقول ان المرأة تغطي عليها أحياناً أهدافها الشخصية وطموحاتها . فتهمل انوثتها بل تتجاهلها وربما تنساها . إنها تحلم مثلاً أن تكون صاحبة أكبر محلات ملابس أطفال مثلاً . وتستغرقها هذه الطموحات مما ينسبها مطالب انوثتها . فالرجل بالنسبة لها « أداة عمل » يمكن أن تشغله عندها أو تشاركه ، كل ههما هو طموحها . ويصبح إحساسها كأنثى ، طارئاً ! وفي لحظة ما ، تتكشف أمامها الحقيقة . وربما يأتى هذا الاكتشاف متأخراً . وفي قصتى استغرقت البطلة في طموحاتها السياسية والاجتماعية حتى جفت كامرأة . ولم تعد تتفرغ لانوثتها . وكأنها تعادى الطبيعة ! أما الزوجة التى ليس في ذهنها غير زوجها ، فاحساسها الدائم بأنوثتها ، لا يفتر !

سألت إحسان عبدالقدوس: هل تعجبك « المرأة الآلية » التي تصورها  
المسلسلات الأمريكية على أنها قادرة على كل شيء؟  
قال الكاتب الكبير: أجمل ما في المرأة ضعفها . وفي ضعفها الانثنى تكمن  
قوتها . والمرأة الآلية . مجرد تصور ليس واقعيا . وأنا أكتب في الحب مثلما  
أكتب في السياسة بمنتهى الواقعية .  
وصمت إحسان عبدالقدوس .  
ويبدو أنه نزل إلى أعماق أبار المرأة مرة أخرى ليزداد معرفة بمجاهل عالمها ،  
وربما طرقت بابه فكرة ما في قصته الجديدة . وهو لا يستطيع الاعتذار عن فتح  
بابه لفكرة . « والفكرة ، أنى !!





جيل الطهارة

د. زكي نجيب محمود

« .. أنا أعرف عددا لا بأس به ظفروا بقمم في  
دنيا ثقافتنا دون وجه حق .. ! »

من المهم أن ننصت لشهادة هذا الرجل !

● القضية : ثقافتنا .. على الدرب .

المتهم : لا أحد يدري على وجه التحديد ، أهى النوتة ، أم المثقفون أم أجهزة الثقافة ؟

● الشاهد : مناضل منذ الثلاثينيات حول محور واحد لم تقتصر جذوته : « أن ينكمش الوجدان ويترك مكانه للعقل فى المواقف الحضارية » .

● الشاهد : لتقتربوا منه أكثر - رجل - عاش سنوات عمره « طالب علم » ويموت كما مات الجاحظ وعلى صدره كتاب !

رجل : يرتفع برأسه عن أسفلت الطريق محلقا فى هموم أكبر وكأنه سقراط يصبح « لست أثينيا ولا يونانيا ، إنما وطنى هو العالم » .

رجل : سعادته ولذاته الكبرى كما رآها الغزالى « لا تنال إلا بالعلم والعمل » .

● الشاهد .. د. زكى نجيب محمود .

لا أريد أن أبدو فارسا يضع درعا على خواء لا فروسية فيه ، كما كان يقول أبو العلاء المعرى . ولا أريد أن أكون متشائما أتحدث إليك من محارة يأس . أريد أن أدلى لك بشهادتى بغير استعلاء . فلست أسكن برجا ، والثقافة عندى نسيج حياة .

● .....

كان الدكتور زكى نجيب محمود يؤدى « القسم » قبل .. الشهادة

● .....

عاد يقول ببصيرة قوية وإن ضعف بصره .. من حسنات الحياة الثقافية التى لا تنكر أنه يكاد لا يعطى وزنا إلا للابداع الثقافى . لمن يكتب قصة ولم يخرج علينا برواية ولم ينسج قصيدة شعر . المهم من يفرز ابداعا جديدا . أما من ينقل كتابا ، يجد اصغاء لكنه ليس الاصغاء . انهم يضعونه فى المرتبة الثانية . أضف إلى هذا ان مكافآت الدولة صارت للمبدعين دون غيرهم . لم يكن هذا سائدا فى الجيل الماضى . جيل العمالقة ، طه حسين والعقاد ولطفى السيد وهيك . كان قدر الابداع أقل بكثير من حجم العرض الثقافى !

● .....

هل يستعد د. زكى نجيب محمود ليفجر قضية هامة تخص جيل العمالقة ؟

● .....

يقول الشاهد : نعم ، لقد كانت مهمة جيل العمالقة أن يعرضوا علينا بضاعة ثقافية ليست لهم فى الأصل . كانت لهم قدرة قادرة على الاستيعاب والهضم ثم إعادة العرض . وكانت البضاعة الثقافية المعروضة ذات مصدرين ! بضاعة العرب الأقدمين وبضاعة أوروبا . ما من واحد من هؤلاء إلا وتعمق فى فكر الأقدمين أو فكر أوروبا .

ولذلك أقول ان طه حسين والعقاد وهيك وغيرهم كانت لهم اليد البيضاء علينا فى أن فتحوا لنا نوافذ العالم الفكرية وبوابات العرب الأقدمين ، ولكنهم لم « يبدعوا » بقدر ما عرضوا . أنا لا أنكر أن لكل منهم ابداعه الخاص ولكن أهميتهم تنبع من أنهم كانوا أشبه بصاحب مطعم يقدم الأطباق فقط وهو لم يصنع شيئا منها . لقد قام بدور « الطاهى » لتكون فى أحسن صورة وألذ طعم ! ونعم ، اتفق معك فى أنهم كما تقول كانوا « جيل طهاة » . كانوا بالفعل يطهون نوعين من الطعام . طعام شرقى وآخر غربى ومهارتهم فى الطهو ليست محل جدل ! الخلاصة ان مساحة الابداع عند جيل العمالقة كانت أقل !

كانت السمة الغالبة على انتاجهم « النقل » قبل « الابداع » !

قام د. زكى محمود وأغلق النافذة ( يسكن الدور الثانى عشر من عمارة تطل على كوبرى الجامعة ) .

قال ضاحكا : تأتيك الضوضاء من كل اتجاه . تحاصرك . كأنها تجول بينك وبين أن يصل صوتك للآخرين !

بعد قليل جاءت د. منيرة حلمي زوجة المفكر وفي يدها صينية فضية فوقها  
فنانان من القهوة قدمتها لنا بعذوبة المرأة التي تحيا في ظل فيلسوف رغم انها  
استاذة في علم النفس. شاركتنا الجلسة بصمت زوجة يابانية صمت واع وأدب جم  
عاد يقول لي د. زكي نجيب محمود:

أبناء هذا الجيل ، قدرتهم محدودة في فهم ما قاله العرب ومحدودة جدا في فهم  
ما تقوله أوروبا ! وأصارك أكثر . أنهم لا يحسنون العربية ولا يحسنون لغة  
أجنبية . لكنهم لجأوا - وأقصد الموهوبين - الى الابداع . الى التعبير عن أنفسهم .  
لجأوا الى القصة والرواية والقصيدة والمسرحية واللوحة ، ولحسن حظهم ان  
الاتجاهات الجديدة كما يسمعون عنها لا كما يدرسونها اعطتهم الفرصة للهروب  
من القوالب . فليس هناك « معايير » محددة للذوق .

فالذي يرسم لوحة ، يعبر عن نفسه كما يهوى ويشاء . والذي يكتب قصيدة .  
لا يتقيد بوزن . وكتابة قصيدة لها وزن معناها التعمق في قراءة الشعر القديم وهم  
لا يقرأون وهم لا يحسنون بموسيقى الشعر !  
من حسن حظ أبناء هذا الجيل ان من لا قدرة له يستطيع ان يدعى انه يبدع ،  
مع ان هذا الابداع لا يستند الى قواعد متفق عليها . وصارت « هيصة » !

.....

كنت أنصت بشدة لهذا « التشريح » لأبناء هذا الجيل من د. زكي نجيب محمود !  
لقد قال فيهم كلمته : قدرتهم محدودة في فهم ما قاله العرب وما تقوله أوروبا !  
لا يحسنون اللغة العربية أو أي لغة أجنبية ! لا يقرأون ! لا يحسنون ! يدعون ! صارت  
المسألة هيصة ! هكذا لخص الموقف . شهادة قاسية !

.....

يقول لي « الشاهد » : لنذهب بعيدا . الى أمهات القضايا . لنعبر الشكل وندخل  
الى المضمون . ما الذي جعل حياتنا الثقافية تنتكس . هذا هو بيت القصيد . وليس  
تعيين « وزير » للثقافة أو تشكيل « مجلس أعلى للثقافة » أو غيره من الصيغ  
المقترحة موضوع الحديث والجدل ! بيت القصيد هو التعليم والامية ، كيف يسير  
التعليم في بلادنا ؟ وكيف ما زالت الامية تنتشب أظفارها في عنقها ؟ وإليك شهادتي .  
١ - التعليم سيئ . بحكم الأعداد الغفيرة والضيق الاقتصادي الناتج عن حروب  
دخلناها !

٢ - كانت نتيجة التعليم - على أحسن الفروض - انه يقدم لنا خريجا ضحلا يعرف  
بضعة أسطر .

٣ - التلاميذ - في عصرنا - يذاكرون مذكرات أعدتها لهم السوق . ان معلوماتهم  
نتاج المخصصات التجارية ، وهي تتبخر بعد الامتحان مباشرة ! وصار كتاب  
المدرسة في خبر كان ، وأصبح التفوق رخيصا . فمن يتقن حفظ المخصصات  
السريعة ، يحقق أعلى الدرجات !

٤ - اعطانا التعليم بصورته المخزية ، إنسانا بلا رأى . بلا رؤية . بلا ابداع  
ذاتي ! ليس من المهم ونحن نناقش قضايا الثقافة أن ننفذ الى الاصل والجذور أم  
نظل ندور في دوائر مفرغة ؟ أليس من المهم أن نعيد - مرة أخرى وبجدية شديدة -

قراءة ورقة التعليم . محتواه ، هدفه ، أبعاده ، هل أباغ في الأمر ؟

.....

أبدا - يا سيدى - أنت لا تباغ . أنت تضع يدك على ، الجرح ، وتطالبنا أن نعرف سره قبل أن نضمده !

.....

يقول د. زكى نجيب محمود بهدوء المفكر : من ضحالة التعليم يتفرع كل ما نراه الآن من ضحالة في أمورنا الثقافية . أنت تخرج لى من الجامعة خريجا لا يستطيع أن يقرأ فعلا صفحة واحدة باللغة العربية أو بضعة سطور باللغة الأجنبية . صحيح عنده الاستعداد .. ولكنه عاجز أن أى ساحة يوظف هذا الاستعداد ؟ هو لا يستطيع أن يقرأ أيضا ما قاله الأولون . ولا ما تقوله أوروبا ! هو مضطر أن يصيب استعداده أو موهبته في .. ضحالة يكتب قصة أو مسرحية أو قصيدة ليس وراءها شيء من الفكر ! من السهل جدا لمثل هذا « المتعلم » أن يقاد وأن يقال له اكتب لنا كذا .. فيكتب ! انه غير قادر على التمييز . وهنا الطامة الكبرى . أتذكر بيتا من الشعر القديم لا أعرف من الشعراء من قائله . كان خصمه يقول « أنا عندي أن الرأي هو .. » فقال الشاعر ساخر : اسمعوا .. كُنْ له « عنده » يقول عندي .. من أين جاء له ما عنده ؟!

أصارك أن انتاج اليوم أغلبه : « موهبة نابغة من خلاء » ! وأصارك أن أغلبه تفاهة في التصورات خصوصا في السينما والمسرح والتلفزيون اليس هناك ما يحرك الذهن ويجعله يتسامع تساؤلا غير مباشر . انها « سلبية المتلقى » . وهذه كارثة !

ان هذه السلبية ، تجعل المثقف ، عاجزا عن الرأى والمعارضة المستنيرة . اننا في قضية كالاشتراكية مثلا ، لا نعرف ميزانها الحقيقى الذى نحكم به . هل نجعل « الرحمة » قبل « القدرة والتنافس » ؟ ! ان أفكارا كثيرة في الحياة تحتاج للتمييز . تحتاج لمثقف قادر على رؤية الظلال ، وهذا هو الذى يعطى الحياة طعمها وعمقها . خذ مثلا فكرة « الديمقراطية » . ان المثقف الواعى يتسامع أى ديمقراطية تحكمنا ؟ ان التعليم الضحل يقدم لنا الانسان السلبى . اعداد القطيع .. التى تخلق الطفلة لهذا دعوت في كتابى تجديد العقل العربى الى صحوتنا !

.....

قبل اللقاء بالدكتور زكى نجيب محمود ، كنت قد قرأت كتابه الذى خرجت منه بثلاث نقاط رئيسية :

الأولى أن « الرأى » نأخذه من غيرنا ، فنحن « أتباع » ، لأصحاب آراء مستقلة . النقطة الثانية ان الحاكم المستبد الذى يصادر الرأى يصادر في نفس الوقت حرية التعبير في كل صورها .

النقطة الثالثة ، ان قامة المرأة قصيرة مهما ادعينا انها طويلة ونالت حقوقها ! انه يهز القيم الموجهة للعقل !

.....

د. زكى نجيب محفوظ لا يدخن أنه يمتص رحيق الحياة من خلال التأمل .

## □ شهادة مفكر على عصره

مسح الشاهد زجاج نظارته ، نظر الى ساعته ، عبث بشعره الأبيض . أسند ذقنه على يده وتكلم ، فأعطيته كل الاصغاء .

هناك قضية اسمها غلاء مصادر المعرفة أو انسدادها . نحن نريد أن نتصل بالعالم . لا نريد كمنقفين أن نتعزل . نريد أن نعرف ماذا يقول الفكر الاوربي . أريد الكتاب . من أين أشتريه لو وجد ؟ لقد مرت علينا فترة طويلة أطلق عليها التعقيم الثقافي . السؤال الثاني : لو وجد الكتاب ، بكم أشتريه ؟ لقد سألت مرة ناشرا : أين تكتلات القراء ؟ فقال لي : أكثرهم مدرسو المدارس الأولية وهؤلاء غير قادرين على الشراء ! انها أيضا قضية اقتصادية .

نأتى لنقطة أخرى أنت تثيرها وهى أجهزة الثقافة في الدولة . أقول لك فيها شهادتي .

● الدولة معذورة إذا قالت أنا أخدم دافع الضرائب : الجمهور العريض !  
● الدولة معذورة إذا عبرت في خدماتها الثقافية مجتمع النصف في المائة أى مجتمع الصفوة !

● تكون النتيجة ان هذه الأدوات الطاغية ( الراديو والتلفزيون ) قد قامت بدورها الوحيد : التسلية !

● الثقافة في التلفزيون ، مضحكة . فالموضوع الواحد يتمزق ، بين عدد من المتحدثين في وقت غير كاف دائما . وأخرج بلا شيء !

● مصدر الثقافة الاساسى عندي هو : الكتاب . وقد بدأ ينحسر دوره !  
● الأجهزة الثقافية حتمية . فهذا عصر له أدواته . ما كان من المفروض أن تطغى هذه الأدوات على الكتاب . وما كان من المفروض أيضا أن تنسى فريق الصفوة لانهم هم « المنتجون » لهذا الجمهور العريض في نهاية الامر !

● أذكر لكاتب فرنسي رأيا يارعا يدلل كم أصابنا « الاذى » من وراء سيطرة الأدوات الطاغية . يقول : عندما نهض العرب الاقدمون نقلوا الثقافة اليونانية . ولنفترض ان ثقافة اليونان هذه كانت عدة اشربة اذاعية وتلفزيونية . وجاءت حضارة جديدة وثقافة جديدة وأرادت أن تزود نفسها بفكر اليونان . ماذا تجد لتنتقله ؟ ان الصورة تتجسم حقا في هذا المثل !

ولكن لان هذه الحضارة وجدت الكتاب ، فقد وجدت « المنهل » الحقيقي . خذ مثلا ، الأزهر في القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر . في مصر كان التراث العربى الاسلامى على وشك الضياع . فماذا فعل ؟ لقد قام بدور عبقرى . أنصرف طيلة قرنين ليجمع الثقافة العربية قبل ضياعها . فتجد « موسوعات ثقافية » مثل صبح الاعشى ، وكتبا مستفيضة في قواعد النحو . وبهذه الكتب ، تشير بأصبعك : هذا هو التراث العربى والاسلامى .

أصارك ، انه اذا كان عصرنا هذا سيجعل الركيزة الاولى في ثقافتنا هى الاشربة الاذاعية والتلفزيونية ، ستمضى الايام ويأتى قرن جديد يبحث عن تراثنا ، فلن يجد سوى « ثقافة هوائية » ، وهذه كارثة !

● أما أن يدير أمور الثقافة القطاع العام أو القطاع الخاص ، فهذه جزئيات . انا لا أميل الى تقسيم البشر لتقسيمات صيدلية . لا يوجد شيء اسمه شريحة قطاع عام أو



شبح قطاع خاص . المهم : المناخ الذى يتيح لى ان اكتب الرواية والقصيدة والمسرحية ففى نهاية الامر . انا الزبون . انا الكاتب . انا المؤلف اخطر واحد فقط ، احذر منه هو ان القطاع العام فى الجهاز الثقافى قد « يكلفنى » بكتابة كتاب لا اؤمن به اومن الوجهة العملية الصرفة لم يحدث هذا !

.....

أشعرانه كلما طرحت قضية ما على محدثى الفيلسوف ، انه يعبر سطحها البراق وينفذ إلى أعماقها . ومن هنا ، فهو لا « يحزن » ، وقد عرف أصل السبب . ومن هنا فاحساسه بالشقاء أقل . أهى الحكمة ، تجعله ينجو من الشقاء الذى يصيب الانسان العادى ؟ والسؤال يقفز فوق لسانى : هل هناك ما يشقى د. زكى نجيب محمود ؟!

.....

نعم تشقىنى أشياء كثيرة .. رغم كل ما قلت ! يشقىنى فقدان العدل عند المفاضلة . يشقىنى كل الشقاء عندما أنظر الى دنيا الثقافة فى مصر فأجد ان الذين يعملون ليسوا هم الذين يكافون .. والعكس صحيح . الذين يكافون . كثيرا جدا ما يكونون من غير العاملين والسؤال : كيف يكافون ؟ والاجابة : بالفهولة ايكفى أن يسمع صوته بأن يقول : انا هنا اوبأى طريقة . وانا أعرف عددا لا بأس به ظفروا بقم فى دنيا ثقافتنا ربما يكونون بغير انتاج على الاطلاق ! ولكن الخيال لم يعد يتصور غيابهم ! انهم الاعلى .. صوتا !

.....

ولكن الخيال ، لم يعد يتصور غيابهم ! أردد العبارة لأنها هزئتى وتكشف المأساة التى تشقى مفكرا معطاء كزكى نجيب محمود !

.....

عاد يقول الشاهد : أضيق بهذه الصورة على هذا النحو ! اننى أعد هذا اختلالا فى التقدير وظلما اربما يظن واحد انه كاتب كبير ، ولكن أحدا لم يسلط عليه نقدا . ماذا يفعل ؟ لا شيء . لماذا ؟ لأن الزفة كبيرة ، والطبل أكبر معظم الناس يقيمون تقديراتهم فى حياتنا الثقافية على أساس الضجيج لا البحث أو التحرى ! وفى غياب الناقد النزيه والقادر .. تختل معايير كثيرة ! يشقىنى هذا للغاية !

.....

أريد أن أسأل الشاهد عن الأدباء والشعراء والروائيين . أريد أن أسأله عن توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وحسين فوزى وصلاح عبدالصبور . د. زكى نجيب محمود ، فيلسوف « يعخون » ، الفلسفة مع الأدب . و« يعخون » الأدب مع الفلسفة . وهى خيانة يمارسها بشرعية ! وأتذكر أن العقاد أهدى ذات مرة إحدى عبقرياته للدكتور زكى نجيب محمود وكتب فى الاهداء عبارة استعارها من « أبو حيان التوحيدي » . إذ قال « الى فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة » . فهو يمزج فى اهتماماته بين الفلسفة والأدب . الفلسفة هى مرتزقه ولكنها أيضا حبه وهواه .

وعندما يتكلم زكى نجيب محمود مع الفلاسفة ، تأتى النبرة مختلفة . يتصاعد

منها راحة الأدب وتكهته العذبة . وعندما يتكلم مع الأدباء ، يبدو في النبرة طعم الفكر الفلسفي .

١ - هذه شهادتي عن نجيب محفوظ روائيا ، مادمت تسألني عنه . نجيب محفوظ سار على الصورة التقليدية التي يريد لها نقاد القصة في الغرب مدة طويلة . الآن ، لاحظ عليه منذ روايته ( الحرافيش ) أنه جنح جنوحا قد لا يرضى الناقد الأوربي ولكن ليس عليه من بأس في ذلك لأنه يخيل لي أنه يريد أن يعيد تقليدا قديما هو أسلوب « الراوي » . ليس شرطا أن تكون هناك حبكة ! القصة الجديدة صارت تفقد العناصر الأساسية . إذا ضمنت للناقد حبكة صحيحة وشخصيات مرسومة صح ، يعطيه جواز السفر .

نجيب محفوظ راعى في « الثلاثية » هذه القواعد ثم صارت رواياته الجديدة تصور مجاميع أكثر منها « أشخاصا » . صار مهتما بالنمط الحياتي أكثر من بناء الشخصية . كما لو كان يضع في مسرح روايته « مخبارا » يقيس به شيئا يريد أن يصل إلى « كيمياء » العلاقات الانسانية في هذا المكان ! وربما كنت مخطئا !

٢ - تسألني عن انتاج توفيق الحكيم الأخير ، أقول لك شهادتي : أن توفيق الحكيم الأول ، المديد الذي امتد من أواخر العشرينات والثلاثينيات والأربعينيات ونقول والخمسينيات .

ولكن توفيق الحكيم - الآن - مثل ٩٩٪ من المهويين في دنيا الأدب ، يجيء يوم ، تنفذ قضاياهم خذ مثلا طه حسين في العشرينات الأخيرة من حياته ، ماذا قال ١٩ خذ العقاد ، لو طرحت على يومياته في الأخبار التي كان يكتبها في سنواته الأخيرة . هل هذه هي العقاد ١٩ بالقطع لا ! لكن العقاد هو العبقريات ثم انتهى في أواخر الخمسينيات !

كذلك توفيق الحكيم لم ينته ، ولكنه يخرج علينا برؤوس موضوعات . هي رؤوس موضوعات لها قيمتها وتحرك الذهن كأنها شهب . كنجوم تلمع وتسقط ولا تستقر ! أن توفيق الحكيم مجموعة شهب ، الآن !

٣ - تسألني عن د. حسين فوزي ، أقول لك بصراحة شهادتي : الحقيقة أنه لا يمكن تأريخ ثقافتنا المعاصرة بغيره ! الذي يبقى من الأديب أو الكاتب في نهاية الأمر هو مقدار تأثيره في حساسية الجمهور . استعدادهم للقبول أو الرفض . د. حسين فوزي له جهد لا ينكر في أعداد الحساسية الخاصة التي تتقبل ثقافة الغرب برضا وتذوق . وهذا الدور مطلوب .

٤ - تسألني عن صلاح عبد الصبور شاعرا . انني أراه في « العلاج » وربما جف نبع صلاح عبد الصبور ! ولا يلام ! كم من فنان أو شاعر ينتهي بعد فترة مركزة . أن للقضايا عمرا في ذهن الشاعر أو المفكر . أنها تستنفد بعد حين ، وربما اكتسب الشاعر مكانته من حلوله الجديدة للقضايا . أن للخصوبة .. عمرا ! ومازلت أقول أن صلاح عبد الصبور هو الذي يلفت نظري بما كتبه منذ حين . ففيه ولا شك اللغة الجديدة وصدق الشعور والمعاصرة ولا أعرف سواه يلفت نظري . لقد كان محمود حسن اسماعيل حاد الوجدان ولكنه لا يمثل عصرا جديدا وإن كان ينتمي لجيل أسبق !

اننى من المؤمنين يأخذ حضارة هذا العصر بأهم ما فيها . ولست من القائلين اننى « أنخل » حضارة العصر ، استفيد بالجميل واستبعد السيئ . هذا تقسيم خاطئ . أريد أن أضيف الى ثقافة بلدى اضافة عضوية .. وصوتى خفيض . هناك أسس لا يمكن أن استغنى عنها من ثقافتى العربية والاسلامية . حضارة العصر لا يؤذيها أن تتكلم لغتك . لا يؤذيها أن تنظم حياتك على أساس تشريعك . يؤذيها أن تقف وقفة غير علمية . يؤذيها أن تقف وقفة غير تعاونية . يؤذيها أن تقف وقفة سلبية . أنا لا أضحك - مثلاً - مثل الكثيرين على « الهيبز » لأن اطالة الشعر ليس معناها السلبية واللامبالاة . هذه نظرة بأفق ضيق . اذهب لتر هذا الهيبز وهو يؤدي عمله . سترأه جادا . المهم عندى الانتاج لا الاستهلاك ! المهم أن أفرج ما قدمت وانتجت ، فليس الفخر هو قدرتى على الانفاق !

اننى أعد - رداً على سؤالك - « مسز كاسجل » من أهم وأبرز الروايات الانجليزية فى القرن التاسع عشر . أهميتها عندى أنها صورت فى الحياة الانجليزية عبر قصصها : النفاق ! ذلك الذى يضع حائطا سميكا بين حقيقة الشخص و .. مظهره ! اننا نريد أن نضع أصبعنا على الفارق الشديد بين قدرتنا الحقيقية الانتاجية .. ومظهرنا الانفاقى . سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو الدولة . تلك هى الراية التى أحملها ، وإناخل ، منذ الثلاثينيات الى يومنا هذا !

● .....

و .. صمت الشاهد !

شرد د. زكى نجيب محمود . ربما فاجأته « صحوة قلقة » أو « حيرة ما مؤرقة » . أن ذهنه خارج حدود الجمجمة ! قطعت ذلك الشرود الواعى :

● هل لديك « أقوال » أخرى ؟

قال فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة مبتسما :

- نعم .. عندى ! فالإنسان ليس أقوالاً فقط . إنما أفعال وسلوك قد تثير عليه مشاكل .

قلت همسا كل فعل إنسانى يحمل مشكلة أو يؤدي الى مشكلة . والموت وحده - كما يقول زوربا اليونانى - هو الذى لا مشكلة فيه !

\*\*\*





# فَتْمَى فَنَائِم

« تحدى الإنسان  
الدائم للموت ، يشغلنى ! »

هؤلاء حاورهم مفيد فوزى - ٤٧

لا أحد يكره الأحاديث الصحفية مثل الكاتب الروائي فتحى غانم أنه يعتبرها « مضیعة للوقت » ، وقد حاولت اقناعه أن القارئ الذى يحتفى به ويقبل بنهم وشغف على مؤلفاته يهتم أن يعرف فتحى غانم ، الإنسان وأفكاره ومكونات وجدانه وشيئا ما عن حياته الشخصية . ورفض فتحى غانم هذا المبرر لأجراء حديث صحفى معه قائلا أن هذا يشبه « كما يقولون - الباعث على مقابلة - أوزه » ، وأخديت معها لأنى مثلاً أحب فطيرة من كبد الأوز !  
وعندما قلت لفتحى غانم أنه من الضروري أن يتعرف الناس على رؤاه الأدبية . قال بسرعة : « انها فى رواياتى . والحديث الصحفى لن يكون بأى حال .. الجدار النهائي لأفكارى » .

وأردت أن استفز فتحى غانم ، فربما كانت هذه وسيلة للوصول الى اتفاق معه على المقابلة . فقلت ان الأديب الايطالى الكبير « البروتو مورافيا » يعتبر المقابلات الصحفية والأدبية مع الكتاب والروائيين جزءا مكملًا لأعمالهم الأدبية وضوءا كاشفا لشخصيات رواياتهم .. بل انه قال ذات مرة : ان المارك الصحفية والهجمات النقدية تنعشنى . وصمت فتحى غانم ثم انطلق يضحك وقال :  
« بيد انها لا تنعشنى أنا .. واستطرد يقول : ان ما ينعشنى حقاً هو دراسة نقدية يجريها ناقد جاد بمعزل عنى . ان هذا بمثابة إعادة اكتشاف لى ولفنى الروائى .

عدت أقول لفتحى غانم : ربما أخطأت فى العرض . ان ما أريده ليس حديثا صحفيا يصحبني فيه مصور صحفى شاهرا عدساته فى وجهك . انه أبعد من هذا أريد أن أتعاون معك .

أريد أن أتقاسم معك « حوارا » . فإننا وهذه ملاحظة شخصية ، قد عملت معك وتحت رئاستك ، وعرفتك قليل البوح . نادر الكلام ، أقرب ما تكون الى الغموض !  
قال بسرعة .. هل هى محاولة اذن لازاحة الغموض عنى ؟  
قلت : بل هى محاولة للتعرف عليك أكثر . للرحلة الحميمة فى أعماقك أكثر . للتريض معك ومع شخصياتك الروائية أكثر !  
ويبدو اننى نجحت فى اقناع فتحى غانم بصيغة الحوار معه لأنه ضحك وقال  
« حدد الوقت وأنا مستعد » !

قالها بطريقة لاعب الشطرنج الماهر الذي يعلن عن قبوله للدخول في مباراة مع «هاو» .. مثلى !  
وعصر أحد الأيام ، وكان الجواباردا .. قلت لفتحي غانم وأنا حريص على استرساله وعدم مقاطعته :

□ أنا أمهد  
لشخصيات  
رواياتي بمكر

انك تستخدم عقلك في رواياتك ببعض من الخبث !  
قال فتحي غانم : ربما استريح أكثر لكلمة « المكر » وهذا حقيقي ! انا أرى أن الروائي لا يجب أن يعبر عما يريد بطريقة مباشرة وإلا صار ما يكتبه مقالا ! الروائي يجب أن يعرف أصول اللعبة . لابد أن يجيد التحضير بمكر لشخصياته لابد أن يعرف كيف يمهد للمواقف القادمة . أنه فن الصنعة عند من كان قدرهم الرواية . ففي أي موقف ، حيث تبرز الأزمة أمامك ، كقارئ ، لرواية ما ، يكون الروائي قد استخدم « المكر » فلا هو يكشف لك أبعاد الموقف بوضوح ولا هو « يعتمد » عليك الصورة . لكنه يخلق فيه حالة من الحيرة تدعوك للاشتراك مع الأبطال في أزمتهم . هذا هو العقل ودوره في فن الرواية . فإذا كان الفنان يمضي في رحلته مستكشفا شواطئه وبحاره ، فإن بوصلته هي العقل . العقل المكار ، كقول الأطفال . إذ بدون هذا « المكر » تفقد الطبخة ، طعم الملح !  
قلت للروائي الكبير : في أولى رواياتك .. كان الموضوع بالنسبة لي غامضا . اخترت مسرحا غريبا قرية القرنة في الأقصر .. هناك في صعيد مصر . ولكنني شعرت انك . في أعماقك . تصمم المكان وتتصوره قرية ما ، تحت أي سماء ماذا قصدت برواية الجبل طالما ان العقل شريك للفنان ؟

قال فتحي غانم : رواية الجبل ، هي أولى رواياتي . وقد طرحت فيها موضوعا كان يحيرني وهو الرغبة في الإصلاح . انها عملية تحتاج لوقفة موضوعية . في شرقنا العربي عموما ، نأخذ الرغبة في الإصلاح بعاطفة مشبوبة وبحماس رنان وأحيانا بتشنج ونصرخ « يجب الإصلاح فورا . الإصلاح ضرورة . الإصلاح أولا » . ندخل في منطقة الشعارات وننسى ان الإصلاح قضية معنوية لا تتم بين يوم وليلة . انها عملية استيعاب لعادات نفسية وذهنية .. ثم تغييرها ببطء وعلى مدى بعيد .. دون انتظار سريع للعائد ، الإصلاح بأسلوب يجب . يجب . يجب . ينتهي الى مسار آخر غير ما نبغيه منذ البداية .

هناك ظروف مجتمع . فكيف نتعامل انسانيا مع ظروف مجتمعنا . ذلك ما كان يسيطر على وأنا أكتب الجبل . ان التخطيط للشاريع اجتماعية يحتاج في الواقع الى فهم كامل للأرض والناس والدواب التي ستكون حقل التجربة . ان عدم ادراك هذا في عملية الإصلاح الاجتماعي يجلب .. الصدمات . وهذه حقيقة اوتى رواية « الجبل » تعرضت لعملية قرية نموذجية جاءت لتبيد عادات أهلها وقيمهم السائدة . لقد شاركوا في بناء القرية بدلا من الكهوف التي كانوا يعيشون فيها .. ليس من أجل التغيير ولكن من أجل « الأجور » التي تقاضوها عن جهد البناء . ثم اكتشفوا ان هذا البناء الجديد يعاديهم ويعادي مفاهيمهم ، ويبعد عنهم الحيوانات التي يستأنسون بقربيها منهم .

فماذا فعلوا في النهاية ؟ حرقوا القرية الجديدة .. وظلوا في الكهوف ربما حتى

الآن . هذا هو « مضمون » رواية الجبل .

قلت لفتحى غانم : انه مضمون أردت أن تعبر عنه برواية . أليس هذا من واجب عالم الاجتماع أكثر من الروائي ؟!

استفزع السؤال فتحى غانم . فصمت ثم ضحك وقال : وسيلتى مختلفة . أنا أطرح قضية بأسلوب روائى ولكنى لا أتعرض لنظريات أو أقف كالخطيب . أو ألقى محاضرة . كلنا - فى نهاية الأمر - نعبر أنا برواية ، وعالم الاجتماع بدراسة . انها رؤية ، يراها الفنان والعالم كل على حدة من زاوية .

كان الهدف الذى أحس به . هو ذلك اللقاء الحميم من النقاش الساخن والبارد أحيانا .. مع الكاتب الروائى فتحى غانم كمباراة شطرنج ، كان الحوار . انه لا يرد على « لعبتى » إلا بتأن شديد وفهم كبير . لا يتهور . وإذا تحمس ، فمن باب اتقائه . وإذا صمت ، فهو يفكر . وإذا ضحك فهو يفكر أيضا ولكن بأسلوب آخر . وليس من الضروري أن يعبر هذا الضحك عن سعادته ! ان مفردات سعادته أو تعاسته . مفردات خاصة به !

وقد كان من الضروري أن أتسلل اليه ، فهو لا يحب البدايات المحددة . لقد اعترف لي مرة انه يعشق « اللعب بالأسلوب » .

قال مرة « أحب أن أوجد في قلب مباراة لم أتفق مع خصمى على اللقاء » . ولكن كيف أبدأ المباراة بنون صغارة الحكم .

ان تجربة الحوار مع فتحى غانم ، مغامرة . ولكن كان من الضروري أن أمضى فى الشوط الى آخره .

قلت لفتحى غانم وكأنى أفكر بصوت عال أشعر ان الرواية عندك أشبه ما تكون بعممار فنى دقيق . وأحس انك مهندس تتميز أعمالك بالرقى والنضج والعالمية انك تعبر فى رواياتك الحدود الجغرافية ، وتمتد جسورا الى العالم ، ربما لأن بطلك هو الانسان دائما .. فى أى أرض وتحت أى سماء .. ودعنى أقول انك فنان يستخدم عقله بذكاء . ويعبرنى سؤال : هل الفن عملة يسيطر عليها العقل ؟ هل يضبط الفنان شطحاته . ان صح التعبير - على ساعة العقل وعقاربها المحددة بالدقيقة والثانية ؟

استوعب فتحى غانم السؤال جيدا وقال : هكذا أتصور الأمر .

ان العقل مطلوب دائما ، انه شريك الفنان . والعمل الفنى أشبه ما يكون برحلة . الغريب فى هذه الرحلة انك تحدد الهدف . ولكن الاتجاه الذى تفكر فيه - أثناء هذه الرحلة الفنية - يتغير . فهى - فى نهاية الأمر - معركة مع العقل ومع العواطف ومع النفس ، مع الآخرين مع التجارب ، مع الذكريات ، مع الظروف مع الورقة والقلم . لأنك حين تمسك بالقلم وتجلس لتكتب ، فإن هذا دون أن تحس وسيلة من وسائل المعرفة . للدقة أكثر ، وسيلة من وسائل الاستبصار . ان ظروف الكتابة نفسها قد تمل على الكاتب نمطا من الكلمات والتعبيرات . ان مناخ الكتابة يدخل فى كيمياء العلاقة بين الكاتب وما يكتب . وأحيانا - وهذا ينطبق على الروائى - يجد نفسه يرتاد مناطق لم يفكر فيها من قبل . ويذهب فى برارى لم تخطر له على بال . وبأسلوب الرواية ، ويمشى فى سكك لم يخطط لها من البداية ، ان الكتابة مغامرة يحرسها العقل وإلا كانت عبثا وفوضى . وأنا كروائى ، على أن



اتحمل مفاجآت المغامرة بما فيها بل وأخطرها مفاجآت نفسى اقد أفاجأ من داخل  
بأصوات وذكريات وبمواقف وبمشاعر تفرض نفسها . وتقوم معركة بين  
ما « أتصوره » يعقل وبين هذه الأصوات الداخلية الملحة ونتيجة هذا الصراع هي  
التي تحدد « مسار » الرواية .

قلت للروائي المكار وأنا استخدم أسلوبه في الحوار .. ماذا كانت رؤاك في رواية  
الساخن والبارد ؟

أخذ يجتر - فيما أظن - شخص هذه الرواية ، لأنه أجاب بعد قليل . وقال : في  
« الساخن والبارد » ، طرح قيمة لقاء الشرق بالغرب . والفرق بين الانفعال  
العاطفى والصدق العاطفى مقابلة بين حضارة من الشرق وتقاليد من الغرب .  
امتحان للقيم في الشرق وامتحان للطابع في الغرب .

قلت لفتحي غانم : ولكنك لم ترس على شاطئ . طرح القضية وعقدت  
الامتحان .. ولم نصل معك الى قاعدة .

دعنى أسألك ، هل الرواية ، عمل فنى يجب أن يتحرر من الأحكام ؟  
قال فتحي غانم : أنا شخصيا ، لا أميل الى الأحكام القاطعة في الفن . الأحكام  
في الفن كالأحكام في الحياة . فالحياة مستمرة وهناك متغيرات ولا أظن ان هناك  
عاقلا يقف جامدا عند أحكام بعينها . فالامر نسبي . المهم أن نفهم أنفسنا في  
ظروف معينة ومناخ معين . ونعرف ان ما يصدر عنا من أحكام في هذه الظروف ليس  
خالدا بالضرورة . انه متغير .. كالحياة تماما . وأنا أعتقد انه ليس من مهمة الفنان  
اصدار أحكام قاطعة ونهائية .

شعرت اننى فتحت شهية فتحي غانم للحوار . كان يصغى لتساؤلاتى بشدة  
ويسمح لى بمقاطعته أحيانا ويوافق بهز رأسه على بعض ملاحظاتي ويدخن  
بسعادة . كنت أراه في أحسن حالاته . كأنه يكتب فصلا من رواية جديدة . كأنه يلعب  
مباراة شطرنج بصفاء ذهنى كبير .

قلت له : أريد أن أقرب منك أكثر وأفهم الأرضية الذهنية التي تركز عليها  
كروائى . اننى أحس ان الانسان هو بطل مسرحك الذهني . انك تضع « أبطالك »  
أمامك وتحركهم كقطع الشطرنج . انك تختار « أقدارهم » ومسارهم !

شرد منى فتحي غانم .. شروى من يريد تجميع أفكاره وصارخى بأنه لأول مرة  
يفاجأ بهذا السؤال : « الأرضية الذهنية التي يركز عليها » . قال وقد انخفض  
صوته .. أصبح الايقاع أبطأ :

الحياة كمعركة في مواجهة الغناء .. الموت . قدرة الانسان على أن يحيا . حياة  
الانسان هي وجه للحياة ووجه آخر للموت . كلما انغمس الانسان في الحياة انغمس  
في الموت . تحقيق الحياة بخصوبة وفاعلية هو تعرض للموت . القدرة على الصمود  
والاستمرار هو التحدى في كل لحظة للموت . بلوغ ذروة النضج في الحياة هو  
الوصول الى الحكمة التي تجعل الانسان قويا في مواجهة الموت وقادرا على  
استقباله . هذه المعانى تشغلنى لا تحدنى في اطار . لا تحبسنى في أقوال .  
اطلق يدى !

قلت لفتحي غانم : في روايتك « الرجل الذي فقد ظله » ، تقترب في الاسلوب من

هؤلاء حاورهم مفيد فوزى - ٥١

□ أكبر  
مغامرة للكاتب  
مفاجآت نفسه  
في الكتابة

□ لا أميل في  
الفن للأحكام  
القاطعة ..  
انها عبث

□ تحدى  
الانسان الدائم  
الموت .. يشغلنى

## □ روائي عربي اعترف نقاد العالم بأدبه

« رباعية الاسكندرية » .. هل أخطأت !

قال بلا مبالاة : ربما ! ( لا مبالاة فتحي غانم عفوية أحيانا ومرسومة كثيرا )  
ثم اعتدل فتحي غانم في جلسته وقال : الأسلوب عندي يحقق لي متعة ، وأنا أحب  
العجب ! أحب أن أجرب في كل مرة أمسك بقلم . مغامرة في الأسلوب ! أحيانا أتلذذ  
كثيرا بتصوير الأحداث من خلال منولوج داخلي . أحيانا أتوقف عن إصدار أي  
أحكام حتى على انفعالات الأبطال والشخصيات في الروايات واعتبر نفسي كاميرا  
تصور تصويرا باردا وأرقب ما سوف يحدث ! أحيانا أتأمل العلاقة بين موقف  
خاص جدا وقضية عامة في كل مرة أبحث عن زوايا في الحياة واستخدم  
« الأسلوب » الذي يناسب . فالأسلوب هنا ، وسيلة وليس غاية .

قلت للروائي : ان عدسة الصحفي . مثلي . مفتوحة دائما .. فهل عدسة الروائي  
. مثلك . مفتوحة بنفس الزاوية ؟!

أجاب : الاحساس بصور الحياة ومواقفها وانفعالاتها لا يتوقف أبدا . هناك  
دائما « ردود فعل » تؤثر في أعصاب الانسان وقد تعطله عن التفكير . أنا اعترف لك  
أن جهازى العصبى من النوع المشتعل الذى يستقبل الأشياء بحدة وأن لم يظهر  
ذلك أمامك ! أحيانا أسمع انسانا يقول : أمضيت وقتا مريحا ودخنت سيجارة ..  
ويسترسل في وصف لحظات هنائه .. اعترف لك اننى لا أعرف هذه المشاعر  
ولا أظن اننى أقضى مع الناس وقتا مريحا . هل هناك خلل ما في جهازى العصبى ؟  
لا أدري !

قلت لفتحى غانم : لو قمت بزيارة مكتبك .. فمن سأقابله ؟

ضحك وقال : سوف يستقبلك بالنيابة عنى أرسطو . أن كتابه « الأخلاق » مهم  
جدا بالنسبة لى . أن كتب أرسطو تحتل مكانا في مكتبتي . وأرسطو ، يمثل لى أن  
العقل الانسانى عقل ناضج منذ زمن بعيد وعلينا ألا نضيع وقتنا في قضايا فكر فيها  
غيرنا ووصلوا فيها الى أحكام عميقة وحققوا بتجاربهم الانسانية نتائج وليتنا  
نتعامل مع المعانى التى تركوها فتوفرلنا الوقت .. والجهد !

قلت لفتحى غانم : لمحت شعاعا من السعادة ، ترجمه وميض في عينيك .. ولم

أفهم سره المفاجئ !

ظل يضحك على ملاحظتي وقال ان درجة قوة الملاحظة عندي تصل الى ما فوق  
المائة . وهى مرهقة لنفسى وللآخرين ثم أجاب وقال سرسعدتى المفاجئة ، لقد كنت  
أقرأ قبل أن أقابلك اعترافا عالميا بمحاولاتي الأدبية . كنت أقرأ المقال الرئيسى  
للناقد الأدبى للصائدى تايمز اللندنية . كان يقارن بين الرجل الذى فقد ظله  
ورباعية الاسكندرية لداريل . ربما كان هذا الناقد رقم ثلاثين من العالم الذى  
تصدى لأعمال بالاحتراف والنقد والدراسة . كان هذا بمثابة مدرسة لى ، وأرى فيها  
نفسى على مستوى عالمى . لقد تجاوزت حدودى المحلية وأصبحت لى قارئ - بعد  
ترجمة مؤلفاتى - على المستوى العالمى . وهذا يشيع في نفسى السعادة ويريجنى .  
سألت فتحى غانم وأنا أحافظ على شعاع السعادة الذى كان لايزال واقعا تحت  
تأثيره .

.. لماذا لم تتواصل الأجيال الأدبية بعد جيلكم الذى يمكن وصفه بجيل الوسط ؟  
ويبدو ان كلمة « تتواصل » لم تعجب فتحي غانم ، لانه كثر عندما ذكرتها ..  
واشعل سيجارة وقال فى وصلة صراحة :

أحب أن أقول لك ان حكاية « تواصل » الاجيال الادبية ، مجرد انشاء لغوى .  
فنحن لم نتسلم الرسالة من جيل العمالة الذى سبقنا . ولن نسلم الرسالة للجيل  
الذى ياتى بعدنا ! اننى افتح لك قلبى واحديثك بصراحة شديدة ! لقد أخذ جيلنا  
مكانه من جيل العمالة بالدرع ! لقد فتحنا عيوننا نحن - جيل الوسط - كما  
تصفه ، فوجدنا : عميد الادب د. طه حسين والاستاذ توفيق الحكيم والكاتب  
الكبير عباس العقاد والاستاذ محمود تيمور والاستاذ عبدالقادر المازنى . عالم  
منفصل عنا تماما . وقد كانت لى ظروف خاصة عرفت فيها العقاد عن طريق والدى  
رحمه الله . فقد كان صديقا للعقاد .. وذكر العقاد اسمى فى كتابه « عابر سبيل »  
وهو يرثى والدى .

لقد خطر ببالي ان نتصدى لهؤلاء العمالة ولا ننتظر منهم المن والسلوى . فماذا  
فعلت ؟ قررت أن أفكر بشكل عملى وأتساءل : لماذا جئت انا كاديب . وما هو  
دورى ؟ ربما أملى على هذا التفكير ما قرأته لبرناردشو يومئذ « يوم هاجمت  
شكسبير ، ولد لى قلم بأسنان كاملة » !

كنت قد قررت أن. أهاجم طه حسين ! كتبت سلسلة مقالات فى الخمسينات .  
بعنوان « طه حسين عقبة كبيرة أمام القصة » وأذكر أن د. طه حسين استدعانى  
ليعرف هل أكتب عن « فهلوة » أم قناعة . وذهبت اليه فى بيته بفيلا راماتان بشارع  
الهمم .. وقلت له بثقة شديدة كل ما أريد . يومئذ ، من الممكن أن أقول ، لقد ولد لى  
قلم بانياب ! وتحركت البحيرة الراكدة أكثر عندما أصدرت أنا والدكتور رشاد  
رشدى بياناً عن القصة القصيرة وكيف ينبغي أن تكون . وغضب يومها الراحل  
يوسف السباعى واعتبرها اهانة أدبية سليطة ! وبعد قليل هاجمنا يوسف  
السباعى فى مجلة مسامرات الجيب وأطلق علينا أنا ورشاد رشدى « ليز »  
و« لين » . نسبه الى راقصتين شهيرتين فى ذلك الوقت !!! وكان عنوان مقاله : ليز  
ولين القصة المصرية !

أردت أن أذكر لك هذه القصة لأدلل ، كيف تسلفت الى شارع الادب الذى  
يسيطر عليه الأساتذة والدكاترة الكبار . كان ذلك .. بالدرع ! وفى اعتقادى أن  
الجديد الموهوب لا يجب أن ينتظر ، فسوف يطول انتظاره بدون جدوى ، عليه أن  
يتصدى .. للمعركة . عليه أن « يتكلم » ليحفر بأظافره مكانا لنفسه . على الاديب  
الشباب أن يعبر عن نفسه بدون خوف فيما أن يكون أو لا يكون !

صمت . فجأة . فتحي غانم . طال الصمت ، فشعرت أنه دخل « محارة » نفسه  
ان الفنان يحس أحيانا أنه أقام خارج نفسه . وقتا ربما أطول مما ينبغي ، فيعود  
على الفور ، وكأنه يلوذ بهذه النفس من صخب العالم . « يرتد الى ذاته » كما يقول  
برتراند رسل ! فهل انقطع الحوار بينى وبينه ؟

لاأظن .. اننى أحاول أن أجعل من الجلسة مباراة شطرنج وهى الشىء  
الوحيد . بعد الرواية . الذى يستغرقه تماما .

□ جيلنا  
انتزع مكانه  
من العمالة ..  
بالدرع

□ افتعلت  
معركة مع  
طه حسين  
وهاجمته لأشهر

وكان اخراج فتحى غانم من محارته عملية صعبة .. ومع ذلك التقطت منه بعض الملامح التي كان لابد منها لاستكمال الصورة.

❶ « في تلك الايام » ، قصدت أن أقول أنه لا جدوى من الارهاب السياسى . فى قصتى « الرجل الذى فقد ظله » ، كنت أركز على أن الحقيقة لها أربعة وجوه . وفى قصتى « زينب والعرش » قصدت أن عرش الانسان هو ارادته وزمام نفسه .

❷ « أنا اكتب فى أى وقت وقللى هو الذى يخطولست أنا . وأكبر مغامرة لكاتب . هى لحظة العلاقة بين القلم والورقة » .

❸ « الشطرنج » ، لعبة مرهقة وجادة ، وهى رياضة عقلية تتطلب جهدا وجدا وجلدا .

❹ « اهتمامى الشديد بالموسيقى الكلاسيك أبعدنى عن الطرب الشرقى . فهل أفسدت ذوقى ١٩ » .

❺ « الرحلة فى المكان تساوى عندى رحلة فى الزمان . فإذا قطعت مائة كيلو ، معناها اننى أمضيت عاما كاملا » .

❻ « أنا امتداد فى السلوك الخاص ومعاملة نفسى بالكاتب عباس العقاد . ان له فى نفسى صورة الكاتب . وقد بهرنى توفيق الحكيم وأخذت منه حلالة الجملة وتركيزها وبغوضها أحيانا وأناقته والتعرف على العالم الغربى وأشكاله المعمارية . قد تعلمت من د . طه حسين دقة اللغة وتقديس الكلمة وترديدها وتكرارها بأنغام موسيقية » .

❼ « فى العمل الصحفى ، تتلمذت على يد على أمين ومحمد التابعى .

❽ « تأثرت بكتابات همينجواى . لقد فرحت بأسلوبه المحدد ، الخالى من التشبيهات والاستعارات . تابعت أيضا كتابات القصاصة الانجليزية « كاترين مانسفيلد » ونبهنى القصاص الفنان سعد مكاوى الى « البيركامى » فشرعت اقرأ كل ما كتبه كامى بلذة غامرة .

و ..

ولم يكن الحوار مع فتحى غانم ، مجرد « جلسة حميمة » للنشر فيما بعد .. بقدر ما كانت عملية « تعارف » تتم ببساطة ودون افتعال . عملية تعارف بين كاتب وقرائه الأحياء .

و كنت أنا .. الجسرا

ومازلت وأنا أنقل وقائع اللقاء بالكاتب الروائى فتحى غانم ، أذكر كلماته . أنا كاتب معركة الكلمة . نعم حملتنى الكلمة لأقاصى صعيد مصر وكتبت . حملتنى الى القطب الشمالى وكتبت . حملتنى الى أعماق نفسى وكتبت . ولا تزال الكلمة هى المغامرة . والمغامرة هى الكلمة » .





# نزار قباني

« لا أعترف بقصيدة لي  
لا تفتح ثقباً في غلاف الأوزون »

لهذا الحديث ، حكاية !  
منذ أسابيع كنت في زيارة خاطفة للعاصمة الرمادية لندن . وكنت قد رتبت  
موعداً مع الشاعر الكبير نزار قباني . وذهبت إليه في شقته الأنيقة في « سلون  
سكوير » ، أحمل معي مسجلاً وتساولات . وتهادى نهر الحوار بيننا في أمسية  
جميلة ، وكانت مضيفتنا ابنته التي تقيم معه الآن . وفجأة تحشرج صوت  
نزار وأشار لي أن أوقف المسجل . وقال وهو يتكلم بصعوبة : إنها آلام  
« الدسك » ، عذاب فقرات الظهر ! وجمعت أوراقى ولكنه سألنى : هل تبقى  
الكثير من أسنلتك ؟ وقلت وأنا أشفق عليه : هناك ٧ أسنلة فقط ! قال نزار :  
أتركها لي وسوف أجيبك بصوتى على شريط مسجل . ومرت أسابيع أخرى  
ووصلتنى رسالة نزار الصوتية ومعها خطاب رقيق حملته شقيقة زوجته  
الراحلة بلقيس ، وهى سيدة عراقية فاضلة . وإذ أنا أستعد لأعداد الحديث  
فاجأتنى آلام الرئة ، وكان ما كان . وبعد شهر كامل قضيتة في فرنسا بين آلام  
وعلاج ونقاهاة ، شعرت ان حديث نزار « يتململ » في المظروف الأصفر ،  
فأخرجت عنه !

● أنت الآن تسكن في لندن بعد طوّل رحيل ، ماذا تعنى لك هذه المدينة ؟ كيف ترسم لنا علاقتك معها ؟

نزار : لندن علمتني كيف أحب اللون الرمادي . حين دخلتها عام ٥٢ كان جسدي مغطى بالغبار الصحراوي ، وعندما اصطدمت بأول غمامة رمادية ، تحول الغبار في داخلي إلى ماء ، ومثلما اصطدم الشاعر العربي ببساتين الأندلس وأشجارها ونوافير مائها ، فتغير هو وتغيرت لغته وتغيرت صياغته وأشكاله الشعرية ، اصطدمت أنا بالريف البريطاني فتغير خطابي الشعري وأصبحت أكتب باللون الرمادي وأعشق باللون الرمادي . في لندن تخلّيت عن بداوتي وركضت كطفل مبهور على أعشاب هايدبارك ، وهولاند بارك وكانت حصيلة اقامتي اللندنية الأولى عام ٥٢ - ١٩٥٥ ، مجموعة شعرية بعنوان قصائد أعتبرها من أهم أعمال الشعرية . علمتني لندن أيضا ، كيف أحرر من صداد الجنس وكيف أنادي المرأة ( يا صديقتي ) بدلا من ( يا عشيقتي ) وكيف أذهب مع امرأة إلى المسرح أو إلى المطعم أو إلى الكونشيرتودون أن أستعمل أظفري وأسنانني . تعلمت - يا أخي - كيف أتأمل بطة سباحة في بحيرة أو زهرة سباحة بغيرها أو شجرة مزهومة بكبريائها .

● ما الفرق بين المرأة الانجليزية والمرأة الفرنسية في عين الشاعر ؟

نزار : الفرنسية فضيحة معلنة . وأنا ( ما بأحب الفضائح المعلنة ) أنا أحب أن أكتشف المرأة لا أحب امرأة تعطي كل شيء من اللحظات الأولى . مع المرأة الانجليزية ستارة ولا ينكسر بينك وبينها أي شيء ويبقى الهمم . وأنا أصر على كلمة الهمم . نحن نصنع جمال المرأة وفتنتها ونشكلها بوهمننا . أنا أحب المرأة التي اصنعها مثل جماليون ١

● أنت محاط في هذه المدينة بأباطرة الموضة والأزياء .. هل هي صدفة ، أم هذا اختيار شاعر ؟

نزار : لم أكن أعرف سلفا قيمة هذا الشارع ، فإذ ابى أكتشف في كل خطوة أمشيها ، اني أمام فترينة لمصمم عالمي شهير من مصممي فرنسا . جميل أن يتوضأ الإنسان بالجمال أو يتفرغ بالجمال صباح مساء . وهذا اضافة إلى عملي الشعري ، فعندما تلبس المرأة بشكل جميل وحضاري تزهر القصيدة ببطلتها ١

● وببيروت ( ست الدنيا ) كما تقول عنها في إحدى قصائدك ، هل تفكر أن تعود إليها إذا عادت ؟

نزار : لولم تسألني عن بيروت لاخترعت حديثا عنها ، ولكني أثق في أن بيروت التي أحببتها أنت يا مفيد وجمعتنا زحلة ، لن تسقط سهوا منك . أنا لا أؤمن بأن الأشياء الجميلة تكرر نفسها . بيروت مثل الطفولة ومثل الأنوثة ومثل القصيدة ومثل رسائل الحب الأولى ، لا يمكن أن تعود بذات الزخم والايقاع . بيروت فراشة ربيعية طارت في سماء البحر الأبيض المتوسط من الأربعينات إلى السبعينيات ، ثم احترقت اكان جمال بيروت أكبر من قدرتنا على الاستيعاب . ولأن بيروت كانت جميلة جدا وحضارية جدا ، وليبرالية جدا فقد قتلناها ، لأننا في المنطقة العربية نكره المرأة الجميلة والمدن الجميلة والكلمات الجميلة . بيروت كانت مدينة الحرية

بلا منازع ، ولأتنا نكره الحرية والأحرار ، فقد ذبحناها من الوريد إلى الوريد .. واسترحنا .

● يبدو أنك كنت بحاجة للإطار العائلي . ها أنت وابنتك معا في بيت واحد .. الأزلت تشعر بوحدة ؟

نزار : كنت بحاجة لهذا الإطار العائلي كما قلت . ابنتي الثانية متزوجة وتقيم في لندن على مقربة مني . لقد قطعت سنوات طويلة متوحدا مع شعري ، وأنا لا أنكر أهمية الوحدة للشاعر . في جنيف كنت متوحدا أنا وبحيرة ويطه وعصافير وأوراق . اختنقت ، وكان لا بد أن استنشق بعض الهواء العائلي . فكانت زينب تدرس في لوس انجلوس ( الفاشيون ديزاين ) تصميم الأزياء وأنهت دراستها وجاءت إلى لندن لتعيش معي . وابنتي عمريدرس الكمبيوتر في بوسطن وسيُنهى دراسته بعد عامين وسوف يأتي لينضم إلينا .

● يأتي السؤال عن بلقيس طبيعيا في سيناريو الحوار . أسألك ، بلقيس الزوجة والرفيقة والشهيدة الحاضرة الغائبة ، كيف تستحضرها بعد عشر سنوات من رحيلها ؟

نزار : توقعت منك السؤال خصوصا بعد أن « فرشت » بسؤال سابق عن الإطار العائلي . متعة الحوار معك انه ( لوحة منسوجة ) وأعود لسؤالك . بلقيس جزء من عمرو من عيش مشترك ومن تاريخ . انها نموذج نسائي لا يتكرر بسهولة . أهم ما فيها هو عقلها وكبرياؤها ، وأنا لا أعترف بأية امرأة لا عقل لها ، ولا كبرياء لها . كانت صديقة شعري قبل أن تكون صديقتي ، وكانت تقتسم الحياة معي نصفين واللقمة نصفين والقصيدة نصفين . لم تكن تغار من أحلامي ومن أوراقى ودفاترى ، ولم تكن تعتبر قصيدتى « ضرة » لها ، بل كانت جزءا من مجدها الشعري .

● هل عشت حبا تعطشت إليه . هل لديك حنين ما بتعرف لمن ؟

نزار : أنا في حالة حب لا ينتهى ، وليس بالضرورة أن يكون حبا نسانيا . أنت تستطيع أن تحب كل الأشياء الجميلة . كانت المرأة دائما حبيبتي وسوف تبقى دائما حبيبتي ، لكننى أضفت إليها ( ضرة جديدة ) تدعى الوطن . وأنا خلصت إلى عدة حقائق مع المرأة . فالرجل العربى يمضغ الطعام بسرعة ويمضغ النساء بسرعة ، ولذلك فهو مصاب بقرحتين والجش لدى المرأة استيطان ولدى الرجل سفر المرأة والقطة لهما قضية واحدة لا تحل إلا بالأظافر وحرية المرأة ليست مكياجاً تضعه على وجهها للتجميل ، بل هى ( كوريدا ) إسبانية ، لا بد فى آخرها من قتل الثور أو أدركت أننا لن ندخل إلى نادى المتحضرين ما لم تتحول المرأة لدينا من شريحة لحم إلى معرض أزهار . نعم جسد الرجل يحمل جواز سفر دبلوماسيا وجسد المرأة يحمل تذكرة مرور صالحة لسفرة واحدة !

● يا عزيزى نزار ، أظن أن أمسيات المرشد العراقى لم تكن لوجه الشعر ؟ انسى أسألك بعد أن طال صمتك !

نزار : والله لم تكن نعرف هذا . كنا نذهب وكنا نفرح . ما كان أحد يتصور أن تتقلب الأمور إلى عكسها . كنا نذهب - من منظورنا - لوجه الشعر لا لوجه الحاكم



## □ الذين ذهبوا الى المريد العراقي كان خافيا عليهم طموحات النظام السياسية !

ولا لمديحه . وأنا في حياتي لم ألق قصيدة في المريد ولا في غير المريد أمدح فيها حاكم البلد الذي أزوره . أنا أقرأ قصائد العنيفة والجارحة والصارخة وأحزم حقائبي وأمشي . المريد كان عبارة عن موسم من المواسم الثقافية ، وكنا نجتمع فيه بأصدقاء وشعراء من كل الدول العربية وربما كان هذا هو الريح الوحيد . أما فيما يتعلق بي ، فلم تكن قصائد منبرية ولا تكلمت في العنتریات ولا احترفت الكذب ولا لبس الاقتعة .

لم أرفع قبعتي لأى حاكم مهما كان شأنه ، لذلك إذا كان المريد تحول إلى شيء آخر أو همى ليجمع أصوات شعراء فهذا لم يكن في الحسبان ، حسبان أحد وأنا هنا أدافع عن جميع الشعراء ولا أَدافع عن نفسى فقط . أعلنها لك : كل الذين ذهبوا للمريد بما فيهم أنا ، ذهبوا لوجه الشعر !

● لماذا لم تكتب شعرا خلال حرب الخليج ، في حين كان الناس ينتظرون سماع صوتك ؟

نزار : هذا سؤال جيد توقعت أن تبدأ به حوارك ، ولكنى أحفظ طريقتك ! انك توحى بأسئلتك الأولى بالطمأنينة لمن تحاوره ، ثم بهدوء شديد تدخل إلى بيت القصيد ! السؤال لماذا لم أكتب شعرا خلال حرب الخليج ؟ لأن قصيدة الشعر ليست غسالة أوتوماتيكية تفصل وتعصر وتنشف خلال نصف ساعة ! العمل الشعرى عمل مسئول يتطلب الشغل الطويل والصبر الطويل حتى يصل إلى مرحلة الاختمار والنضج . أنا ضد الأعمال الانفعالية المسلوقة في الفن ، والقصيدة ليست صراخا في مظاهرة أو إعلانا انتخابيا أو تعليقا صحفيا سريعا في جريدة يومية ، إنها عمل ثقافي وتاريخي مسئول ، وأنا لا يمكن أن أخون تاريخي ! كل الثورات التي مرت في العالم لم تظهر أثارها على الورق إلا بعد سنين . خذ بيكاسو ، عندما رسم لوحته المشهورة عن الحرب الأهلية الأسبانية عام ٣٢ رسمها في باريس في الخمسينيات أو الستينيات ، بعد مرور ٣٠ سنة على انتهاء الحرب الأسبانية . ● هناك بعض المفردات التي تداولتها الأسنة خلال حرب الخليج ومنها كلمة ( اختراق ) وقيل بوضوح أن هناك اختراقا لبعض الأدباء وبعض الشعراء وبعض المثقفين الذين انحازوا إلى الجانب العراقي وآثروا الصمت ! هل ... !؟

نزار : تسألنى هل تعتقد أن الأديب أو الشاعر أو المثقف يمكن اختراقه . والله هذا يتوقف على الجهاز العصبى للكاتب وعلى جلده ، فإذا كان جلده من الرقة والشفافية والأنوثة أمكن اختراقه وهذا لا يستحق كلمة أديب . الأديب رجل له عقل وإرادة وتماسك ولا يجوز بأى حال ( اختراقه ) ومن تحدثوا عن غزو ثقافى وأننا مهزومون ثقافيا ، غير صحيح . لا أحد يستطيع أن يغزوا أمة أو عقلا أو قلبا أو فكرا إلا إذا كان هذا الفكر ( منبطحا ) أى انبطاحيا كما يقولون أو راغبا أو سريع العطب . لذلك لا أفهم أن يتطوع أحد ويقول انهم ( اخترقوني ) لأنى أثرت الصمت لأن القصيدة ليست عملا مسلوقا !

وأعود مرة أخرى للمريد . لقد كان سوقا ثقافية لكل أسواق العرب التاريخية كسوق عكاظ الشهير . كنا نذهب ببراءة وطفولة . لم يكن أحد منا يفكر بأن الجهاز الاعلامى سوف يستغله أو يبتزّه أو يجنده لخدمة طموحات النظام السياسية

وباستثناء قلة من الشعراء ، احترفت مديح الخليفة العباسي واحراق البخوز له ، فإن الشعراء الذين يحترمون أسماءهم وتاريخهم الشعري ، لم يتورطوا في عملية تجميل النظام بل دخلوا إلى المربد وخرجوا منه وهم يحتفظون بكبريائهم وكبرياء الشعر .

● قصيدة مايا ، عرضتني للهجوم . البعض قالوا : كيف تنشر عملا جنسيا ؟ نزار ( بغضب ) : هؤلاء لم يقرأوا القصيدة . مايا ، عبارة عن وردة جميلة سمحت لنفسى أن أخذ كاميرا تصوير وأصورها بكل فتنتها وكل أنوثتها دون اسفاف ودون هبوط . مايا قصيدة حضارية ١٠٠٪ . الحقيقة أنا صورت مايا ولم أخجل من تصويري ، لأننى لم أخجل أمام الجماهير ولا مايا اختلجت من التصوير ! مايا - كما قلت لك - وردة جميلة ، وكل الورود تحب أن تتعطر وأن تتكحل وأن تلبس خواتمها وأساورها وهل تتصور انه ليس هناك امرأة في العالم لا تريد أن يكون لها صورة جميلة .

● هل تعتقد أن الشعراء يصنعون الديكتاتور ؟ نزار : نعم . لأن قصائد المديح والتبخير والتطليل والتزميز تساعد كثيرا على صناعة الأوثان . وكم من وثن صنعناه بالشعر وبالصحافة وبالأدب دعنى أقولها بصراحة يجب الانبريء أنفسنا ككتاب من صياغة أو صناعة الديكتاتور . الديكتاتور نرجسى ويحب ذاته ويعتبر نفسه الأجل والأعدل كما قلت في قصيدتى السيف العربى يعتبر نفسه سيدنا يوسف عليه السلام . كل ديكتاتور لا يصدق إلا كلمة المديح ، وحينما تقول له : لا ، فاقرا السلام على روحك . جزء كبير من المسئولية يقع على الشعوب وعلى الكتاب الذين هم طليعة ثقافية ، فعندما يشترك المثقفون في الكورس يتحولون إلى نقابة للشحاذين !

● بعد خمسين عاما من رحلة الشعر ، هل تتصور أن فن النقد كان على مستوى الشعر العربى ؟ وهل استغفرت من نقد نازيك ؟

نزار : بكل صدق أقول لك ان النقد لم يعلمونى شيئا . لم يكونوا لافتة تدلنى على الطريق ، انما كانوا حاجزا مليئا بالأشواك والمسامير واكياس الرمل على الطريق ، طريقى ! ان النقد العربى كالسلوك العربى ، قائم على العصبية والتوتر والانفعال . انه نقد « غرائزى » يستعمل الانبياء والأظافر في التعامل مع الشعر . اننا لا نقرأ النص الشعري بحضارة وموضوعية وروح علمية ، انما نهجم على حياة الشاعر وخصوصياته بالهراوات والسكاكين حتى تتحول القصيدة بين أيدينا إلى جثة ! وباستثناء بعض النقاد المنهجيين ، فإن فن النقد لدينا تحول إلى حفلة ملاكمة يابانية ، وأعتقد ان الصحافة اليومية غير المتخصصة لعبت دورا سلبيا في تسطيح الشعر حتى جعلته مرتبعا بدواليب المطبعة وأرقام التوزيع وحضان السياسة والايديولوجيات !

● ماذا يبرر كتاباتك النثرية « مائة رسالة حب » هل هذا نهاية حتمية للشكل ؟ نزار : لا أعتبر ان النثر هو الشكل النهائي للشعر . وأنا لا أؤمن أصلا ان هناك نهايات مطلقة للشعر . أنا ضد الوثنية الشكلية بكل أنواعها ، وأنا أرى ان المبدعين الحقيقيين يتجاوزاتهم اليومية لأنفسهم يستطيعون أن يهربوا من

□ « مايا » وردة  
سمحت لنفسى  
ان اصورها بكل  
فتنتها دون  
اسفاف أو هبوط

□ النقد  
كانوا في  
طريق مسامير  
واكياس رمل  
ليس إلا !

فخ الشككية . بالنسبة لى ، فإننى منذ عام ١٩٦٦ ، وعلى وجه التحديد منذ أن أصدرت مجموعتى الشعرية « الرسم بالكلمات » أدركت اننى أنهيت دورة شعرية كاملة ، وأن كل تحرك منى على المحور ذاته سيكون فيه مقتل .. وبدأت أقلق وبدأت أخاف أن يسقط المسرح من تحتى ، وبدأت أبحث وأشتغل على معادلات شعرية جديدة تنقذنى من قطار الشعر العثماني المتدهور . أول محاولة للخروج من قطار الأشباح ، كان « كتاب الحب » وفيه حاولت أن أقص جميع النقوءات اللغوية فى بلاغتنا العربية ، ثم كما أشرت كانت تجربة « مائة رسالة حب » . باختصار ان يدى - دوما - موجودة فى الصلصال الساخن ، وأجد نفسى محاطا بتحولات تاريخية حضارية تدفعنى إلى ان أغير جلدى اليومى وأغير أصابعى إذا اقتضى الأمر وإلا سقطت تحت عجلات التاريخ !

● كيف يمكن للشعر أن يتوجه إلى المستقبل ؟

□ الشعر  
يتوجه للمستقبل  
بالانقضاء وكسر  
الساعات الرملية !

نزار : بالانقضاء والتجاوز وكسر الساعات الرملية التى حبست الزمن الشعرى العربى فى اطارات ومربعات ودوائر تشبه نقوش القيشانى المرسومة على حيطان حمامات دمشق . بالحرية وحدها ، نخرج من مرحلة القيشانى ونكتب على جدران العصر ، وبالحرية ندخل إلى أرض الدمشقة والمفاجآت حيث الجبال تتحرك باستمرار والأشجار تطول وتقصر على كيفها والأحجار تغير شكلها فى كل ثانية والأرض تضجر من كرويتها ، والأرض حبلى بملايين الاحتمالات !

□ الكتاب  
والشعراء تزورهم  
الجلطات لانهم  
يدفعون ضريبة  
الابداع !

● هل يستطيع الشاعر أن يكتب كوكبا أو قوس قزح أو قاع بحر ؟

نزار : نعم ، يستطيع ! الا تشم فى « المقبرة البحرية » لفاليرى رائحة الأعماق ؟ وفى شعر لوركا الا تسمع هفيف مراوح الأسبانيات ؟ وفى شعر ووردن وورث الا يغلفك ضباب الجزيرة البريطانية وسماواتها الرمادية ؟ ( عيون الزا ) ، اليس قوس قزح رسمه أرغون بأجمل ألوان اللهفة ؟

● هل ترحب بأن تحكمنا النساء ؟

نزار : ولماذا نرفض أن تحكمنا النساء ؟ اليس صوفيا لورين أجمل وأعدل وأكثر ديمقراطية من الرفيق تشاوتشيسكو ؟ اليس ميلينا ميركورى أكثر ثقافة من الرفيق ستالين ؟

● قل لى لماذا الكتاب والشعراء والمفكرون تدق عليهم « الجلطة » .. وتزورهم وقد تقم فى صدورهم أو قلوبهم أو عقولهم ؟

نزار : نحن ندفع ضريبة الابداع ، ليس هناك شىء بدون ثمن فى هذه الحياة . الشاعر أو الكاتب الحساس أو الروائى عبارة عن رجل انتحارى ، يتنحر يوميا على ورقة الكتابة حتى لا يبقى سوى رماده . حين أصبت بالذبحة القلبية عام ٧٤ قلت انى لست غاضبا فلابد أن أصاب بذبحة قلبية لأنى لست بقالا ولا موظفا ولا بائعا ولا قومسيونجيا ولا صرافا . هؤلاء ليس لهم هموم ولا يصابون أصلا بذبحة قلبية . أما حين أعيش فوق قنبلة موقوتة وأعيش على طرف زلزال فلا استغرب زيارة الجلطة !

الابداع هو حريق ، مثلما يحترق الهندى على الطريقة البوذية ويدخل

النار ، نحن ندخل في القصيدة أو في الرواية أو في الكتابة ونختفي ، لذلك فأنا أحب أن أتحوّل إلى رماد . الشاعر لا يكتب أصلاً في الغرف المكيفة الهواء . الشعر يكتب فوق خط الاستواء . الكلمة ياسيدي عندما تخرج من بين أصابعنا يخرج معها على الأقل ١٪ من عمرنا . الكاتب المبدع يشيخ مع كل كلمة يكتبها . أنا أشعر أنني مع كل قصيدة أكتبها تروح من خلايا دماغي بليون خلية ، هذا ثمن عادل جداً لمن يريد أن يكتب !

● هل يحبك كل النساء لأنك تقوم ثورة تصحيح مسار باسمهن ؟  
نزار : ليس كل النساء ! هناك نساء مستريجات لأوضاعهن كحريم يتعاملن مع الرجل بالأظافر والأسنان . ولكني أعترف لك لم يكرهني إلا القبيحات . كل امرأة قبيحة كنت غريمها . أنا أتكلم عن الجمال والضوء والنهود ، والمرأة القبيحة لا تحتمل ، فأنا ضرتها ، الذباب عندما يسلطون عليه روائح زكية يموت ، مثلما أسلط الشعر الجميل على القبيحات . أنا لا أتصور أن هناك فراشة معقدة ، ولكني أتصور وجود خنفسة معقدة .

● تعشق الجميلات ؟

نزار : ليس هناك قانون للجمال . أكره ملكات الجمال في العالم . انهن لسن ملكى . لقد خلقوا لكل العالم . والمرأة التي أحبها ، لي وحدي . ملكة الجمال مفاس خصرها ٣٢ وعرض صدرها ٩٠ ، هذه مقاييس للمهندسين في بناء البنايات . كل ملكات الجمال ، بتقرير لجنة حكام مثل لجان ترقية الموظفين ! ما يلفت نظري لامرأة ما ، انها تحبني وتشعرني برجولتي وأهميتي وتصادق قصائدي ولا تغار منها !

.....

وقلت للشاعر نزار قباني : كيف استقبلت قصيدتك « أسالك الرحيل » .. وأين

كنت ؟

وزفر نزار زفرة حادة .. وتكلم !



□ أنا ضرة  
المرأة القبيحة  
فهي لا تتحملني  
وأنا أتكلم عن  
الجمال والضوء  
والنهود

الفرق بين السياسى والشاعر، كبير!

فالشاعر أخلد من السياسى، لأن الفن أبقى من السياسة. وعندما أحاور رجل سياسة ارتدى مثله أقنعة لأنى أعرف انى أدخل فى مباراة. من يكسب فيها، ذلك الذى يحمل وجه مقامر وجهها باردا خاليا من أى انفعال. أما الشاعر حين أحاوره. أخلع كل الأقنعة وأشعر اننا نجلس فوق ربوة على كتف نهر! وحين كنت أشارك نزار قبانى تلك الأمسية اللندنية، كنت أشعر أن الحروف حولنا تتراقص، فهذا مهرجان الكلمة! ومثلما اللوحة بحاجة الى من يراها والتمثال بحاجة الى من يلصقه والسيمفونية بحاجة الى من يسمعها، كذلك القصيدة بحاجة الى الاحتضان، ربما لأن الشعر أكثر الفنون حاجة الى الانسان لانه مشتبك بلحم الانسان وبغمة، بحنجرتة. وأظن ان الشعر تقدم تاريخيا على كل الفنون الأخرى. فقبل أن يتمكن الانسان من تهذيب الحجر وتركيب الوتر، استطاع أن يجد الصلة بين ليله الطويل وبين شعر حبيبته فى أول قصيدة غزل! رحلة نزار منذ أدمن السفر تغرينى بكتاب يضم حوارا واحدا معه وليس حديثا صحفيا فى بضع صفحات. منذ أحب نزار السفر وعرف دوار البحر صارت سطوح المراكب سريره ومقاعد الطائرات وطنه. وصار قلبه مليئا بحقيقية امرأة، وكرويا كالأرض ومزدحما كمدن الصين!

ولو قدر لى يوما أن أقنعه بفكرة الحوار الطويل الطويل، لقمت معه داخل رأسه من شمس القاهرة الى مآذن استبول الى أمطار هونج كونج الى نافورات روما الى شعوب لندن الى مرتفعات اسكتلندا الى ثلوج موسكو الى معابد تايلاند الى حائط الصين الى نبيذ الراين الى مقاهى الرصيف فى سان جرمان الى ملاعب مصارعة الثيران فى أسبانيا الى كهوف الفجريات فى غرناطة الى حقول التوليب فى هولندا الى كريستال البحيرات السويسرية الى المظلات الملونة على رمال نيس.. الى قراميد البيوت اللبنانية الحمراء.. ولا أظن أن قاموس نزار قبانى الشعرى له جنسية، فهو ليس مصرياً ولا دمشقى ولا لبنانياً. انه ينتمى لدولة الانسان، حيث عاصمتها الشاعر وقراها الأحاسيس! ونزار (مُنشد) يطلق (أرغوله) بين الشرايين والأوردة. وأحيانا تقيم قصائده تحت جفن أو تنام على ساعد ولا يريد نزار أن نقرأ قصائده ونقتنى دواوينه، انما يريد اصغافنا لشعره فوق شفاة عبدالحليم حافظ أو نجاة الصغيرة، مُغنى!

● لهذا سألت الشاعر عن إحدى بثاته ( أسألك الرحيلة ) المفنأة كيف استقبلت ميلادها .. و..

ولم يجعلنى نزار أكمل عبارتى بل تغيرت نبرته واكتست بالغضب :  
- لم أكن أنتظر أن عملاً كـأسألك الرحيلة يمكن أن ينتظر ثلاث أو أربع سنوات ليرى النور . صار عندى أحياء وهبوط . تنقلت القصيدة بين الملحنين وأقفلت عليها الأدراج وأقيمت عليها الدعاوى . ثم جاء ميلادها فى وقت ميت . كيف فات على عبد الوهاب أستاذ التوقيف ، الأفراج عن القصيدة أثناء حرب الخليج ؟! كان الأمر كارثة كبرى ! لا الوقت كان وقت طرب ولا وقت شعر ولا وقت غناء ! فالعمل لم يأخذ مساحته ولم يظهر فى الوقت الذى كان ينبغى أن يظهر فيه . أنا أقارن بين عمليين من أعمالى . قصيدة ( أظن ) عام ٦٠ التى فجرت الدنيا العربية من المحيط الى الخليج ، جاءت فى وقت كان العصر الذهبى لها . كانت حادثة شعرية لم يسبق لها مثيل . أما أسألك الرحيلة ، فقد ولدت ميتة !

● وأسأل نزار ( هل ظهر صوت بعد عبد الحليم حافظ يحرضك على أن تعطيه قصيدة ؟ )

قال بسرعة : بكل صراحة لا . أنا افنقدت عبد الحليم الانسان ربما أكثر من الفننى . يا أخى عبد الحليم فنان ، وشاعر . لم يستطع أحد سوى عبد الحليم أن يلتقط الأشياء الصغيرة والرقيقة والحميمية فى شعرى مثلما استطاع هذا الرجل أن يلتقطها ، لذلك هو الذى أشار على القصيدتين ( قارئة الفنجان ، ورسالة من تحت الماء ) منذ أن قرأ أعمالى الشعرية التى قدمتها أنت له فى أحد أعياد ميلاده باعتباركما علمت أبناء برج واحد هو الجوزاء ! ولم تظهر لى أعمال أكثر بهجة وجمالاً من هاتين القصيدتين . لقد رايت عبد الحليم وهو يغنى قارئة الفنجان قبل أن يموت . كان يغنى بجهازه العصبى ، بعينه ، بقلبه ، بشرايينه ، لم يبق شىء منه إلا وتحول الى رماد وهو يغنى . لذلك سيمر وقت طويل طويل ، وأؤكد على كلمة طويل قبل أن يأتى مغن مثل هذا ( الشاعر ) !  
● قلت لنزار : أنت أستاذ من أساتذة العشق ، فهل تعتقد أن العاشق الذكى هو الذى يعرف الرحيل فى الوقت المناسب حتى لا يتحول الحب إلى وظيفة أو نوع من أنواع الخدمة العسكرية ؟

ضحك نزار للتشبيه الأخير وقال : بدون تردد أقول ( نعم ) . فالعاشق الناجح هو الذى يتقن حساب المسافات والمرأة الذكية هى التى تعرف أن تقول لحبيبها وهى فى ذروة أشواقها ( أسألك الرحيلة ) .

قلت همساً : الالتصاق الطويل ، يقتل الحب ؟!

قال يكمل عبارتى : لأن العناق المستمر يخنق الأنفاس !  
لا أظن أن الأمر يحتاج الى تكتيك وإجازة عاطفية .

قال نزار صائحاً : الإجازة العاطفية هى بيت القصيد . انها ضرورية كالإجازة الادارية والإجازة الصحية وإجازة الولادة التى تأخذها المرأة الحامل لترريح جسدها وأعصابها من رائحة الرجل ومن غلاظاته !

□ أسألك  
الرحيلة ، عمل  
فنى مات  
لحظة ولادته !

ثم اعتدل نزار في جلسته وتحنن مثلما يفعل عبدالوهاب وقال : اسمع ماذا  
أقول في قصيدتي ( النساء والمسافات ) أنها تصوير دقيق لهذا الموقف .  
اتركيني .. حتى أفكر فيك

لا تكوني حبيبتى رغم أنفى  
ما تمنيت أن أحبك زرا  
أنهى عن تنفسي لحظات  
فالحصار العقيم لا يجديك  
أنت مثل النبيذ يحترق برفق

فلماذا بلحظة أنهيك

● قلت لنزار: أنت الآن في مرحلة النضج الرجولى ولعلك بعد ٥٠ عاما من الشعر  
فهمت المرأة ..

أجاب الشاعر : أولا ، أنا لم أفهم المرأة ولا أظن أنه مطلوب من الشاعر أن  
يفهم المرأة ، يجب أن تظل وهما جميلا يغلغها غموض جميل . وأنا الآن مثلما  
تفضلت في مرحلة نضج وصرت أشد حكمة وأكثر حضارة . أنا الآن أكثر تفهما  
لطبيعة الأشياء . انتهى عصر الانفعال السريع والانبهار السريع ولم أعد أؤمن  
بجمال يبهرنى للحظة الأولى . أنا الآن يبهرنى الحضور الأنتوى ، الفكر  
الأنتوى ، الذكاء الأنتوى ، المرأة العربية - صدقنى - بحاجة إلى أن تقدم  
نفسها للرجل العربى تقديما جديدا . المرأة ليست فستانا ، وأنا قلت مرة أن  
أسوأ مصادر الشعر هى عارضات الأزياء . أنا لا أبحث عن موديل أو ملكة  
جمال . أبحث عن امرأة تقيم معى حوارا حضاريا . اليوم وأنا أكتب عن  
عاشقين في كافيتريا لأبد أن يعبر بينهما صاروخ سكود أو باتريوت . كيف  
نستطيع أن نهرب من التاريخ . بعض النساء يعتبرن الكوافير هو وزارة  
ثقافتهن .. والكتاب الأجمل عندهن : زجاجة عطر .

● قلت لنزار قباني : أعطاك عبدالحليم حافظ الشهرة أكثر حين غنى قصائدك .

رد نزار وقال : عندى رأى لا أخاف أن أعلنه !

● قلت : كللى اصفاء !

قال نزار : الموسيقار محمد عبدالوهاب هو الذى جعل أمير الشعراء أحمد  
شوقى شهيرا ومقروءا على امتداد الوطن العربى ، وليس العكس !  
( ظهر على وجهى علامة دهشة ) .

عبرها نزار واستطرد يقول : لولا محمد عبدالوهاب لبقيت ( يا جارة الوادى )  
( علموه كيف يجفون جفا ) و ( ردت الروح على المصنئ معك ) و ( يانا عما رقدت  
جفونه ) و ( مضناك جفاه مرقد ) و ( ياشراعا وراء دجلة ) مطروحة مع الوف  
الدواوين على سور حديقة الأزيكية !  
( ظهرت علامة تعجب على وجهى ) .

□ قلت لها :

اتركيني حتى  
أفكر فيك  
وأبعدى خطوتين  
كى أشتيهك !

□ لولا محمد

عبدالوهاب  
لبقيت قصائد  
شوقى على  
رصيف سور  
الأزيكية !

عبرها نزار واستلورد يقدم حيثيات رأيه . لقد كان شوقي يشعر في أعماقه أن شعره ( المكتوب ) سيكون جزءا من تراث عصر النهضة ، ولكنه كان يتطلع إلى ما بعد عصر النهضة ، بل كان يريد أن يكون موجودا في كل العصور . وعندما استمع أمير الشعراء للمرة الأولى إلى صوت محمد عبد الوهاب الجميل ، الجديد ، الواعد ، أدرك بنبوءة الشاعر أن هذا الصوت سيكون جسره إلى الجماهير ومفتاحه إلى الأزمنة القادمة .. إنها صفقة تاريخية مذهشة .. ربح فيها محمد عبد الوهاب كنزا من القصائد وثروة شعرية لا تقدر بثمن .. وضمن فيها أمير الشعراء أحمد شوقي كرسيه دائما في كل العصور !

● قلت لنزار: أريد أن أعرف الفرق بين الشاعر والزعيم ؟ لقد رأيتك في أمسيات شعرية وعندما دخلت القاعة احتفت بك الأكف تصفيقا وكأنى أرى زعيما أمامى ! قال الشاعر : الزعماء يأتون ويذهبون ، أما الشاعر فهو باق على هذه الكرة الأرضية ما بقيت تدور . هل تظن أن المتنبي مات ؟ هل تظن أن شكسبير مات ؟ هل تظن أن اللورد بايرون مات ؟ أنا أقرأ المتنبي الآن وأشعر أنه لا يزال في كل مجلس . نحن نستشهد بشعر المتنبي وجارسي لوركا وعمر الخيام وغيرهم هادول - مفيد - محفورين في شرايين الأرض وجدورها . كلما طلع الربيع ، يطلعون معه !

● سألت نزار: مدرسو اللغة العربية وآدابها يلعبون دورا خطيرا في فتح شهية الطلاب الأدبية أو سدها . فربما جعلها ساعة تعذيب وربما حول النصوص الجامدة إلى نزهة في ضوء القمر . أنت ماذا كان نصيبك ؟

قال نزار : أنتى أدين لمدرس اللغة العربية الأول خليل مردم بك بهذا المخزون الشعرى الراقى الذى تركه على طبقات عقلى الباطن . وإذا كان الذوق الشعرى عجينة تتشكل بما نراه ونسمعه ونقروه في طفولتنا ، فإن خليل مردم كان له الفضل العظيم في زرع وردة الشعر تحت جلدى وفي تهيئة الخماثر التى كونت خلاياى وأنسجتى الشعرية !

● وقبل أن أبدأ في اللقاء تساؤل جديد ، يادرنى نزار بسؤال لم أتوقعه . ( وأنت ماذا فعل بك مدرس اللغة العربية ؟ )

وقلت على استحياء : لست شاعرا وإن حاولت وأنا تلميذ في مدرسة بنى سويف الابتدائية أن أكتب شيئا أقرب إلى الشعر فقال ( السيد أفندى عبدالله مدرس اللغة العربية ، أتذكر الاسم جيدا ) أمام الفصل ( شعرك ركيك واسلوبك وخطك أكثر ركاكة ) واستطردت ونزار يصفى ( وأظن أن هذه العبارة القاسية التى أذمتنى هى التى صرفتنى أن أقرأ بنهم ويكون لى أسلوب مقبول ثم بذلت جهدا مضنيا لأحسن خطى السبىء ! )

وضحك نزار وقال : ( لقد أردت أن تبعث لسيد أفندى أنك تجاوزت العقدة ) وأومات برأسى وهمست لنفسى ( أين سيد أفندى الآن ) ؟ جاءت أكواب الشاى الانجليزى الجميل الايل جراى الذى أفضله ، وبدانا نرشقه في هدوء .

● عدت أسأل : كيف ( تنحت ) كلماتك ؟ من أين تأتى مفرداتك الشعرية . إن أبجدية نزار قباني صارت محفوظة ، ولفك تسلق الأصابع وتسلل للحناجر وتنام على أرفف المكتبات !



قال نزار : أنا لا أعرف من أين تأتي مفرداتي الشعرية ! لا أعرف ! أنا مثل راكب الدراجة ، من الصعب أن أشرح لك كيف أركبها . نحن نؤدى عمليات الابداع بشكل عفوى ولا نعرف . يعنى أنا لو فكرت كيف تأتى القصيدة ، ما كنت كتبت شيئاً . انها خلطة كيميائية نفسية تاريخية ، وأحياناً أقول لست وحدى أكتب القصيدة !

□ أستقطب  
هموم الجمهور  
وانفعالاته وأقف  
على أرض التوقع  
والنبوءة

● قاطعت نزار بسؤال : هل يشاركك جمهورك في كتابة قصيدتك ؟  
قال نزار بسرعة : إذا كنت تعنى بالمشاركة ان هذا الجمهور يجلس على أصابعى عندما أكتب ، فهذا غير صحيح ، أما إذا كنت تعنى بالمشاركة انى أستقطب هموم هذا الجمهور وانفعالاته وأتخسس بها كما تشم الخيول رائحة المطر قبل سقوطه فهذا صحيح . أنا أقف على أرض التوقع والنبوءة ! أنا أشعر ان العصور كلها تكتب معى . فانا حامل تراثان أعماقى بالإضافة الى تجربتى الشخصية . أنا أشعر ان هذه الخلطة الابداعية مجهولة المنبع اكل الذى أهتمه أن وظيفة الشاعر أن يحرق خيمة أهل الكهف ويزرع الألفام تحت قطار عصر الانحطاط . ولعل من أهم انجازاتى انى قلبت طاولة اللغة وجعلت الشعر جمهورية شعبية ديمقراطية .

□ كيف يتزوج  
البرق من البرق ؟  
النتيجة :  
حرائق وحطام !

● قلت لنزار : انك شاعر تصادمى !  
قال : هذا صحيح إذا لم أجد من ( أتخاف ) معه ، تخانقت مع ورق الكتابة .  
● قلت : قصائدك السياسية منها . قصائد انتحارية ؟

ابتسم نزار وقال : خلال ٥٠ عاماً ، كتبت الوف القصائد الانتحارية ولم أفكر أن أؤمن على أصابعى لدى أية شركة تأمين . لا قيمة لشاعر لا يحدث شغباً داخل اللغة وشغباً فى قشرة مجتمع التخلف ! يا أخى أصبح عرب المنفى أكثر من عرب الداخل ، حتى صار يحق لهم أن يحصلوا على مقعد فى هيئة الأمم المتحدة ! أنا منقلب على كل شيء حتى على لون عيني وفصيلى دمي ! والشاعر - ياسيدى - الذى يقبل أن يدخل بيت الطاعة ، يخسر بكارته وبكارة الشعر .

قلت لنزار : كشف لي الشاعر محمود درويش وأنا أحاوره مرة فى عمان عن شيء خاص فى حياته قال ( يا عزيزى مفيد حياة الشاعر مع شاعرة فى بيت واحد كارتة كبرى ) !

رد نزار : هذا صحيح . لا يمكن أن تضع النار على النار وتطلب أن يتقطر منها الماء . الشاعر برق والمرأة الزوجة الشاعرة برق فتصود حين يتزوج البرق من البرق ، لن يكون أولادك سوى حرائق ، وأنا مع محمود درويش تماماً . فقد كانت بلقيس تصادق قصائدى .. وتدلبنى اكانت بلقيس تعرف جيداً انه حين يطلب إلى أن أختار بين المرأة والقصيدة ، أختار القصيدة بدون تردد !

● قلت لنزار : هل سقطت بيروت منك سهواً ؟  
قال بغضب : لا يسقط الزمن الجميل منى مطلقاً ! ولكن الوقت احترق وأوراقنا احترقت ، وضفائير حبيبائنا احترقت ، حتى الماء احترق فى بيروت . لا يوم فى بيروت . هناك ( ثوان ) فى بيروت . اليوم التوقيى الذى تعارفوا عليه .. انكسر . الزمن اللبناني ، انكسر .

● قلت لنزار : لك ثلاث قصائد تحمل ثلاثة أسماء ، عبد الناصر وتوفيق وقصيدة

بلقيس .

قال نزار : القصائد تتجاوز الأشخاص . القصائد صارت ( حزب معارضة )

صارت ( قضية ) .

● قلت مرة - يا أستاذ نزار - في إحدى قصائدك :

سيلتى

عندى فى الدفتر

ترقص آلاف الكلمات

واحدة .. فى ثوب أصفر

واحدة .. فى ثوب أحمر

يحرق أطراف الصفحات

أنا لست وحيدا فى الدنيا

عالتنى .. حزمة أبيات !

ألم تعرف طعم الوحدة أبدا ؟

قال نزار : عرفت الوحدة بعد أن رقد جثمان بلقيس تحت الحطام .

● قلت لنزار : نكسة يونيو هزت الإنسان العربى وفجرت نفما فى أبجديتك وأحدثت

فيما أتصور زلزالا على دھاترك وانطلقت قصائدك تحمل لغة بمستوى الألم تتدفق

منها راحة الحراقى .

قال نزار : من تحت خرائطنا النفسية خرج أدب حزيرانى .. من حناجرنا

الملتثة بالملح والخيبة خرج . من عظامنا المطحونة وأحلامنا المطعونة وشفاها

التي شققها العطش خرج !

● سألت نزار عن قصيدته ( السيرة الذاتية لسياف عربى ) فانطلق ينشد .

أيها الناس .

أنا الحجاج .. إن أنزع قناعى تعرفونى

وأنا جنكيز خان ، جنتم

بحرابى وكلاى وسجونى

لا تضيقوا أيها الناس ببطشى

هأنا أقتل ، كى لا تقتلونى

وأنا أشقى ، كى لا تشنقونى

وأنا أدفكم فى ذلك القبر الجماعى

حتى لا تدفنونى

ثم رشف نزار من كوب ماء أمامه رشفة واستطرد ( يغنى )

أيها الناس

أنا المسئول عن أحلامكم ، إذ تعلمون

وأنا المسئول عن كل رغيك تأكلون

وعن الشعر الذى . من خلف ظهري . تقرأون

فجهاز الأمن فى قصرى يوافينى

بأخبار العصافير وأخبار السناهل

ويوافيني ، بما يحدث في بطن الحامل !

قال نزار : الكلمة ملكة ، ولكن بعض الانظمة تريدها ( شغالة ) وأنا - ياسيدي - لا أشتغل عند أى سلطان ، فكل السلاطين يشتغلون موظفين لدى شعري اماذا يبقى من الكاتب حين يصير عضوا في نقابة الشحاذين ؟ أنا شاعر لا اعترف بقصيدة لي ، لا تفتح ثوبا في غلاف الاوزون !

● قلت لنزار قباني : عندما أنظر في شعر رأسك الثلجي اللون ، أحس أنك عرفت أكثر من غيرك . أشياء منظورة وأخرى غير منظورة بحكم سباحتك ضد التيار . هانت الذي بعثت الحياة في أوصال الحروف ، فتبعثها صبية تضج بالحياة ، وأنت الذي برهنت لنا على قدرة لفتنا للنماء والتطور واستيعاب كل التجارب الانسانية التي يموج بها عالمنا الداخلي . قل لي خلاصة التجربة مع المرأة ؟!

قال نزار : المرأة تتزوج الغول بعد أن تستشير النجوم والأبراج وفناجين القهوة ، وبعد أن يأكلها الغول ، تخرج من بين أضراسه لتتزوجه مرة ثانية !

● قلت : خلاصة التجربة مع الكتابة ؟

قال نزار : ان رضى الكاتب أن يكون مرة دجاجة . تعاشر الديوك أو تبيض .. أو تنام فاقراً على الكتابة ، السلام !

● سألت نزار قباني : هل تشعر بالزهو لأنك شاعر مقروء ومسموع ومرئي ؟ قال ( بزهو ) : إذا كان جورباتشوف قد نادى منذ سنوات بالبريسترويكا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فإن التغييرات التي أحدثتها في لغة الشعر منذ خمسين عاما هي أيضا بريسترويكا نزارية !

□ الكلمة ملكة ولكن للأسف بعض الانظمة تريدها شغالة !







# طفولة سعاد الصباح

« البصرة كانت بساط  
طفولتي الأخضر » !

هؤلاء حاورهم مفيد فوزي • ٧١

العزف على الأم إنسان ، مهمة صعبة .  
وعندما يكون هذا الإنسان شاعرا ، تغدو المهمة أكثر صعوبة . وعندما يكون  
الشاعر امرأة ، يصبح الحوار سكيناً في مكان الجرح ، وعندما تكون الشاعرة قد  
سرقوا وطنها وهم نيام وسرقوا نخيله واعتقلوا نجومه ، يصير النزف من  
المسام والعيون .  
وذات مرة قرأت لنجيب محفوظ عبارة تقول اننا نتحرر من عذاباتنا  
عندما نحكيها ، إن العذاب لحظتها يرحل من الضلوع . فهل كنت أساعد  
الشاعرة الكويتية الكبيرة سعاد الصباح على التحرر من عذاب مكتوم يلون  
قاع عينيها ؟ هل كان حوارى معها ، حوار محاور يبحث عن الحقيقة بين  
شرايين قلب موجوع ، أم تلذذاً برائحة طير مذبوح ؟!

## □ العراق يبقى العراق بشعبه ومروءاته

- سألت موجوعة القلب : كنت تحملين دائما ابتسامتك ..  
قاطعتني : صرت أحمل اليوم ملف أحزاني وأحزان الوطن الكويتي المقهور ،  
الملف الذي أحمله ليس ملفا شخصيا وإنما هو ملف وطن صغير هو في طريقه إلى  
المحو والاستئصال بحجة انه خطأ تاريخي وجغرافي !
- قلت همسا وكأني لا أريد أن أكثف الجراح : تمنيت يوما يا سيدتي أن تتزوجي  
سيفا عراقيا ..
- قالت الشاعرة بقلب مكسوم : النظم العراقي مع الأسف الشديد أرسل إلينا عقد  
الزواج والمأذون على ظهر دبابه ، لذلك كفر الكويتيون بهذا الزواج السياسي الفظ  
وهربوا من بيت الزوجية تاركين وراءهم الجهان الذي وضع العريس يده عليه  
وشحنه إلى بغداد .
- قلت لسعاد الصباح : هل ندمت على هذا الهوى للعراق ؟  
تتمت بأسي : كنت دائما متهمه بأنى عراقية الهوى وأن كتاباتي شعرا ونثرا  
مبللة بأمطار العراق ورطوبة أنهاره ونضارة بساتينه ، وكنت أفاخر بهذه التهمة  
الجميلة . لأنى كنت أعتبر العراق الجناح العربى القومى الذى يغطينا ، ورغم  
الحزن الكبير الذى يعتصر أعماقى ورغم الخراب العظيم الذى يتراكم فى صدرى  
وفوق أوراقي . فأنا أعتبر نفسى ابنة الكويت حتى آخر العمر .
- قلت : لك ذكريات خضراء فى البصرة ..  
شدت خيط الحديث قائلة : كانت البصرة هى البساط الأخضر الذى التجىء إليه  
كما يلتجىء كل إنسان لمراعى الطفولة .. وطفولتنا هى البحر الذى نسبح فيه ،  
وعندما تغرقنا أمواج الحزن نحتفى بها .
- تنهدت الشاعرة ، وأضافت : ولدت فى البصرة ولى فيها ذكريات وصديقات ، على  
أرض البصرة ، عبث الريح بصفائرى ، على أرض البصرة اختلط اللون الأزرق  
باللون الأخضر .. وتعاقد التمر بأشجار النخيل ، وما جرى لا يغير موقفى من  
العراق ، فالعراق يبقى العراق بشعبه ، بفضائله بمروءاته ، بالنظام العراقى وليس  
العراق هو الذى ارتكب هذا الخطأ الفادح .
- سألت الشاعرة : من أين اكتسبت حريتك فى التعبير ؟  
أجابت باعتداد امرأة عربية : اكتسبت حريتى من أفق الصحراء ، هذا المدى  
اللانهاى ، الأفق فى الكويت والبحر فى الكويت ، الأفق مفتوح ، والبحر مفتوح ،  
وجاءت المعادلة : جموح الصحراء ومدور النهر وصبر النخلة فى العراق .
- قلت : يأخذ عليك البعض انخراطك فى حب العراق ..  
دافعت عن نفسها بحرارة : ربما كنت مخدوعة أو مغرورة أو رومانسية حتى  
اندفعت بكل عاطفتى فى تأييد نظام كان يخطط فى الظلام لإبادتى وإلغاء وجودى ،  
وأود أن أقول لهؤلاء البعض أن مواقف الإنسان ليست أسمنتية بل مصنوعة من  
الدم واللحم والأعصاب .. الشاعر برق ورعد ومطر وسماء دائمة التحولات .
- بين مهنة المحاور الصحفي والجراح ، خيط ما من التشابه ، فالجراح يبتتر ..  
وأسئلة المحاور لها نفس الخاصية !

● سألت سعاد الصباح : لا تذكرين صدام حسين في قصائدك أو مقالاتك ، تردين دائما عبارة ( النظام العراقي ) .

أجابت : ما أردت يوما أن أتدنى إلى مستوى الشتائم ، فأنا أخاطب العقل العربي ، صفوته وعامته ، ولا يحتاج هذا التشنج ، وعندما أقول النظام العراقي ، فأنا أقصد صدام حسين ، أنا لا أشتم لأن قضية بلدي واضحة وضوح شمس استوائية ، وأنا - بالمناسبة - ضد الشتائم حين يكون الحق منطقيا ، ماذا تفيد الشتيمة إذا جاءت على لسان كاتب أو شاعر ، لئلا تفيد لا سلبا ولا إيجابا ، قلبي ، قلم حضاري ينطلق من موضوعية ليصل إلى العقل ، أنا لا أحرك مشاعر الناس لدقائق ويعدها ينسون لب القضية .

● قلت للشاعرة : آخر مرة قابلت فيها الرئيس العراقي ، متى ؟  
قالت تمسح الغبار الأسود عن ذاكرتها : كان ذلك في المؤتمر الشعبي الذي كان حاشدا لكل الفئات الشعبية ، كنا أكثر من ألفي شخصية عربية تقف في خندق العراق وتؤيده بعد تهديدات إسرائيل ، وبعد أن قال الرئيس العراقي انه سيحرق نصف إسرائيل ، فإذا به بعد قليل أحدث شرخا في الأمة العربية شعوبها وانظمتها .

● قلت لسعاد الصباح معتذرا عن سؤالى الذى بدأ وكأنه سهم أرسقه في وجدانها : بعض الناس ، يا سيدتى ، يقولون باعتبارك الصوت الأقوى في معركة استرداد وطنك المروق ، انك لا تعيشين إلا جزءا يسيرا من حياتك داخل الكويت وبقية العام في أوروبا فكيف شعرت بوطأة ما جرى ؟

قالت الشاعرة بصلاية : الإنسان انتماء ، فلا تعتذر عن سؤالك ، ومن المهم أن أعرف ما يتردد ، أنا أحب المايا الصادقة ، الوطن بداخلنا أينما ذهبنا ، كما نفارق الأب والأم جغرافيا ، ولم نفارقهما داخلنا ولو ثانية واحدة ! عندما حدث الغزو صرخت بأعلى صوتى ليصل إلى مساحة أكبر ، الوطن داخلنا مشتبك بأعصابنا ولحمنا ودمنا ، داخل الكويت أو خارجها ، لم يغب أفقها الممتد عن بالى ، داخل الكويت أو خارجها ، للإنسان هوية واحدة ، داخل الكويت أو خارجها ، همومها تسكن القلب وتدميه أحيانا !

● قلت لسعاد الصباح : متى بكيت كامرأة .. ولست كشاعرة مثقفة .. بكاء مرأ ؟  
قالت والدمعة تلمع في عينيها : يوم مات عمى بعد أن سمع نبأ الغزو ، كانت الثالثة صباحا ، والجنة هامة ساكنة أمامى مغطاة على السرير بملاء بيضاء ، عشت الكارثة بكل أبعادها ، اجتياح لوطن ، وفقد عزيز هو بمثابة والدى ، أين أذهب بالجنة وهو الذى خلقتنى بكل المقدسات أن يذفن في الكويت ، وقفت أصلى في الفجر ، تشاركنى دموعى ، دموع حارة موجعة ، لا أملك مهما وصفت لك ، طعم مرارتها ، ساعات مريرة وأنا أنتظر في المستشفى حتى يطلع الصباح ، بكيت كثيرا بكيت فقد ابنى ، بكيت نكسة ٦٧ انكسارنا القومى ، بكيت رحيل عبدالناصر ، بكيت عندما شعرت انه حتى القبور سرقوها ولا يعطوننا تاشيرة مرور إلى أرضنا لندفن موتانا .

□ الوطن  
انتماء مهما  
بعدنا جغرافيا

□ بكيت  
موت ابنى  
ونكسة ٦٧  
ورحيل عبدالناصر  
وسرقة الكويت



### ● قلت للشاعرة : تحولت كمثقفة إلى رمز..

قالت الشاعرة : الثقافة بمعناها الشمولى هى موقف من الإنسان فى صراعه من أجل الحق والعدل والحرية ، والثقافة لا يمكن أن تكون محايدة فى قضية كبرى كالحرية ، لا يمكن للمثقف أن يقف فى نقطة الوسط بين الحرية والعبودية وإلا صار لاعباً فى سيرك ، وبكل أسف دعنى أقول لك أن أحداث الخليج كشفت عن أكثر من مهرج ثقافى وأكثر من متذبذب . وثمة مثقفون آخرون اختبأوا فى جحورهم وامتنعوا عن الكتابة والادلاء بأى تصريح بانتظار نتيجة المعركة ، ان سوق النفاق الثقافى فى ذروة ازدهارها فى هذه الأيام .

استطردت تقول : كرست قلمى لأفصح ممارسات النظام العراقى حتى لا تتكرر النسأة وحتى يبقى هناك اتساق بين ما نؤمن به وبين ما هو قائم وموجود . مواقفى الشعرية لم تتغير ، كنت مع الفلسطينيين عندما ضربوا فى بيروت ، وكنت مع المصريين فى عام ٦٧ وحرب ٧٣ ، كنت فى تونس عندما ضربت ، وكنت فى ليبيا حين ضربت ، كان قلمى مجدداً فى كل القضايا العربية كنت أدافع عن الحق العربى الذى كان يمثلته الجيش العراقى .

### ● سألت سعاد الصباح : ماذا جرى لبيتك فى الكويت ؟

قالت بشرود : بيتى ؟ بيتى شىء جزئى ، بل أقل الجزئيات ، ما حل بوطنى أهم مما حل ببيتى . وطنى هو بيتى وما حل بوطنى كارثة كبيرة . قلت : ماذا قال لك أولادك ؟

قالت سعاد الصباح الأم : من فرط الذهول لم يصدقوا . سالونى هل هذا صحيح ١٩

### ● سألت الشاعرة : ما هذه المزاعم التاريخية عن حق العراق ؟

قالت بغضب : مزاعم واهية . أرض الكويت ظلت أيام مبارك الصباح دولة قوية ولم تخضع للنظام العثمانى والتاريخ موجود . أنا لا أدافع لأنى « صباحية » ، أنا أدافع عن واقع . حكم الصباح على امتداد أكثر من ٣٠٠ سنة . الحكم فى الكويت قبل الحكم فى العراق . العراق عام ١٩٢١ جاءوا بالملك فيصل من سوريا وتوجوه ملكاً على العراق .

### ● قلت لسعاد الصباح : هذا الاجتياح ، كيف تبلورين أسبابه ؟

سرحت قليلاً ثم قالت : هل هو نتاج أزمة اقتصادية طاحنة فى العراق . لم لا ١٩ هل هى تداعيات عنفوان السلطة فى العراق . لم لا ١٩ هل هى الآلة العسكرية الجهنمية فى العراق . لم لا ١٩ لا أجد تفسيراً يرضى به المنطق .

### ● قلت للشاعرة : كيف وجدت المعارضة العراقية فى لندن ؟

قالت : لها صوت وتستطيع أن تتحرك وتؤثر .

### ● قلت : كيف مات الشهيد فهد الأحمد فى المقاومة ؟

قالت : تركوه ينزف .. فمات فى بركة دمائه ، وعندما عرف الضابط العراقى أن الذى قتله هو الشيخ فهد ، أخذ يبكى المقاومة الكويتية - بالمناسبة - تصدت للغزو منذ اللحظة الأولى . ونحن الكويتيين - كما قلت - لا تخيفنا مفاجآت البحر أو زمجرة الرياح ، فنحن عشنا دائماً فى داخل الإعصار .

● قلت للشاعرة « المكسورة ، المقهورة ، الذاهلة » التي قذفت الخيبة أحلامها يمينا ويسارا :

تحلمين بصورة كويت جديدة ؟

قالت سعاد الصباح : لا بد للكويتي من الخروج من مرحلة الاسترخاء والقيولة ، فقد دخل السيف في خاصرة الكويتيين دون أن يتوقعوه أو يحسبوا حسابه أو يستعدوا له ، وأمام هذا الواقع التراجيدي الجديد أن للكويتي أن يغير عاداته القديمة ويفكر في نفسه وسلوكه ويفهم أحوال الكون ولعبة الأمم . الكويت الجديدة ، هي كويت الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان . أهم محاورها ، التركيبة السكانية . لا بد أن تكون تركيبة عربية حتى يبقى للكويت وجهها العربي . الزلزال الذي حدث أعطانا الحل من أجل كويت جديدة معاصرة . لا نريد ثقوبا في نسيجنا الاجتماعي !

● قلت لسعاد الصباح : نقص وزنك ، عفوا ، بشكل ملحوظ . القضية هاجسك في صحك ونومك ..

قالت موجوعة القلب النازفة الوجدان : المهم أن نبقي دائما وراء قضيتنا حتى لا تتحول إلى قضية تاريخية مزمنة كعشرات القضايا الأخرى التي نسيها العالم . علينا - والجرح طازج - أن نبقي مستنفرين مجتهدين مزروعين على الخطوط الأولى ليلا ونهارا .

● سألت الشاعرة الكويتية : الثقافة العربية .. و

وقاطعتني : أى ثقافة عربية ؟ لقد تحولت إلى سوبر ماركت كبير . يباع فيه المسيح بثلاثين من الفضة والمبادئ الثورية بنسبة مئوية من واردات النفط الكويتية ، ويباع فيها كارل ماركس بكيلو سمك ( مسقوف ) ويباع فيها الكلاشينكوف مع الكوفية والعقال لقاء وعد بتحويل دولة الكويت إلى وطن موعود لأبى عمار .

● قلت : هل مازال هناك وقت أمام النظام العراقي قبل الخيار العسكري ؟

قالت ابنة الكويت : مازال هناك وقت للعقل ، ولن يخذل صاحبه فالخيار العسكري هو « الموت الأسود » كما يقولون !  
بايقاع أسرع من إيقاع أحداث الخليج سألت الشاعرة الكويتية المحاربة بالكلمة ، المقاومة بالحرف :

● علاقتك بقلمك ؟

علاقة ثورة بكل معانيها .

● هل يستدعيك دائما ؟

أنا موظفة عند هذا القلم ، يستدعيني ليلا ونهارا كجندى تحت السلاح . قلبي مستنفر ليلا ونهارا .

● أوراقتك ؟

الافق الذى أكتب عليه .

● تخاذل بعض المثقفين من قضية الاجتياح ؟

جبن لن يغفره الشارع العربى .

□ أن للكويتي  
أن يغير عاداته  
القديمة !

## □ أى كلمات أصغر من قائمة مصر

- موقف مصر من الأزمة ؟  
مهما قلت فالكلمات أصغر من قائمة مصر .
- هل مازلت مؤمنة بالتضامن العربي أم صار وهما عربيا ؟  
قناعتى الداخلية ، رغم كل الدمار ، أنا مؤمنة بحتميته .
- هل هبت عليك رياح التشاؤم لحظة ؟  
كثيرا ما دق على بابى ، ولم أفتح ، وظل على الباب يترصدنى !
- قناعتك بدورك ، قناعة كويتية أم قناعة امرأة مثقفة ؟  
قلبى مع حب الوطن ، والعقل بعدالة قضيته . قناعتى قناعة امرأة نشلوا كل وطنها من عيونها ..
- تحمّلين صلابة الرجال ، وقوة تحملهم ؟  
الصلابة ، كلمة أنثى . وإن كانت لا تفرق بين رجل وامرأة .
- حلم فى منامك .. يتكرر كثيرا ؟  
عودة الكويت .
- أقوى ما فى المقاومة الكويتية الآن ؟  
العصيان المدنى .. لم يتعاون موظف كويتى مع السلطات العراقية .
- من يستفزك ؟  
يستفزنى العاطلون عن العمل فى مقهى الوحدة العربية والمغلق حتى ( اشعار آخر ) .. يستفزنى بعض المثقفين الذين يظنون أن دم جيفارا أكثر نقاء من دم الشهداء الكويتيين الذين سقطوا تحت جنازير الدبابات العراقية .
- سألت الشاعرة الكويتية الكبيرة سعاد الصباح السؤال الأخير لأنها حالة العزف بالحوار على الآلام و .. لتلتقط أنفاسها اللاهثة ..
- هل يندمل الجرح ؟  
قالت كسيرة الفؤاد ، الصلبة كالرمح : لا يندمل إلا .. بالزمن !







أحد أضلاع مثلث الرواية العربية  
**الطيب صالح**

« أهرب من  
الكتابة ، تصور !! »

« بالمناسبة ، يجب أن اعترف لك ككاتب بأن الاهتمام يسعدنى ، أنا مش زاهد فى الشهرة . فالصحفى هو الجسر بين أفكار الكاتب والناس . وأنت تقومون بمهمة اعتقد أنها موازية للإنتاج الفكرى والأدبى . وأنا فى أحاديثى الصحفية مقل إلى حد الشح كما تقول . بالمناسبة معك كبيريت ؟ الآن تذكرت أنك لا تدخن . قلت لى مرة فى البوحة إنك تختال لأنك لم تقع أسيرا للتدخين .

أعود وأقول لك إنى أحس بأن أفكارى لم أنته فيها إلى قناعا... . وحين تسألنى عن رأيى مثلا فى الأزمة الفكرية أو الثقافية للعالم العربى ، سأقول ما يخطر لى على عناتى دون سابق « فكر أو تدبير » لن أعطى . كما يقول الانجليز . المنطوق السليم فانا أزيغ الأمور على نحو ما . بالمناسبة أنت تنجح فى إخراجى من صمتى . اكتشفت ان لاصفانك وظيفة أخرى غير الاستماع لحدثك . إن اصغاك ، أرض مطار تهبط عليها طائرة البوح . بالمناسبة لكاتب انجليزى عملاق رأى يقول : إنك فى اللحظة التى تضع فيها كاتباً وضع ( المفتى ) أى أنك تسأله رأيه فى أمور شتى ، فهو مزيف إلى حد ما . لأن الأدب تعامل مع الصدق الكامل . تذكر معى مسرحية لشكسبير . أظن أنى نسيت الآن . ذاكرتى صلت أبوه تذكرت . إنها مسرحية الملك لير . يقول على لسان شخصية ما « علينا أن نقول ما نؤمن به وليس ما يطلب منا قوله » .

#### مزاجه الشخصى

١ - أحب ساعات النهار إليه ساعة الضحى . فى إحدى رواياته يصف فتاة بقوله :  
( كانت ذهبية اللون مثل حقل الحنطة ساعة ضحى ، قبل الحصاد ) .  
٢ - حبذا لو جلست معه على الأرض كما يفعل مع ناسه فى السودان . لحظتها يكون فى اكتماله ويفصح عما بداخله . وتكاد تسمع عبر حديثه « زغرودة طويلة للحياة » والوصف للدكتور على الراعى .

٣ - يجب أن أبغى من إيقاعى اللاهث معه - أنا أومن - هكذا يقول الطيب صالح يمثل عربى هو ( ... والملح يبطىء ) ، فالسرعة والإيقاع الديناميكى ليسا من صفاتى . خصلتان يحبهما الله ورسوله : « الحلم والناة » .

أول مرة عرفته ، كانت تسبقه بضع كلمات عنه عبر « كارت بوستال » يحمل طابع بريد لندن من صديقتى عادة السمان . كتبت عادة تقول لى : « لائى أعرف إبحارك فى الأدباء والمفكرين وأعرف أنك تفتش فى بحارهم عن الأصداف واللؤلؤ . سوف تلتقى فى القاهرة بوجه أبنوسى قلما يظهر فى حفلات الكوكيتل فى السفارات أو الندوات التليفزيونية أو الإذاعية وليتك تقنعه بالحوار معك . إنه لا يدري كم هو مبدع . الطيب صالح ، متواضع كالعشب . ولا تزال فى ضحكته تلك البراءة الطفولية التى نجدها فى قاع العباقرة عادة . أعرف أنه قد يعتذر عن عدم الحديث معك وأنا أفهم دوافعه . فهو مثلى من المؤمنين بقول جوته ( عالم الفن شاسع لكن حياتنا قصيرة ) إنه - بدلا من الكلام - ينصرف للقراءة والمعرفة . إنه أديب مقل فالإنتاج الأدبى ليس كولادة القطة ( سبغ فى بطن واحدة ) ! وليس من المفروض أن نطالب الأديب بما يطالب به الزوج الشرقى زوجته ، !!

## □ أتمنى أن أعيش على سطح الحياة كسائر الناس

و.. التقينا . الطيب صالح وأنا . وأحببت « زوربا السودانى » تقابلنا فى البوحة ، والرياض ، ولندن ، والقاهرة ، وعمان وبعد أكثر من عشرين لقاء وافق على أن نتقاسم الحديث ١ سألته . بفضول . عن حيثيات قبوله مبدأ الحوار معه ، فضحك بصفاة وقال : « مفيش حيثيات يا راجل . أنا شعرت . كما يقول الانجليز . بالثمرة الناضجة المشتهاة . وبالمناسبة أنا يعجبني انك لست بالمعاور التقليدى . فالتقليدية تهدم جسور التواصل . والحوار الصحى ، « ثمرة يأكلها اثنان » ، وقلت له ونحن نتفق على الموعد « لقد ينست من استنطاقك حتى ظننت إنك فقدت شهيتك للكلام » . وقال الطيب صالح - بتواضع له رائحة كالعطر - « ارتظن عندى ما له أهمية ؟ إن اتعتقد أنى بلغت أوج الحقيقة ؟ أنا مازلت أقف على أبواب الأسئلة ١ » .

وقلت للطيب صالح وهو اسم على مسمى « إنك كاتب له بصمة يحاول أن يقلل من شأنها وهذا يذهلنى وكأنك ترى أن الأدب عبث . والفن عبث . والحياة كلها عبث ١ » قال الطيب بطيبة شديدة : « أنا من ذلك النوع الذى يضطر للكتابة بيد أنى أريد أن أعيش على سطح الحياة كسائر الناس » .

قلت : ألا تخشى الجحيم ، أى عيون الآخرين ؟

قال بسرعة خالفت إيقاعه البطيء المتمهل : « ربما يكون الجحيم داخلنا فى نفس الإنسان ١ »

قلت : أليس عندك . فى صدرك . ما تجرؤ على إعلانه ..؟

قال الطيب صالح : أفضل عدم التجرؤ دون داع ١

### رؤية

الطيب صالح ليس كغيره من الفنانين الخالص الذين يحرصون على الوفاء بكافة أبعاد العمل الفنى من نسج متقن للعبارات وتصوير دقيق للشخصيات وخلق للحكاية الشيقة التى تشد الأنفاس حتى النهاية . وبذلك يتحول الفن فى أيديهم إلى حلى زخرفية تثير العجب ببراعتها ولكن لا معايشة فيها للواقع . إنما هو فنان مفكر أو هو كاتب يجمع بين الفكر والفن بحيث يصدر فى أذهبه عن خلفية فكرية عميقة ويشكل بهذا الأدب موقفا حضاريا أكثر عمقا وأبعد مدى .

### « الفنان جلال النخري »

اشعل الطيب صالح سيجارته وقال لى : « بالمناسبة أنت ذكرت لى اسم غادة السمان وأنا أعترف لك أنى أكن لها إعجابا بلا حدود . أنا معجب بفنّها لأنها نذرت نفسها لهذا الفن ، وأنا أستخدم كلمة « النذر » بالمعنى الصحيح . لقد ضحت بكل شىء تقريبا وحولت حياتها هى نفسها شخصا إلى بوتقة لصنع الفن فهى بكتاباتنا - كاتبة مهمة - فى تقديرى إلى جانب أنها إنسانة ودود ومحبة .

قلت لزوربا السودانى : « أنت لا تتكلم عن نفسك وكأنك نذرت أن تظل محارة

مغلقة ١ »

قال الطيب صالح : « إذا اعتبرتنى كاتبا فأنت تضعنى فى نفس المجموعة التى فيها الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب والعقاد وطه حسين وهذا ادعاء كبير ١

وإذا قلت عنى انى كاتب بالمعنى العالمى ، فمعناه انى وضعت نفسى مع ديستوفسكى وتولستوى وتشارلز ديكنز وبروست وتوماس مان . انا - بالمناسبة - لا احاول أن ابالغ فى قيمة نفسى وأنا فى النهاية بشروىطربنى الشاء ثم لماذا تنسى انى سودانى .

□ مفاجأة  
زوربا السودانى  
الطيب صالح :  
أهسررب  
من الكتابة !

قاطعته بأدب « هل الجغرافية بُعد نفسى ؟ »  
قال الطيب صالح : « عبارتك دقيقة . ولا يمكن أن تفصلنى كإنسان عن نشأتى وأين ١٩ نحن عادة فى السودان نبدو أقل مما نحن إذا قستنا ببعض الشعوب العربية المقتحمة . نحن ربينا على أن نبدو أقل مما نحن . تسألنى هل فيها طعم الحياء ؟ أقول لك نعم . لا تنس أيضا تأثرى بالأدب الانجليزى . فأنت عندما تقارن الانجليز بالفرنسيين تكتشف أن الفرنسى يقول أكثر مما يعنى والانجليزى يقول أقل مما يعنى . بحيث أنك تترك فراغا للطرف الآخر - المتلقى ليقرر هل ما تقوله له معنى أم لا ١٩ »

قلت للطيب صالح : أنت « عفوا » تقرأ ، ربما أكثر مما تكتب . وأكاد أشعر أن أصدقاءك الصامتين ، يعطونك مع المتعة ، الأمان .  
ضحك ضحكة مججلة وقال : « كأنك تقرؤنى » .  
ثم استطرد الطيب يقول : « هناك من كتبوا أفضل منى وأنا أعيش معهم فى عوالم بهيجة . أطل عليهم دون أن أبدل جهدا والقراءة أمتع من الكتابة بالنسبة لى . هناك كاتب يعشق الكتابة ولكن يدهشك أن الكتابة عندى من همومى . وقد أسوفها لأتفه سبب .

قلت : الناس - فيما أظن - هم مادتك كروائى . وأنت تقضى مع أصدقائك الصامتين أكثر مما تغالط الناس إلا فيما ندر . هل الرواية عندك اهتمام أم حب أم عشق أم صدقة ؟

أجاب بتمهل شديد « أخذت من التجربة ما يكفينى إلى نهاية العمر فلست فى حاجة إلى أن أخاطب أجواء كثيرة . لعله يدهشك أنت أن تعرف طريقتى فى الكتابة . أنا يهمنى نصف جملة أسمعها فى الشارع أكثر مما أجلس مع شخص وأحدث معه . أحيانا وأنا أسير تلتقط أذنائى عبارة ( ويعددين يا سيدى الرجل راح ..... ) من الرجل وراح فىن وليه . أنا اصنع ميثولوجيا وهى تقوم على أنصاف الحقائق وليست الحقائق .. الميثولوجيا تقوم على شيء يشبه الوهم لأن هذا يعطى لخيالى الفرصة أن أتم بقية الجملة وتستطيع أن تقول إن الأدب هو إتمام بقية الجملة .

#### تتويسر

شمال السودان هو المادة التى يختار الطيب نماذجها الانسانية منها وشخصه من الرجال والنساء الذين يحفل بهم هذا الجزء من التراب السودانى وهو ابن التمازج الحضارى العربى الافريقى . وهو باحث دوما عن الذات الافريقية .

« سعيد محمديّة »



قلت : تبوء دائما « الزاهد صالح » وليس الطيب صالح !  
ضحك هذه الضحكة التي تصدر عن أنقياء القلب .

وقال : لونها إلى ترانثا في وادي النيل فنحن قوم زهاد . حضارتنا قائمة على الاستعداد للعالم الآخر . ثم إننا كمسلمين ومسيحيين في هذه المنطقة ديننا يعلمنا أن الحياة عرض زائل . ولو استسلمنا لهذا الإحساس لما فعلنا شيئا لهذا يجب أن نوازن بين الأمور . وأنا يعجبني في الدين الإسلامي التصوف . لأن فيه شحنة وجدانية لا أجدها في الناحية العقائدية في الدين ولذلك أنفر من التزمت . نحن في السودان ، وأعود مرة أخرى لجغرافيا النفس « عودونا يا أخى ألا نطلب الكثير » . أذكر أنى قلت في موسم الهجرة إلى الشمال أصف الجد : إنه مثل شجر السيل وهو شجر صحراوي . ينمو في صحارى السودان ، سميك اللحي ، حاد الأشواك ، لا يهاب الموت لأنه لا يسرف في الحياة .  
أعجبتنى العبارة والمعنى الكامن فيها ، فوجدت نفسى أرددها بلا وعى لا يهاب الموت لأنه لا يسرف في الحياة .

عاد الطيب صالح يقول : هذه الأشجار حية وملينة بالحياة ولكنها منطوية على ذاتها . ليست كأشجار البلوط مثلا أو السنديانة التي منت عليها الطبيعة بالياه والخصب . في بيئتنا ، لما الواحد يكون أحسن حالا من الآخرين يقلل من هذا ولا يظهر ثراؤه للناس ، أنا أحب أن أكون الزاهد صالح كما أطلقت على ، ولو أنى لست كذلك !

سألت الطيب صالح : هل لك رؤية للموت ؟

أجاب : في أعمالي . عبرت عن هذه الرؤية . قلت في موسم الهجرة ( في ليلة مثل هذه تحس كأنك تستطيع أن ترقى إلى السماء على سلم من الحبال .. ) وهذا يرد على أبى العلاء . إذ يقول أبو العلاء : وكيف صعودى بلا سلم ؟ فانا المسكين الفقير إلى الله أتطاول على أبى العلاء المعري وأقول له تستطيع يا أبا العلاء أن ترقى إلى السماء على سلم من الحبال . وفي ( حنو البيت ) يقول الراوى إنه في ليلة مقمرة جميلة أحس أن العالم متناسق ومتناسك وكان الموت وجه من وجوه الحياة لا أكثر .

### بقعة ضوء

الطيب صالح نشأ في بيئة قسرية ومطالبه الشخصية قليلة . تنتابه رعشة خوف بالنسبة للموت والمستقبل ، لكن الخوف لا يلزمه .  
« الجمعية النفسية السودانية »

سألت الطيب صالح : « أزلت تقف على أبواب الأسئلة » ؟

أجاب : أعتقد أنى بمعنى من المعانى مخلوق عقلانى ، أغربل الحقائق وأقف - حتى هذه اللحظة - على أبواب الأسئلة . وأحاول أن أفعل ما يسميه الانجلىز ( حالة التجرد الموضوعى التام ، والنظر من بعيد ) .

قلت للطيب : البعض قالوا مرة إنك تستخدم الجنس بطريقة مثيرة في بعض رواياتك . وأنا لأحب أن يتحول هذا إلى سؤال ، إنها ملاحظة أسوقها فقط أمامك ..

□ لا أهاب  
الموت لأنى  
لا أسرف  
في الحياة

□ أغربل الحقائق  
وأقف على  
أبواب الأسئلة

ضحك الطبيب صالح وقال : إذا كانت العبارات قد صدمت طالبات قسم اللغة الفرنسية في موسم الهجرة إلى الشمال فكيف بالله عليك سوف يقرأن كوست ويلزاك . أنا يا سيدى لست كاتباً جنسياً ولا أكتب للإثارة . والعبارات الجنسية محدودة جداً . وهذه العبارات ترد على السنة شخصيات تغدوا السبعين . وهم يجلسون على حافة الموت . نحن ننظر إلى الأمور بمقاييس مختلفة . الكاتب في السياق الدرامى يستخدم الجنس كوسيلة للتعبير . ومن هنا لا فحش . نحن كعرب عندنا قيود .. أما الكاتب الأوروبى فلا قيد عليه سوى قيود موهبته . يقف حيث تنتهى الموهبة . لكن الكاتب العربى تنتصب أمامه المعوقات ولذلك ما نكتبه دائماً أقل مما نستطيع أن نقوله . كى أتحدث عن الخير لا بد من المرور بقناة الشر . هؤلاء الناس - ضيقو النظرة - يريدون يوتوبيات ، ويحلمون بأدب تقريرى مثل نشرات الأخبار . قلت للطبيب صالح : حياتك الشخصية ، لغز مجهول مفتاحه معك .

□ لست كاتباً جنسياً ولا أكتب للإثارة

□ كلنا بدو بالمعنى المعاصر

ضحك زوريا السودانى وقال بلهجة حميمة : ( يا أخى أنا راجل مش شايف إنه فيه شىء يثير الانتباه عنى أكثر من ناس كثيرين . فانا مثلاً ، متزوج من سيدة اسكتلندية . هل هذه المعلومة مثيرة للاهتمام ؟ لقد عشت في لندن سنوات شبابى وتزوجت من المجتمع الذى عرفته ، وهى سيدة طيبة وزوجة وإنسانة ولى منها ثلاث بنات كبراهن زينب وهى تدرس الألمانية واللاتينية في اسكتلندا .. وابنتى الوسطى سارة في جامعة اكسفورد والصغرى سميرة عبرت عامها السادس عشر . أنا أعيش بين عالمين مختلفين . أنا من قرية في شمال السودان وشاعت الأقدار أن أسير في مرحلة تنتهى بى إلى عالم آخر مختلف . يعنى أنا أستطيع أن أسافر من لندن ، وخلال يومين أكون عند ناسي في السودان وأعود إلى طبيعتى ثم أنتقل وأجىء إلى لندن وأبقى شخصاً مختلفاً إلى حد ما وهذا مصير الإنسان المعاصر . يمكن كلنا نتنقل ونرحل في المكان والزمان « كلنا بدو » بالمعنى المعاصر ) .

قلت للطبيب صالح : ماذا يصالحك على نفسك ؟ أنا مثلاً تصالحنى فيروز على نفسى . والسؤال - بدقة - ما هى ملذات الطبيب صالح ؟ إننى أحاول أن أقترب من الصفة البشرية للطبيب الكاتب ! جاء الرد من خلال لفائف الدخان .

- حلوة عبارتك « التصالح مع الذات » أنا أعتقد في رحلة العمر لو نتصالح مع ذواتنا نكون كسبنا شيئاً جديداً . أنا بالمناسبة استعملت كلمة التصالح في

### شهادة

الطبيب صالح ، في الرواية شاعر كبير أدواته الفنية في منتهى الطاعة لرواه الفنية الفياضة . وأدبه نموذج للحوار الفصيح الذى يحمل الكثير من الروح الشعبية بل حتى من الصياغات الشعبية بعد قليل من الصقل والتعديل .

« رجاء النقاش »

□ نعم لندن  
أسكنها وتسكننى

عرس الزين وأنشأت فيها مجتمعا متصالحا مع نفسه وبهذا المعنى فإن رواية عرس الزين لا تزال رواية للمستقبل والنقاد لم ينتبهوا لها بما يكفى وأنا أحب فيروز مثلك ولكن ما يصالحنى على ذاتى هو الفن الجيد النفاذ . وليس لى ملذات بالمعنى المباشر لكلمة ملذات . ورغم أنى زاهد فأنا اعترف لك بأن هناك جانباً حسياً لا أنكره فالمرأة مثلاً من حيث إنها تسعدنى وتشقىنى وهذا مفهوم فرويدى !

وسألت الطبيب صالح : أشعر أن لندن الرمادية لها ظل عليك وأشعر . لست أدرى . هل تسكن لندن أو هى التى تسكنك ؟ قال وهو يسرح وكأنه يجترأ أيامه فى لندن :

- فى بدايات العشرين من عمرى ذهبت إلى لندن . وأدين لها بالكثير . صداقات العمر بدأت فى لندن . عرفت مصر فى لندن قبل ذلك لم أكن قد قابلت مصريا غير الأستاذ ميلاد مدرس الرياضيات فى مدرسة وادى سينا الثانوية . سكنت فى لندن مع صديق عزيز هو عبدالرحيم الرفاعى . تعلمت منه الكثير عن مصر . وعرفت مذاق اللهجة المصرية . لندن - مثلما تفضلت - أسكنها وتسكننى .

#### إشادة

فى روايته ( موسم الهجرة إلى الشمال ) جعل الطبيب صالح بطله مصطفى السعيد حين جاء إلى القاهرة ، رآها من خلال عيون رجل انجليزى وزوجته اسمه مستر روبرتسون . رآها خلال عيون أوروبية .

قلت للطبيب صالح : الشاب فى السادسة عشرة يتحرك باتجاه رائحة الأنوثة نحو المرأة . وفى الخامسة والعشرين يرصد زينتها وأناقتها .. وفى الأربعين ؟ جاءت كلماته وسط ضحكاته :

- أظن أن الرجل فى محطة الأربعين وما بعدها يتوقف عن الاهتمام بتكوين المرأة الجسدى ليهتم بتكوينها العقلى .

قلت : هل تعبر عن نفسك ؟

قال : حديث الرجل هو الرجل نفسه . هو مرآة النفس والسلوك هو باختصار شاشة الروح !

#### إضاءة

ولد الطبيب صالح فى شمال السودان وعاش طفولته وفتوته فيه ثم انتقل إلى الخرطوم وأكمل دراسته الجامعية فيها وحصل على بكالوريوس فى العلوم ثم انتقل إلى لندن وأكمل تحصيله العالى فى الشئون الدولية ثم عمل فى الإذاعة البريطانية ورأس قسم الدراما فيها . وعاد إلى السودان وعمل مديرا للإذاعة ثم طلب إليه أن يكون مديرا للأعلام أو وكيلا للوزارة فاعتذر وعاد إلى لندن . تزوج من انجليزية شديدة الحساسية والذكاء . انتقل إلى قطر وعمل فيها مدة وجيزة ثم استقر فيها ممثلا لليونسكو . « عبقرى الرواية العربية .. دار العودة »

قلت : أنا أرى الحب صمتا محموما !  
رد الطبيب صالح : المهم أن تجسده الأيام في سلوك بناء .. قد يصير بيتا أو  
صدقة !  
سألته : لماذا تحب الجلوس مع ناس السودان على الأرض تتسامرون في الليالي  
القمرية ؟..  
قال بسرعة : كراحد منهم . تسقط هنا الاقنعة ويأخذ الحب مساحته . إنهم  
ناسي وخلاني كما تقولون في مصر . وكلهم أبطال رواياتي .  
قلت للطبيب صالح : أعرف أنك لا تحب « الثثرة » عن الآخرين .  
وأعلم أنك ترى أن كل أديب أو كاتب هو نسيج خاص جداً ولا تحب التنظير  
فيه أو في أعماله . وأعلم أنك تهرب من الحديث عن رفاق القلم . لكني أدعوك  
للحديث عن نجيب محفوظ . وعن يوسف إدريس وعن حنا مينا وعن يحيى  
حقى وعن محمد مزالي المفكر التونسي . مثلما سمعتك تتحدث عن عادة  
السمان بحرية وتبشها مشاعرك ، أريد أن تحدثني عن هؤلاء .  
ويبدو أن الطبيب صالح استفزته عبارة ( مثلما تكلمت عن عادة السمان )  
فقال لي : لست مغرماً بفرقة الآراء ..



### ملاحظة

إن أدب الطبيب أنشودة حب يرتفع بها صوت فنان كبير القلب بقدر  
ما هو كبير المعرفة .  
« د. علي الراعي »



# غادة السمان

« حياتي كلها كانت  
حربا، بشكل ما ! »

هؤلاء حاورهم مفيد فوزي - ٨٧

غادة السمان ، ما دخلت ذاكرة ، إلا وتغلغلت في أعماقها ، ما دخلت قلبا ،  
إلا ولامسته بأهدابها وهمساتها الدافئة ، فهي للحظة تقطف الأشياء الجميلة  
وتغزو سماء المستحيل !  
وغادة تحترف « الحياة » أكثر مما تحترف « الكتابة » ، ومنذ فجر  
مشوارها ، وهي تعانق الضباب وتتشقق عطر الأشياء وتقف وقفة رومانسية  
أمام عالم ينكسر ويسقط !  
لقد كان الشعر « جسر » غادة إلى النشر ، فالكتابة عندها خلق مستمر ، كما  
القصيدة تماما . لقد سكنت غادة طموحاتنا وتمددت عبر أحلامنا ،  
فالمشردون يجدون عندها دفء الأرضة ، والمسافرون يسمعون صهيل  
المراعى !  
غادة السمان كما تصفها أدبية عربية ، رفضت ذكر اسمها ، هي  
« الوقاحة » ان أرادت ، والشراسة ان انفجرت ، والحرية أن حلمت !

● هل أنت كذلك يا غادة ؟ سؤال أقيته ؟

قالت : نعم ، ربما اخصت عالمي في تسع كلمات ، الجميع يتوقف عند الهوس الجنون بالسفر ، فانا لا أعيش إلا بين طائفة وأخرى وبين حقيقة سفر ووسادة فندق ، والسفر يعلم الوقاحة ان أردت ، والشراسة ان انفجرت !

بيد ان للسفر وجهها غير قبيح ، فالرحيل دائما يعطيني مزيدا من الاقتراب من العناصر الأساسية في النفس الانسانية . الرحيل « يعرّيني » من مخدرات الحياة اليومية المستقرة الآمنة ، الرحيل « يققا » بالونات الوهم في الرأس ويستعيد الانسان حجمه الحقيقي في مواجهة الوجود .

● قلت لغادة : لأن كتاباتك نموذج لأدب البوح العاطفي دون أن تسقط في السوقية أو المثالية ، أسمح لنفسى أن أوجه لك أسئلة قد تضطرم النار في حروفها . وأذكر اننا توقفنا عند سؤال : إذا كان لكل امرأة تاريخ فهل من الأمانة أن تبوح به لرجل ما تحبه فتسحر من عبء ثقيل فوق أكتافها أو تمضى مع تاريخها إلى القبر ، لأن الرجل الشرقي - مهما تحضر - لا يحتمل هذا البوح !؟

قالت غادة : الماضي المتدثر يستطيع أن يرقد في أكفان النسيان . الفعل الماضي ( الناقص ) يمكن القفز عنه ، أما الفعل ( الماضي الحاضر ) فقد يتحول إلى ( فعل مستقبل ) مأساوى ، ليس المهم مصارحة الطرف الآخر بل الأهم مصارحة الذات واتخاذ موقف صارم سلبا أو ايجابا ، إن أمكن !

● قلت : هل تفضلين الرجل الانسان على المرأة . أغامر بالسؤال وأنا أعرف رأيك في الرجل « انه درب متسع وشاق » .

أجابت غادة : من حيث المبدأ - يا صديقى - لا يمكن أن أفضل انسانا على آخر انطلاقا من المواصفات الجسدية بما فيها « الذكورة » و « الأنوثة » . من حيث التجربة لا أستطيع الانتكاري بئنى صرت أميل إلى مصادقة الرجال أكثر من النساء . ولا أظن ان ذلك مرده إلى صفات فطرية في الرجل تجعله أكثر انسانية وعمقا وانما إلى صفات مكتسبة . فالرجل بحكم كونه جزءا من الحياة العملية وبحكم اهتماماته السياسية والفكرية هو أكثر خبرة بالحياة من المرأة التى عالمها المطبخ وغرفة النوم فقط !

وأنا كامرأة عاملة أشعر بعجز عن التفاهم مع النساء اللواتى لم يطلعن على درب الزجاج المكسر والدمع والدم المقروش على أرصفة العالم الخارجى !

● قاطعتها : « أحزانك الخاصة تبدو نائية عن تصوراتهن » !

قالت : أكدت المعنى الذى يجول برأسى تماما . وربما لذلك ليست لدى أى صديقة أنثى غير عاملة ولا صلة لى بمجتمع « النسوان » ، فاعتراضى ليس على المرأة بل على ذلك النموذج المسترخى الراضى المستسلم الذى تشكل نساء بلادى نسبة كبيرة من قطيعه ، ويشكل الرجال بقيته !

● قلت لغادة : من أى النواهد تطلين على الرجل ؟

قالت : الرجل في حياتى لم يكن قط مشهدا أطل عليه من النافذة ، أخشاه أو أعبده ، ولم أر الرجل قط في صورة الرجل .. الوثن أو الرجل .. الاسطورة . منذ طفولتى سمحت للرجل بالآ يكون قديسا ولم أثقل عليه بمطلب الكمال . جميع

□ أنا أصادق  
الرجال لأنهم  
أكثر خبرة  
بالحياة

□ الرجل  
في  
حياتى لم  
أطالبه بأن  
يكون قديسا !

الرجال الذين عرفتهم ، أبى وأخى وأصدقائى وأحبائى تقبلت نقاط ضعفهم بالحنان نفسه الذى قطفت به ثمار عطائهم ، علاقتى بالرجل كانت دوما وعلى كل صعيد علاقة رفيقين فى عالم قاس وليست علاقة التعبد له أو الرغبة فى استعباده !

● سألت عادة : من هو الرجل الذى يتسلل إلى مسامك ؟ هل هو صاحب الكلمات

التي تخترقك كصاعقة وتبقى فى نفسك كوشم من جمر ؟

قالت وهى تضحك : أطرب للرجل الذى لا يعتمد اطرابى ولا يقدم لكل امرأة يلقاها استعراضا لعضلاته الفكرية ، الذى يتسلل إلى مسامى هو الرجل العفوى ، الاصيل ، الذى لا يبتذل نفسه لتسول رضا المتفرجين ، كل تخطيط مدرّوس فى العلاقات الانسانية ينفرنى سواء كان الاسلوب مفاجئى بالعدوانية أو اسلوب الادهاش أو المبالغة فى المديح .

● قلت لعادة : ما الفرق - عندك - بين الفيلسوف برتراند راسل و « آلان ديلون » ؟

قالت بسرعة : مهرج حى خير من « فيلسوف » ميت !

● قلت لعادة وهى تضع أمامى فنجان قهوة : حين كنا صغارا كنا نسمع الكبار يؤكدون باستمرار ان الماء كان أكثر عدوية فى زمنهم ، والحب والقطن أكثر بياضا والسماء أكثر زرقة ، والقمح أطيب مذاقا ..

قاطعتنى وقالت : كنا نضحك منهم فى سرتنا ، سعداء بقمحنا وسمائنا وحبنا وبرك وحلنا الخاصة ، فهل على كل جيل أن يكرر باستمرار أخطاء الجيل الذى سبقه . ان الحب - مثلا - يتغير مع ايقاع العالم المذهل وليس بالضرورة نحو الاسوأ كما يحلو للبعض التوهم ، وأنا منهم أحيانا ، لكنه سيتغير ومعه الانسان ولكنه سيستمر .

● قلت لعادة فجأة : ما أزمة عادة الفنانة ؟

قالت بارتباك : أزمة عادة الفنانة هى ضعف عادة المرأة !

● قلت بالحاح : وما أزمة عادة المرأة ؟

قالت بهدوء : أزمة عادة المرأة هى سيطرة عادة الفنانة !

● قلت : الابداع عند عادة الفنانة ، هل له « ناموس » خاص ؟

قالت بحماس غريب : لقد وجدت القواعد الادبية حتى نقدر على تجاوزها والمؤلف ليس بالضرورة الافضل ، الابداع هو أن نتعلم كل شيء سبق .. لا ليستعيدنا ، وإنما لتجاوزنا !

● سألت عادة : هل زماننا بحاجة الى الابداع أم لشيء آخر ؟

قالت : زماننا بحاجة الى زمان آخر . زماننا بحاجة الى النسيان ، زماننا بحاجة الى الانسان ، ان حضارة هذا الزمن تتجه بقارب الانسانية نحو دوامة الدمار . زماننا بحاجة الى زمن العدوية المنسية ، ان كل « ديك » فى بلادى يتوهم ان الشمس اشرقت لمجرد انه يصبح كل صباح !

● قلت لعادة : هل فى عالمنا من « تقتله » الكلمات كمأساة الحلاج ؟

ابتسمت وقالت : بالتأكيد ، ولكن نادرا - يا عزيزى مفيد - كالدر النادر فى الصدف !

□ أزمة عادة  
المرأة هى  
سيطرة عادة  
الفنانة



## □ أكره تحويل الحب الى فواتير ومؤسسة استثمار

● سألت عادة : مرفوك الحقيقي يحيرنى ! مرفوك الحقيقى ليس رجلا ، ولا معظما من الغرو ، ولا شاليها فى سويسرا ، ولا جناحا فى طائفة ، ماذا يكون ؟  
قالت : مرفاى هو اليقين ، أنا امرأة مزروعة بالشكوك أبحث عن يقين نهائى ، عن معرفة تبرز فى عمرى كالرؤيا تخرج من ضبابات أحزاني كما قمم الجبال ، أنتظر أرضا جديدة تتشكل فى زلزال حيرتى وبركان ضياعى ، كما القارات تخرج من قاع بحار الصمت !

● قلت لغادة : للصمت عندك حكاية ، الكلمة تتكرر كثيرا فى أنهار سطورك ، كيف تمثّلين أصب البوح العاطفى ، وتحبين الصمت ؟  
أجابت : تناقض ؟ اليس كذلك ؟ اننى أنتظر لحظة اختنق فيها بدمع الفرح وأشهد ثورة عمرى وقلقى والغاز أيامى تهدأ وتفسر ! أما الحب فهو عندي عالم خاص . انه سقوط بطيء فى هوة الصمت ، وكلما أحببت بعنف افترسنى الصمت ، يقال : أعرق البحار أقلها ضجيجا . وأضيف أنا : أعرق البحار وأعرق قصص الحب أقلها ضجيجا ، أكره تحويل الحب الى فواتير ، الى لافتات اعلان ، الى مؤسسة استثمار ، فليظل الحب فى قممه الضبابية لا يعرف سره إلا الليل .. والريح !

● قلت لغادة : لماذا « الأدب العربى » لا يخترق المجال العالمى بقذيفة أدبية وفكرية ؟  
قالت : كيف يخترق المجال العالمى وهوليس حرا فى اختراق معظم بيوت الجيران العرب ؟ كيف تتحرك بأغلالنا المرئية واللامرئية لنخترق جدار الصوت .. وجدار الصمت يسورنا ؟ كيف نخترق « الستار الحريرى » الذى تشرنقنا به المتوارثات والستار الحديدى الذى يبينه كل منا بنشاط حول ذاته خوفا من عالم عدوانى مزروع بكل ما يعزز سلب حرياتنا ؟

● قلت لغادة : أعرف ان الحروف تطيعك ، والكلمات تأتمر بأمرك .. فى لغة خاصة ، هى لغة عادة السمان .

ما تعريفك الخاص للغرور ؟

قالت : لحظة انعدام الوزن !

● قلت : والجنس ؟

قالت : اصابة بالسكته اللغوية وخطوة فى درب النسيان أو الادمان !

● قلت : والفراق ؟

قالت : موت جانبي !

● قلت : والتكنولوجيا ؟

قالت : تصل الى أمريكا بساعة وتقضى سبع ساعات فى الطريق بين المطار والفندق !

● قلت : والمرض ؟

قالت : بوقية انذار بالصرف من وعائنا الجسدى .

● قلت : والعبودية ؟

قالت : نوع تختاره وتلقبه بالحرية ونوع يفرض علينا ويلقبونه بالحرية أيضا .

### ● قلت : والمال ؟

قالت : عبد مدهش وسيد رهيب .

### ● قلت : والرحيل ؟

قالت : تشرد في .. الذات !

سألت غادة عن « المدن » . قلت لها : مدينة لها سحر عندك ؟

قالت ميونيخ ، حلم صنعتك ! سألتها عن مدينة لامبالية . قالت زيوريخ .. تلج يغادرك ولا يفلق الباب خلفه .

سألتها عن مدينة تبدو خائفة . قالت : البندقية ، لأنها تخشى الفرق ! سألتها عن مدينة أنيقة . قالت : بون .. غندورة مثل كلب تجره حذاء مطهمة ! سألتها عن مدينة مخيفة . قالت : لندن ، لأنى أعرفها جيدا ! سألتها عن مدينة تظهر عكس ما تبطن . قالت : القاهرة ، لأنها كالنيل ، هادئة السطح وشاسعة وتبطن الطوفان . سألتها عن مدينة لا تبوح بأسرارها . قالت بغداد . أكرر تحتاج الى عمر كى تعرفها .. والى عمر كى تفهما .. والى عمر كى تتساها ! سألتها عن مدينة لها مستقبل . قالت : بيروت ، لأنها احترقت وصار بناؤها من جديد ممكنا . الحريق يظهر والقيامة من الرماد بعث لفينيقي الأسطورة .

● قلت لغادة : الدول عندك .. كالبشر . أهو عالم جنس أم مثاليات أم ماديات ؟ قالت : أى افراط في الاهتمام بتأحية من نواحي الفعالية الانسانية الطبيعية دون الأخرى يؤدى الى الدمار . وعالمنا اليوم ليس علما واحدا . انه عالم الغرب عالم الدول المرفهة مادي الساقطة في فخ الخواء الروحي ، وعالم الشرق والشعوب المكافحة والنامية أينما وجدت . انه عالم الروحانيات المتخلف علميا الثرى انسانيا . المهم هو حفظ التوازن قبل أن ينفجر رأس الكرة الأرضية !

### ● قلت لغادة : كيف تحتفظين بتوازنك في لحظة الحب ؟

قالت : لحظة الحب الأولى متعة . ثم ينمو الحب ليصير وجودا ، وغالبا ما ينتهى الى ضياع ! لكنى اتساءل معك ، هل تراه يذهب الى ضياع ؟ هل تضعيب السحب بعد أن تمطر ويكف المطر عن الهطول ؟ أم تختزنها الأرض في جوفها لمواسم القحط ؟ هل تضعيب أشعة الشمس اليومية في لحظة الغروب ؟ أم تختزنها عروق الصخور والغابات والرمال ومسامات كائنات الطبيعة ؟ لا تنس انى اعرابية عمرى ٢٠٠٠ سنة حاولوا وأدى في الصحراء وفشلوا . قتلوني عدة مرات . وكنت دوما أنهض من رقادى لأطير .. وأكتب .. وأحب !

### ● سألت غادة : المرأة والذهب ومباهج الحياة ، ماذا يفوق عندها كل هذا ؟

قالت بعد تفكير : لاشئ أحيانا ، وتلك هى فجعية بعض الرجال العظام بالمرأة . نادرات هن اللواتى تعنى لهن القيم الروحية والانسانية الشئ الكثير . ثم ان زماننا يجعل حمى عشق الماديات كالمرض السارى المتأزم . ثمة سباق نحو الانتحار بتفاهات الحياة البراقة . وثمة رجال يذكرون نار تلك الحمى ويشاركون فيها . المجلات النسائية بوجه عام تحمل بعضا من المسئولية . انها في بعض صفحاتها تحاضر عن العقل والفكر . وصفحاتها الباقية تحتلها مواد تذكى في النفوس الضعيفة شهية الامتلاك وحمى الانفاق . الرجل يقاسى من

□ السياسة  
سكنت أدبي  
بالمعنى الجوهري  
لللمعة

خدمته لما كينة جهنمية تساهم في افساد امراته ١

● قلت لغادة: ذكاء المرأة، متى يصبح «نعمة» ومتى يتحول الى «نقمة»؟  
قالت: ذكاء المرأة لا يمكن أن يتحول إلى «نقمة» شرط ألا تخبو نيرانه

تحت رماد الغرور الأنثوى اللج ١

● قلت لغادة: كيف انعكست الحرب في نفسك؟

قالت وأمة حارة تسبق كلامها: مفيد .. حياتي كلها كانت حربا بطريقة ما .  
انها الحرب الأولى التي اختلفت فيها الاداة . دائما تعرضت لقصف  
اجتماعي . تجربة الحرب ليست اقسى تجربة خضتها في حياتي . في حروبي  
السابقة كنت أموت وحدي وأنزف وحدي . في الحرب كنت أموت مع الجماعة .  
هذه الحرب أدت الى انفتاح جماعي . على الأم الآخرين ، في حين كنت  
كالصدفة منغلقة على الأمي ١

قاطعتها: في حرب لبنان - يا غادة - تشعرين أن الأمك ليست فردية . هناك  
قافلة من البشر تشاركك العذاب ومذاق الرصاص .

عادت تقول: نعم ، هذا حقيقي ، شعرت ان طريق الخلاص يمر عبر  
الآخرين . لا يبقى بحثا فرديا بل يصبح جماعيا ١

دق جرس التليفون ، وكان المتحدث هو د . غالى شكرى وقالت غادة .. « أنا  
في مصيدة مفيد فوزى الناعمة . انه يسألنى كيف انعكست الحرب في نفسى .  
هل تود أن تقول له شيئا ؟ .. »

وقال لى غالى شكرى - عبر التليفون - « غادة كتبت في الحرب وللحرب .  
كانت تنشر فصولها بجرأة المقاتلين . ولم تكن الكلمة أبدا أصغر من  
الرصاص . كانت - وقد عشتها بنفسى - رصاصا . كلمات غادة السمان  
- صديقتنا المشتركة - في روايتها « كوايبس » أصابت في الحرب ، وتظل  
الكاتبة - صدقتى - في حالة اطلاق مستمر بروايتها ، بعد الحرب . تستطيع أن  
تقول ان غادة قاتلت . وبقيت لتواصل التحليق المذهب بأجنحة جديدة في  
مجاهل عالمنا التعس . تبقى وبين يديها قنديل لم ينضب زيتا باستشهاد غسان  
كنفانى أو انتحار تيسير سبول أو مصرع ابراهيم مرزوق » .

● قلت لغادة: لماذا أعمالك الروائية بعيدة عن السينما؟

قالت وهى تعبت بشعرها: لا أدري . لا أنفى تقصيرى الكبير في هذا  
المجال ، فأنا لم أقم يوما بأهداء أعمالى القصصية لمخرجين أقدرهم ولفنانات  
أحبهن وبعضهن صديقاتى . ثم انه لم يفت الأوان ١

● قلت: نقاد هذا الجيل، هل هم باعثو نهضة أدبية حقا؟

قالت غادة: نقاد هذا الجيل ا عبارة ظالمة . بينهم المثقف المبدع الذى  
تحرص كتاباته موجات ابداعية وبينهم المزد كحروفه .

● قلت لغادة: لماذا لم تسكنك السياسة كما الرواية والتشرد والرحيل؟

قالت: السياسة سكنت أدبى بالمعنى الجوهري للكلمة فالانسان العربى  
المعاصر هو المحور الأساسى الذى تنطلق منه بروقى وروعدى نعم . من همه ،  
من جروحه . من واقع ، من تطلعاته ، أكتب وأنزف دون أن ألقى تاء

التأنيث . السياسة تسكننى كائى فنان غير ملتزم حزبيا . انى ملتزمة بفضي  
امام واقع عربى بحاجة الى تعديل .

صمتت غادة السمان ، فشعرت انها أغلقت على نفسها صدقتها .. وكأنها  
تلفعت بها !  
وقرات فى عينيها الدهشة وأنا ألهم أوراقي ومسجلى الصغير .. وأستعد  
للرحيل !

□ أنا امرأة  
جديدة بعد  
كل جرح ..  
فراق .. طعنة !

● قلت لها : يبدو انه لا مزاج لك !  
قالت : حتى أنت وقعت فى هذه الحفرة من الفهم الخطأ لست رهينة  
مزاجى .. كما يبدو من الخارج . أنا رهينة حقيقتى . من الخارج ، أبدا مجرد  
مزاجية . ومن الداخل يخضع الأمر لضوابط نفسية وروحية مفردة الصرامة  
والدقة . تمرى فترات أعى خلالها أن الصمت أكبر من اللغة والحقيقة أكبر  
من اللغة ، وحتى الجسد أكبر من اللغة . فى مثل هذه اللحظات أصير عاجزة  
عن التواصل مع الآخرين . أصير برية . شرسة . أهرب بالشroud ، لا أفسر  
ولا أعترف وأبدو من الخارج - كما لاحظت - مجرد مزاجية ، وأحيانا أخسر  
المزيد من أصدقائى . أنا - دوما - امرأة جديدة . بعد كل جرح . بعد كل  
فراق . بعد كل لقاء . بعد كل طعنة . وبعد ، ماذا تود أن تسمع من الموسيقى  
أو الغناء ؟

تمت بصوت مسموع : فيروز !

قامت غادة السمان تبحث عن شريط لفيروز وسمعتها تقول من غرفة مجاورة  
على الصعيد الإبداعى ، لماذا يترافق الزواج العاطفى والغنى فى بلادنا ، ولماذا  
ينسحب ذلك على الطلاق ؟ المخرج الكبير برجمان طلق زوجته الممثلة الرائعة  
ليف أولمان واستمر فى العمل معا وأبدعا أفلاما بعد الطلاق . فلماذا يتوج  
الطلاق العاطفى عندنا بطلاق فنى ؟ لولا هذه الظاهرة ، لما حرمانا من التوجه  
الإبداعى لنزاج صوت فيروز والحن الرحبانية .. ذلك الزواج الخالد !  
● وشعرت انى ضيف فى «واحة» فيروز، وزائر لصدقة غادة السمان .  
كلاهما يتعامل مع «الكلمة» .

عبقرية فيروز فى صوتها . وعبقرية غادة فى قلمها . الكلمة تخرج من فم  
فيروز أو تولد فى فكر غادة ، ملكة متوجة . حاكمة . لها رعية .  
ويختلط فى رأسى صوت فيروز «تكتب» على الهواء أجمل الحكايا . وصوت  
غادة «تتشد» الصديق . فيروز رحيل فى المكان والزمان الواحد . وغادة تسكن فوق  
جناح طائرة !

فيروز الكلمة «العطر» تنفذ الى القلوب والعقول .. وغادة ، الكلمة «الضوء»  
تضىء فى ظلمة الليل .. ليل المتعبين الباحثين عن مرها .  
وتظل الرواية عند غادة ، مدينة مفتوحة .  
والمدينة عند فيروز ، رواية مفتوحة .

شلو فيروز وكتابات غادة ، لعلهما التهما مساحة «القيح» من العالم .. لوقت  
ما !



ل. اسلمفيلد عبد الله

« الكرياج الذي كان ! »

هؤلاء حاورهم مفيد فوزي - ٩٥

في يوم من الأيام ، دخل الدكتور طه حسين مكتب الدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس تحرير جريدة السياسة وقتئذ وقال له بغضب :  
« اسمع يا هيكل . أنا لا أصادر الرأي الذي يختلف معي . ولكن اعتبرني مستقيلا منذ اللحظة إذا نشرت شيئا ضدي لسعيد أفندي عبده » !  
سعيد أفندي عبده !

سئل عنه التابعي . فقال : ان لسان الأديب عبده أفندي مصنوع من نفس المادة التي تصنع منها الكراييج السوداني ذائغة الصيت !  
سعيد أفندي عبده .

كان كامل الشناوي يتغنى بمواويله كل ليلة في مجالسه الخاصة . وكان له رأى فيها ، « ان لمواويل سعيد عبده خاصية غريبة . انها تخرج من ورق الصحف وتتحول إلى كف عريضة وتضرب المقصود بالموال .. على قفاه » !  
سعيد عبده . أين هو الآن ؟!

المعادي . ساعة عصاري !

وأنا أبحث عن بيت الدكتور سعيد عبده بصعوبة مستعينا بعنوانه في قصاصة ورق كتبها لي صديقه الصدوق « مصطفى أمين » . وشوارع المعادي كبيت جحا . هناك « كلمة سر » لتعرف دهاليزها ! وأنا لا أعرف كلمة السر ! الشوارع مرقمة ، كأنها لا تريد أن تبوح بأسماء سكانها ! صمت . وهدوء . وحفيف أوراق شجر . وسيارة متوارية عن العيون . وعاشقان . وعناق يلغى الزمان والمكان . وعجوز يدخن في مشتل . وبنات صبايا فوق البسكليت . ولغات أجنبية . وأسأل ولا أحد يعرفه ! ذلك الذي كان باعة الصحف ينادون يوما « موال سعيد عبده النهاردة . موال سعيد عبده » ! ذلك الذي كان له محطة اتوبيس باسمه . « محطة سعيد عبده » . انزوى الرجل الآن ودلف الى منطقة الظل . وصار ذكرى وان دخل ملف الكلمة من أوسع أبوابها وأشرفها . وأى باحث مدقق في تاريخ الصحافة لن يعبر اسم د. سعيد عبده . تعبت من البحث ، حتى كنت أياس ، ولكن صيدليا قريبا من بيته .. أرشدني .

منذ عشرين عاما أو تزيد ، اعتزلت الحياة العامة - يا أستاذ مفيد - واكتفيت بمقعد بعيد من مقاعد المتفرجين لم أعد أتابع شيئا . أعيش على اجترار أيامي . لا تسلمني عن أحد . فلن أفيدك بشيء وسيأتي حديثك معي فاترا . ولا أدري سبب زيارتك ولماذا تذكرتني . فإذا كانت الزيارة للسؤال فآلف شكر . وإذا كانت للدردشة الخاصة ، فأهلا بعاير سبيل جاء يقطع وحدة شيخ عجوز !

قلت للدكتور سعيد عبده ، كنت أقرأ « قصاقيص ورق » لشاعر العامية صلاح جاهين . وتوقفت عند قصيدة « مدد .. »

ضحك سعيد عبده وقال : ماذا يقول إبتنا جاهين ؟

قلت وأنا أستفز ذاكرتى . قال جاهين :

.. بريم يا تونسى ، بديع أيا خيرى

.. مدد مدد . يا شيوخنا يا أقطاب

.. أحضرنا يا حسين يا شفيق مصرى

.. والنجدة يا عبد السلام يا شهاب ..

.. والنجدة يا بن الليل وأبو بثينة

.. يا سعيد يا عبده . يا مصطفى يا حمام

.. محمود يا رمزى نظم . تعال الينا

.. ومدد يا عبدالله النديم يا امام

.. مدد يا عزت صقر ، يا خليل نظير

.. مدد يا شيخ يونس يا قاضى مدد ..

.. هاتوا الزجل شماريخ وصواريخ تطير

.. لسه الحاجات اياها .. مالىة البلد !!

وقهقه الدكتور سعيد عبده وأخذ يردد « لسه الحاجات اياها .. مالىة البلد » !!

وتسللت بسؤال .. جاهين يعتقد ان الزجل والموال دورهما لم ينته بعد . فماذا

تعتقد أنت ؟

قال د . سعيد عبده « لست قادرا على صياغة الموال الآن . لم يبق منى سوى

غدوة وعشوة لديدان القبر » ١

صدمتنى الاجابة ، وارتبكت ، ولم أعرف ماذا أقول . فقلت العبارة التقليدية

« يعطيك طول العمر يا د . سعيد » .

فضحك وقال .. أنا من مواليد عام ١٩٠٠ ولا أظن أن الحياة تتسامح معى أكثر

من ذلك . ضرب لى الموت موعدا لكنه لم يحدد اليوم والساعة ١

شعرت بضيق ، بينما كان يضحك من قلبه . ضحكة انسان تصالح مع نفسه .

ويستقبل الموت .. بالأحضان !

قررت أن أسيطر على نفسى بعد أن فشلت فى المدخل للحديث . وقلت لنفسى ،

فليكن مدخلى هذه المرة .. الطب !

قلت للدكتور سعيد : عندى احساس ان الطب أصيل فى حياتك بدليل انك لم تهجره

من أجل الأدب !

قال : عشت مخلصا للطب حتى خرجت على المعاش وسافرت العراق محاضرا .

وكانت رسالتى هى الطب الوقائى . فانا مع الدكتور محمود فوزى السياسى المصرى

القديم - أعطاه الله الصحة - فى قوله يوما ما لمحمد حسنين هيكل « لا يستطيع أن

يستوعب العلم من لا يملك الصحة » .

قلت للدكتور سعيد عبده مستفيدا بحماسة للموضوع : ماذا قصد الدكتور فوزى

من عبارته ؟

قال ، لعله قصد الصحة بمعناها الأشمل لا بالمفهوم السلبي الشائع أى الخلو من الأمراض ولكنها الصحة بمدلولها الإيجابى . تمام الكفاية البدنية والعقلية والاجتماعية التى هى الترجمة الأصلية للعافية والقوة والطاقة والحيوية والاعتزان العاطفى المكتمل والقدرة على حب الناس وعلى التعامل معهم وعلى المتعة المعقولة بالحياة . أن هذا النوع من الصحة هو الذى يجعل قدرة المتعلم على التعليم أكبر ويجعل قدرة العامل على الانتاج اكثراً ويجعل خسائرننا القومية الباهظة أقل !

قلت للدكتور سعيد عبده : حماسك للطب الوقائى . لا حدود له !  
قال ضاحكاً : ياسيدى ان الأمراض لا تهبط علينا من السماء ولكن كلامها حصيلة تفاعلات متعددة وطويلة المدى بين البيئة والانسان . ان الناس تتصور الطب مجرد سماعه وطبيب وقارورة دواء . والطبيب الذى ينشأ على هذه الفلسفة معذور اذا هولم يعرف كيف يسهم فى الصحة للانتاج . لقد كان للطب الوقائى ركن متواضع فى مناهج التعليم الطبى ولكنه كان على الدوام . كدرهم من الوقاية ، تائه فى قنطار من العلاج !

قلت ضاحكاً للدكتور سعيد عبده .. خدعوك فقالوا ان الصحة مجرد خدمات !  
قال بجدية شديدة .. لقد توارثنا هذا النوع من طب الخدمات والاستهلاك جيلاً بعد جيل . كل جيل يسلم الراية السوداء الى الجيل الذى يليه وكل لائحة من لوائح كليات الطب تسلم بذورها التعسة الى اللائحة التى تخلقها . مع تمنياتها الطيبة بكل ما تملك من راحة البال وهدوء الضمير !

قررت أن أتوقف عن الاسترسال فى الحديث عن الطب مع تسليمى التام بأهمية الموضوع الذى طرحه د . سعيد عبده . ولكنى جئت لسعيد عبده الأديب والفنان وصاحب الموالم ، فكيف أنفذ اليه وأحتفظ بحماسة ! اعتبرت نفسى فاشلاً فى المداخل للحوار . ولكنى بررت هذا بموقف د . سعيد عبده من الحياة . انه لا يشكو من شيء . ولا يريد شيئاً . ولا يسعى لشيء . هذه القوة تجعله يختار ما يشاء ويتكلم فيه ! ولقد اعتبرنى منذ البداية - عابر سبيل جاء . يقطع وحدة شيخ عجوز !

عدت أقول للدكتور سعيد : هل اكملت رسالتك فى الحياة ؟  
قال : اكملتها فى الطب . وأعطيت المكتبة الطبية مجموعة كتب أهمها ( الدماغ ) وأدليت فى الأدب بدلو متواضع وخضت بحر القصة القصيرة وكتبت المقال السياسى وأخذ الموالم من عمرى الكثير . وجئت للحياة بأربعة أولاد وبنت . واحد طيار والثانى طيار والثالث مهندس طيران والرابع يحمل اسمى ويعمل طبيباً . والبنت تزوجت ، وهانذا أمامك . واعتقد ان رسالتى فوق هذه البسيطة . اكتملت !

عذبنى الدكتور سعيد عبده . ان اجاباته تسد الطرق أمامى . تقيم حالط بينى وبينه . والوقت يمضى ، ومتعتى كبيرة لأنى فى ظل رجل ايقاعه يصنع ايقاعى ويلقنه درسا . لكنه كالتنهر الكبير قرب المصب ! فجأة لعت فى ذهنى فكرة . لماذا لا أسأله عن والديه الروحانيين : شوقى بك وبيرم التونسي !  
فبدأت التساؤل هكذا : د . سعيد عبده هل أخذ بيرم ما يستحقه من الاحتفاء والتكريم ؟

قال وهو يضحك : وماذا يفيد الاحتفاء والتكريم بعد الممات ؟ نحن شغوفون



بتكريم الميت ا على أى حال ، بيرم التونسي رجل فهم الحياة بعمق وكانت بساطته في التعبير هي معجزته . قل عنه بلا حرج . فيلسوف اقل عنه بلا حرج مصور بارع . هل قرأت له : السيد ومراة في باريس . انها لوحة بالالوان والظلال . ان بيرم التونسي طوع العامية الى درجة ان طه حسين قال يوما لست أخاف على الفصحى الا من عامية بيرم ! اسوق لك مثالا : قال بيرم يوما في مناسبة زواج الملك فؤاد .

« الوزه من قبل الفرخ مدبوحة » .

« والعطفة من قبل الدخول مفتوحة » .

ان بيرم في هذه القصيدة يعلق على زواج الملك فؤاد . انظر لقسوته . ولكنها قسوة الفنان ابسطة ولكن قاتلة !

قلت للدكتور سعيد عبده : هل تعتبر نفسك من تلاميذ بيرم ؟

قال بحماس : بكل اعتزاز !

سألته : متى كتبت الموال لأول مرة ؟

قال سعيد عبده : أول موال كتبتة عام ١٩٢٨ . أتذكر انه كان عن سليمان فوزى صاحب مجلة الكشكول التي كانت دائمة التهمك على سعد زغلول . قلت في هذا الموال :

« وحق من خنصرك في البدلة الافرنجى » .

« وثانيا جعلك في التلحمة برنجى » .

« وثالثا عينك على الخطم مخزنجى » .

« لافتن عليك للنقيب » .

« انك ماتعرفش تتهجى باميه » .

« ويرضه الاسم جرنالجى » !!

قلت للدكتور سعيد : هل تذكر مواويل أخرى ؟

قال : لحسن الحظ ، أنا أتمتع بذاكرة رديئة !

قاطعته : تقول حسن الحظ ؟!

قال وهو يضحك من القلب : السعادة ، ذاكرة رديئة . أنا أنسى دائما . أنسى ما أكتب . وما أقول . وأنسى الاساءة على وجه التحديد . لو لم يهبنا الله نعمة « النسيان » لمتنا من الكمد اوانا مدين للنسيان .. بحياتى حتى هذه الساعة . ان الذى ينسى ، يفتح للبشر صفحة جديدة . والذى يتذكر الاساءة لا يفتح لأحد ثقباً ! ان النسيان يعلم الانسان التسامح . بدون تسامح أنت تخاصم الناس وتنسى انك تخاصم نفسك !

قلت : ولكنك عشت حائرا بين شاطئين ، شاطىء الأدب وشاطىء الطب ؟!

قال : الأدب هو « الحلم » في حياتى . والطب هو « الفعل » اوانا أعتزبانى عشت الفعل والحلم . ولهذا تجدنى حالما يعقل . وعاقلا يحلم ااويبدو أن أهل الطب نسيونى ، وأهل الأدب نسيونى ولا يتذكرونى الآن سوى الله !

بسرعة شديدة ، قفزت فوق العبارة الأخيرة وقلت للدكتور سعيد عبده : ماذا أعطاك الأدب ؟

قال : أعطاني البسمة . أما الطب فجعلني « أتعق » في الأدب . لا تنس أن الأديب ، طبيب من نوع خاص . لي قصص قصيرة أفخر بها . أحس أنها ذات قيمة . لم يتناولها ناقد واحد . لسبب بسيط جداً هو اني لم أهد كتاباً واحداً من كتبي لناقد !

لست مثالياً ، ولم أفقد أنايتي كفنان ، ولم أفقد أيضاً كبريائي . ان الناقد الذي يقرأ كتاباً مهدى اليه ، هو ناقد عاجز لم يتعب في البحث عن عطاء كاتب . هذا الاستسهال يجعلني لا أحترم ما يكتب . ياسيدي ، كان محمد مندور يجوب المكتبات يبحث عن أسماء مغمورة لا تكتب في الصحف ولا تهدي كتبها اليه !

قلت للدكتور سعيد عبده : هل احترفت النقد يوماً ؟ قال : أنا طبيب وأهوى الأدب طول عمري ، رغم اني اقتربت من عمالة هذا الجيل ، أمثال شوقي بك .. والعقاد .. وطه حسين . سأنته : اقتربت من أمير الشعراء شوقي ؟

قال وهو يضحك : كان يحب أن يقال عنه « أمير الشعر » وسألناه مرة . لماذا يا باشا ؟ فقال « وهل هناك شعراء لا يكون أميرهم » ؟

عن « أمير الشعراء » شوقي ، كان الحديث ! عرفته ثمانى سنوات . وإذا كان العقاد قد كتب عنه في كتابه « الديوان » بعض أشياء ، رفضها محبو شوقي . ومريدوه من فرط ولعهم به وبفنه الشعري ، فأنا أقول لك ان معظمها صحيح ! وليس هذا تطاولاً على شوقي ولكن احقاقاً للحق . فأوسكار وايلد لا يخجل من شذوذه . والدنيا تغيرت وأصبح في أوروبا يفخر الفنان بنزواته التي ما عادت نزوات إلا في أذهاننا نحن . بمقاييسنا نحن !

قلت للدكتور سعيد عبده : أنت « افراز » شوقي وبيرم ؟ قال بهدوء : نعم . هذا صحيح ! أقول لك شيئاً ربما لا تعرفه أن بيرم - زعيم العامية - قلد كل شعراء القصة . شعراء الفصحى واتفق التقليد الى حد مثير ! قلت : كيف اقتربت من شوقي بك ؟ متى كانت البداية ؟

قال : ذات مرة كتب شوقي بك قصيدة يمتدح بها أحمد لطفي السيد بعد أن قدم لنا كتابه الشهير « ارسطاطاليس في الاخلاق » فتعرض له الدكتور طه حسين بالنقد وقسا عليها بشدة ودون أن يعلم شوقي قررت الرد على طه حسين . وضعت نفسي في موقع تلميذ صغير امام أستاذ عملاق . وذهبت لهيكل باشا بمقال . وقال هيكل باشا « مقال يا عبده أنتدى يؤذى مشاعر طه حسين وأنا أعرفه أكثر منك » ! وبعد يومين قلت لشوقي القصة . فذهب بنفسه الى هيكل باشا وأصر على نشرها . ونشرت بجوار قصيدة جديدة وكانت قصائد شوقي تنشر في الصفحة الاولى بنط ١٢

قلت للدكتور سعيد عبده : مازلت اصغى لك ! قال د . سعيد عبده : بعد نشر مقالى ، غضب طه حسين وهاج وماج ورد بمقال عنيف ملخصه تطاول الشبان الصغار أمثالى على الكبار . ثم ذهب الى هيكل باشا وهدد بالاستقالة اذا نشرت « السياسة » حرفاً واحداً ضد طه حسين !

وقلت : وكيف سارت علاقتك بشوقي بك بعد ذلك ؟ قال : كانت على مايرام . واشتدت عمقا . حينما قمت بصياغة مسرحيتين له

□ ويذيع سرا

كثمة في صدره :

كتبت

مسرحيتي مصرع

كليوباترة

ومجنون ليلى

لشوقي بك ولم

ينشر اسمي !

## صياغة مسرحية !

**قلت بدهشة : هل ذكر هذا في مقدمة المسرحيتين ؟**

قال وهو يضحك من سذاجتي : هذا سر كتمته طويلا وأعترف لك به ، وليس في هذا تطاول على أمير الشعر ، ولكنها حقيقة تستقر في ملف شاعر عظيم !  
قال سعيد عبده : كليوباتره - ملكة مظلومة - فكانها يونانية أو غير يونانية ، المهم انها أصبحت مصرية ، كما أصبح الملك فاروق مصريةا ! وطلب منى شوقي بك ان أمدّه بكل ما كتب عن كليوباتره ، فأحضرت له كل ما كتب بكل اللغات وخصوصا الفرنسية وفي باريس قرا كل المادة وعاد .. وعندما التقيت به ، بادرنى بقوله :  
« خلاص يا أستاذ عبده أنا عملت لك الرواية .. » .

وكننت في الحقيقة أقدر شوقي بك ، الذى اعترف أيضا ان نصف ثروتى اللغوية من دواوينه ! وأخرج « الباشا » من حقيبته مظروفا أصفر وقال : الرواية أه يا عبده أفندى !

أمسكت بالمظروف وفتحته . فوجدت به قصائد . من المطولات ولكنها ليست « المسرحية » بحبكها المسرحية . وعلى مدى عام كامل . أعدت الصياغة والاعداد المسرحي لتظهر في الصورة النهائية التى تحمل اسم مصرع كليوباتره وكننت بين الحين والحين التقي به وأطلب منه أن يعيد فقرة أو يراجع عبارة أو يكتب جزءا يشبك به جزءا آخر . لقد أعطانى شوقي بك المادة فقط . وجعلت منها الصياغة المسرحية وفي « النظرات التحليلية » . للرواية . كتبها بنفسى ولم يذكر اسمى ! ومسرحية « مجنون ليل » استغرقت منى ثلاثة شهور وظهرت للناس في صورتها التى قرأوها بها . ولم يذكر اسمى !

وآثرت الصمت . بل فرضته على نفسى فرضا !

**قلت للدكتور سعيد عبده : من الناحية التقنية . أنا لا أحاسب شوقي بك . أنا أحاسبك أنت على مسرحيتى « مصرع كليوباتره ومجنون ليل » !**

قال بسرعة : هذا صحيح ، رغم أن شوقي بك اسمه منشور فوق المسرحيتين ! تصور عندما مثلت المسرحيتان كنت أقوم بتصحيح الأخطاء للممثلين !

**قلت للدكتور سعيد عبده : ألم يكن من اللائق أن يكتب اسم شوقي بك فوق المسرحيتين ، ويقال ، الاعداد المسرحي لفلان ؟!**

قال سعيد عبده وهو يضحك ، مع انى تصورت انه سيتكلم بشيء من المرارة .. عندما كتبت « النظرات التحليلية » كنت أعرف انه بالقطع سيكتب اسمى . ولكنه لم يفعلها وهو العملاق ! ومرة أخرى لذت بالصمت . فبعض الأشياء في الحياة لا تطلب من الآخرين !

**سألت سعيد عبده : ألم يذكر شوقي بك شيئا عنك بتقديرًا لجهدك الأدبي الذى فرض عليه التعقيم ؟!**

قال والضحكات لا تفارقه : قال مرة في مجلة لبنانية اسمها « المعرض » بعد أن وقع له حادث سقوط بالسيارة من فوق الجبل اننى أكتب عادة أبياتا متفرقة وأسلمها الى تلميذى وصديقى سعيد أفندى عبده ! قالها مرة .. ولم ينطق بها مرة ثانية حتى

رحل !

قلت للدكتور سعيد عبده : لماذا لم تتابع جهدا مسرحيا خاصا بك وقد أوتيت  
الموهبة والاحساس ، لماذا لم تكتب ؟

قال : بدأت أنظم الشعر .. عندما تعرفت على شوقي بك . وكنت أحيانا . اعرض  
قصائدي عليه . فكان يقول لى : يا عبده أفندى خليك بعيد عن الحكاية دى ،  
علشان ماتضيعش مستقبلك . وأنا أحصيت لك فى قصيدة من قصائدك ١٢ غلطة  
مما تأخذ عليه فى الشعر . باختصار كسر مقاديفى ! وأعترف لك انى انصرفت بعد  
ذلك إلى الموالم ، وهو مجال أخر تماما !

وسكت د . سعيد عبده وكأنه يتذكر شيئا ؛ كنا فى مسرح الأزيكية ، وحدثت  
مناقشة بين فصلين فى مسرحية ما ، وقلت لشوقي بك أنا شايف ان الإشارة دى ،  
جاية مقدمة شوية ، ومن الأفضل تأخيرها من الناحية المعمارية للعمل . وفجأة ،  
تغيرت ملامحه وكان يحضر المناقشة صديقنا عبدالرحمن الجديلي ، فقال : انت  
يظهر يا عبده أفندى ركبك الغرور . انت لسه قدامك أشواط علشان تبقى حاجة !!  
سمعت العبارة ، وأصابنى الذهول . وكادت الدموع تطفرف من عيني . وأسدت  
الستارة على علاقتنا ! وشعرت أن صدرى قد تحول إلى قبر .. واحتوى شوقي .  
وعندما مات شوقي بك ، بكيت ، كما بكيت أبى .

صمت . وذكريات . واجترار . وزمن . واعتراف . وسؤال !  
قلت للدكتور سعيد عبده : حاولت طول حديثنا أن أتخاشى الكلام عن مرضك  
العضال الذى عذبك أكثر من خمسين عاما أو تزيد .

فقال وهو يضحك : ياسيدى ، لقد عايشت الألم حتى ألفته . عام ١٩٢٠ كنت  
أصرخ من الألم . وعام ١٩٢٨ ، كان المرض قد اشتد ولكن الألم كان محتملا .  
وعام ١٩٥٨ ، كنت ابتسم من الألم . وعام ١٩٦٥ ، كنت قد عرفت الألم معرفة تامة  
وكنت أحيانا استأذنه فى التفرق بى ، وكان يوافق !

سألت د . سعيد عبده : بم تتصحنى وأنا رجل فى منتصف عمري ؟  
قل بسرعة : أن تبتعد عن « الكمد » . انه درجة أعلى من الحزن لا تصيب  
إلا الفنان . وهو انسان حساس ، ينفذ الحزن إلى أعصابه ويدخل من مسامه !  
سألته : كيف حال قلبك ؟

قال ضاحكا : أمشى أحيانا ، لأطيل عمره متى شاء الله . لكن الوظيفة التى خلق  
من أجلها قلب الانسان وهى النبض والاحساس ، ما عادت فى هذا العمر ! ان قلبى  
فى اجازة مفتوحة !

كلمات الفرشاه الأخيرة فى « لوحة » د . سعيد عبده ، هذه كلمات متناثرة .. له .  
تناثرت طول الحديث !

١ - « الحوادث على رأس قائمة أمراض العصر » .

٢ - « توفيق الحكيم فى الثلاثينات أكثر عمقا وعطاء » .

٣ - « متعة عجوز مثلى هى : السكينة » .

٤ - « أخذت من الحياة القليل . لكنه كثير » .

٥ - « الصدفة صنعت ثلاثة أرباع حياتى » .

- ٦ - « اسكن في البدروم لانى قانع بحياة بسيطة .. طويلة أو قصيرة .. لا يهم ! »  
واضحك . لامزم الالم !
- ٧ - فلسفتى بسيطة : « الله جاب . الله خد » .
- ٨ - « أسئلتك مثل أسئلة د. على حسن ، أستاذى فى علم الكيمياء الحيوية .  
مفاجئة وغير متوقعة وتضعنى فى حالة انتباه دائم » !
- ٩ - « الحياة الجادة دون شىء من الهزل . حياة مزعجة للغاية » .
- ١٠ - « القبله قد تكون سفيرا للفحبة ، ولكن هذا السفير كثيرا ما يخطىء - دون قصد - فيحشو حقييبته السياسية ببعض آلات المرض والموت والدمار ! » ملاحظة  
طبيب !
- ١١ - « أكثر ما يحزننى « انهيار » القيم فى .. الشارع » !
- ١٢ - « الذى لم يذق طعم الحب الحقيقى . لم يتعرف على مسرات الحياة .. » .  
سعيد عبده .  
كرباج كان له صوت ..  
فأضحى ريحانة لها عطر !





حیدر محمد

آلین ما فی الزواج !

هؤلاء حاورهم مفید فوزی - ۱۰۵

في ركن منزو، بفندق القدس، بالعاصمة الأردنية .. عمان، جرى هذا الحوار! أمسكت بالشاعر الأردني حيدر محمود بعد مطاردة دامت ثلاثة أيام! فهو «لا يهرب» من المقابلة، لكنه «ينسى» الموعد! ولما عاتبته على النسيان، قال إنها من «نعم الله» عليه أنه لا يتذكر كل الأشياء وأنه كشاعر يعيش بفوضى منظمة، ويترك ذاكرته المكدودة تحدد له مساره! وقال أنه يحب «المقابلات الصحفية» لأنها إفراج عن «تعتيم» احتوى فترة شعراء الأردن باستثناء عبد المنعم الرفاعي فهو «شاعر عربي» واسمه أكبر من محلبيته الأردنية! وقال حيدر «أود لو نلتقي في المساء، في ذلك الركن الهادئ، تحت ضوء الأباجورة الرمادية. هناك سأنتظرك وأحمل معي ديواناً جديداً تحت الطبع، قد تضطر لاستعارة بعض أبياته!» وهكذا التقينا. جاء حيدر أنيقاً لامعاً معطراً! سألته: ما الخبر؟ قال: لا غرابة في الأمر. وليس كل أناقة مفاجئة معناها موعد مع امرأة. أن موعدى معك يهيؤني للعرى النفسى. للتصادم. للاتفاق أو الاختلاف بحرارة!



□ نزار قباني :  
الأكثر شهرة  
لأنه الأكثر تمرداً  
على القوالب !

قلت لحيدر محمود : « المرأة ذلك المرفأ الحنون » . هل كان حنوناً معك ؟

رد حيدر : نادراً يا سيدي ما أرسو ولا ينبغي لشاعر أن يقبل بالشيطان .  
صحبتي مع البحر لم تبدأ من حدوده الأولى عند الرمل ولا أظنها تنتهي عند  
الضفاف الأخرى . أنا أبحرت من الداخل وكان الموج صاخباً ، ولكن لي ذراع  
سباح ماهر وكانت الريح شديدة لكن سفينتي من شجر البردي والعنمة موحشة غير  
أن عيني أكثر ذقة من البحر ! ومع هذا كله ، قد رسوت مرتين . واحدة عند مطلع  
النهار والثانية قبل أن توشك الشمس على المغيب . هل تأخرت في الثانية . أحسب  
أن بضع شيبات في الفودين لا تقلب السفينة . وأترك لقرائك الأذكاء أن يفهموا  
« الشفرة » ، فلست أخاطب إلا .. الأذكاء !

قلت لحيدر محمود : لكن المرأة ملهمة للشاعر ، ولا أظنك تنكر ، إنك رسوت  
واقمت .. ونهلت !

قال ضاحكاً : المرأة ملهمة . استغفر الشعر !

ثم استطرد يقول وهو يشعل سيجارة : « سيدي ، المرأة هي القصيدة ذاتها ..  
التي يقال إنها لم تكتب بعد . هل أروى لك قصة الفلاح الذي أغضبته الأرض ذات  
يوم فهددها بقطع الماء عنها ، فضحكت . وقالت له : لا يهمني ! وهددها في يوم آخر  
بتركها للأعشاب البرية تفتك بها وتأكّل أجسين التربة ، فضحكت وقالت له :  
لا يهم ! ثم هددها بالرحيل ، فبكّت وقالت له : أخاف عليك أن تموت ! »

سألت الشاعر الأردني حيدر محمود : هل يعطى الألم للشاعر ارهاصات الشعر أن  
يحرره من الإبداع . لقد قال عبد المنعم الرفاعي أن الألم وقود الشاعر وبدون ألم عظيم ،  
لا يولد فن عظيم . هل كان الرفاعي .. مبالغاً ؟

قال حيدر محمود : لم يخطئ عبد المنعم الرفاعي ، بل أنه قرر الحقيقة . لكن  
الشاعر يحترق كي يتطهر من فساد العمر وعفن الحياة ولا يجوز له أن يحترق لغير  
هذه الغاية . فإذا كان الألم حقيقياً .. كان الاحتراق كذلك . الاحتراق معناه  
التجدد . معناه الإبداع النقي . معناه الخروج من الرماد إنساناً آخر يحمل  
بواحدة من يديه الشعلة ، وبالأخرى « يخريش » على الحيطان .

قلت لحيدر : نترك جميل ، يكاد يناهس شعرك !

قال بسرعة : جاء نثرى من رحم الشعر ، ولكن نزار قباني ، يتصارع نثره  
وشعره . صدقني !

قلت لحيدر محمود : وسيناريو الحوار يسير بسلاسة : ترى ، ما سر شهرة نزار  
قباني ؟ هل لأنه يخاطب المرأة . وهي تتجاوب معه وتمنحه ثقتها .. وأذنبها . أم  
ماذا ؟!

قال بعد تفكير وقد نثرت دخان سيجارته ، وتكونت حلقات من الدخان الملون  
بفعل ضوء الأباجرة : بالرغم من كل ما يقال عن نزار ، وفيه ، يظل الشاعر الأكثر  
شهرة وحضوراً على الساحة العربية الشعرية ولهذا الحضور أكثر من سبب . لعل  
أهم واحد من تلك الأسباب أنه الأكثر تمرداً على القوالب شعرية كانت أو  
اجتماعية . فعلى صعيد الشعر استطاع نزار أن يخترع لغته الخاصة به ولا أحد .  
لا أحد على الإطلاق يعرف من أي نبع يعزف مفرداته . إنه في هذه الحالة يشبه

## □ غادة السمان كاتبة وليست شاعرة!

« المليونير » الشديد الغنى الذي لا يحتاج حين يريد أى شيء . شراء أى شيء إلا أن يوقع على ورقة صغيرة . فتوقع هؤلاء كما تعرف معترف به في كل أنحاء العالم !! وعلى صعيد اجتماعي ، يملك نزار من عناصر الاقتناع ما يجعل المرأة تغير لون شعرها بمجرد كلمة منه أو إذا أراد يجعلها تغير لون عينيها . وباختصار نزار أصبح واحداً من أشهر النجوم . ولو أنه قرر فجأة أن يمثل في السينما لكان نجم الشباك الأول بلا منازع !

قلت لحيدر محمود : الشاعر والمرأة هل هما متلازمان ؟

قال الشاعر الأردني : المرأة والشاعر : صدر بيت الشعر وعجزه .. أوله وآخره . أيهما يسبق الآخر . لا أدري . ولكن من دون المرأة . لا شعر . لا قضية . لا توجد صوفية بين الإنسان وبين الكون بكل عناصره وأشياءه والمرأة هنا هي الكون . قد يستطيع الرجل ، وأقول « قد » يستغنى عن المرأة من نواح كثيرة ، ولكن لا يستطيع الشاعر ذلك . لا يستطيع أبداً !!

تسللت بسؤال : هل هناك « شاعرات » تعترف أنت بهن ، أم أن الشاعرات غير مبدعات ؟

قال حيدر محمود : من قال أن الشاعرات غير مبدعات . هناك منهن من تفوقن على أكبر الشعراء . رأى أن الشعر شعر ، والأدب أدب كائن ما كان جنس مبدعه . أرفض مقولة « الشعر الستاتي » و « الشعر الرجالي » . تلك المقولة تنطبق فقط على الأشياء . والشعر ليس شيئاً . إنه قيمة تصدر من القلب ، والعقل معا . ولا أظن أن قلبي أو قلبك يختلف عن قلب نازك الملائكة أو فدوى طوقان ولا كذلك العقل .

قلت : بهذا المقياس .. دعني أتساءل هل غادة السمان شاعرة . لقد قرأت لها بضع قصائد داخل ديوان « أعلنت عليك الحب » .

قال حيدر : ليست غادة شاعرة ، ولا أظنها تدعى ذلك . إنها كاتبة فنانة يرقى نثرها إلى درجة الشعر . صحيح أنها في هذا المجال أفضل من ثلاثة أرباع « الشعراء » ولكنها ليست شاعرة وعلى أي حال هي واحدة من أفضل الكتاب الذين يعبرون عن جيلهم المسكون بالخوف من كل شيء . ما أشبه غادة بنزار !

قلت لحيدر : هل أنصفت المرأة في دواوينك ؟ هل أنصفتها كشاعر ؟

قال : المرأة بالنسبة إلى هي الوطن وهي القضية .. أتوحد معها وبها توحد صوفي يرقى إلى درجة الكمال .. لم اتغزل كما يفعل الشعراء بالشكل الخارجي لها ، فهي أنبل من أن تكون مجرد عيون جميلة أو قد مياس وهي أجمل من أن تكون مجرد وطن . أنها بينهما تسكن القلب وتطير به نحو كل ما هو مقيم وسام رفيع .

وصمت حيدر وكأنه يستقر ذاكرته وانطلق يقول :

بيننا خطوتان ...

أه يا رفة العين ..

إذا يفجأ النور بؤبؤها ..

تنطفئ لحظة وتضيء ..

تنطفئ لتضىء  
وتفقد انغلاق المدى  
يصبح الرمز عندئذ قمراً  
والذى لم يكن ممكناً أن نراه .. تراه ..

● ● ●

والهوى منذ كان

أسر وأسير ..

يستوى وجع القيد عندهما

وجع القيد عندهما : فرح وحبور

والهوى قدر النفس ، حين تشف . تشف .

لتصبح مثل غدير

راق من مبتداه إلى منتهاه

فكان المياه تحمم فيه المياه

سألت حيدر محمود: المرأة الشرقية .. عيوبها ومميزاتها؟

قال حيدر : كلما إنطلقت بخيالي . تعود وتجعلني أتكا على عقلي . ومع ذلك

أقول لك رغم تصدى المرأة الشرقية لكل الأعمال التي كانت إلى حين ، محرمة عليها ووفقا على الرجل إلا أنها ما تزال :

١ - المرأة الكسيرة الجناح . تبكى لأتفه سبب وتنهار أمام أى إشكال . هل هذا عيب من عيوبها .. أجل ولكنه كذلك واحد من أهم سمات أنوثتها !!

٢ - عيبها الآخر أنها ما تزال تسمح لنفسها بغسل الأطباق . لم لا تغسلها يوما ويغسلها الزوج يوما آخر ! هل هذه دعوة للتمرد ؟ ربما !

٣ - استغرب كيف ما تزال المرأة الشرقية بعد كل إنجازاتها المتقدمة في حاجة بعد إلى كلمة طرية من الرجل . لم لا تبادر هي إذا أحسست بميل ما نحو إنسان إلى الإعلان بكل صراحة عما تريد . هذا عيب آخر .. يعتبر كذلك ميزة . وأخيرا صدقني أن المرأة الشرقية بكل عيوبها تبقى الأقرب إلى القلب والعقل والوجدان .

قلت لحيدر محمود: يراها الفلاسفة « لغزا » . فكيف يراها شاعر أردني ؟  
قال حيدر : ليست المرأة لغزا ولا يحزنون . الإنسان بجنسيه معاً يبقى لغز الألفاظ . كل ما في الأمر أن المرأة تقول ، عندما تريد أن تقول - نصف ما عندها وتعطى ولا أعرف لماذا ، نصف الذى تستطيعه وتنتظر إليك عندما تعجبها ، بعين واحدة ، أو نصف عين المرأة يا سيدي ، مثلي ومثلك لا فرق في المشاعر الإنسانية بيننا . الفرق في مقدار الحرية وكمية الشجاعة وحجم الثقافة . بعد هذا كله .. لا أدري من أين جاءت العبارة المشهورة التي تقول « إن المرأة ثرثرة » ١٩

سألت حيدر محمود: الشاعر والزوجة . كيف تمضي العلاقة بينهما . ببساطة كيف تمضي العلاقة بين الشاعر حيدر وزوجته . وما هي المحاذير ؟  
قال حيدر محمود : أن العن ما في الزواج هو قضية المتنوعات هذه .. التي

□ عيب المرأة

الشرقية

لاتزال

كل الأطباق!

□ ألعن ما في

الزواج

قضية

المتنوعات !

تقوم بوضع يافطة في غرفة النوم : ممنوع الفوضى . ممنوع السهر . ممنوع السفر وحدك .. داخل النفس ! هل يعقل يا عزيزي مفيد أن تأخذ زوجتك معك في قصيدة أو في لوحة أو حتى في حلم ؟ لكنني أستدرك فأعلن لك بملء فمي لابد من هذه الزوجة بالذات . حتى يحدث التوازن فهي صمام أمانى من التشرذم الذى كان طويلا ومريرا . ولابد منها لكى تغطينى ساعة انام ، فانا صدقنى لا أعرف كيف أغطى نفسى !

قاطعت الشاعر الأردنى : كنتك «يا عزيزى حيدر» صاحب نظرية «النزوات محطات وقود» !

□ النزوات  
تعطيك  
متابعة  
بنفس عميق !

قال حيدر محمود وقد فاجأه السؤال : النزوة ليست محطة وقود فقط . إنها اكتشاف يثر بحاله .. تجعلك تعيد النظر في أخطائك السابقة .. وتعطيك نفسا عميقا للمتابعة . متابعة الحياة المعقدة والشرسة والمليئة بالمطبات . تصور كيف تكون الحياة بدون أخطاء . تصور كيف يكون العمر بلون واحد !

قلت لحيدر : عندى احساس دائم أن المدينة «عمان» بالنسبة لك حبيبة . ودائما اسمعك تقول «عمان .. فى القلب» و ..

□ لا أحب  
امرأة أخرى  
على حبيبتى  
عمان

وأكمل الشاعر السؤال والإجابة : سألتنى من قبل عن المرأة والشاعر هل هما متلازمان .. وقلت لك إنهما كذلك .. ولعل سؤالك هذا يكمل الصورة أو يشرحها بشكل جيد .. فعمان ليست مدينة عادية . كغيرها من المدن شوارع وبنائيات وفنادق ومطاعم .. تصور عمان الحبيبة . تصورها زميلة المدرسة التى كبرت معك . وسافرت معك . وجاءت معك وفى النهاية تزوجتها .. أو على الأقل لم ترفضك حين طلبتها من ذويها .. رغم أنها بلغت من الثراء ما لم تبلغه . وبلغت من المجد ما لم تصل أنت إليه . أنا شخصياً ، « لا خيل عندى .. » كما قال المتنبى . وليس لى - حتى هذه الساعة - شىء باسمى غير جواز سفرى ، الذى هو حق لكل واحد ولا أظن أننى أريد شيئاً من هذه الحياة . شيئاً مادياً بعينه . ومع ذلك تقبل عمان لأنها الوفاء بعينه والصدق بعينه والحب الحقيقى بعينه . تقبل بى وتقبلنى فى الصباح مرة ومرة بعد غياب الشمس . هل أحب عليها امرأة أخرى . محال .

أرخت عمان جدائلها ..  
فوق الكتفين ..  
فاهتمز المجد وقبلها ..  
بين العينين ..  
بارك يا مجد منازلها ..  
والأحبابا .  
وأزرق بالورد مداخلها ..  
بابا .. بابا !

سألت حيدر محمود : أين مكان الشاعر فى عالمنا العربى ؟  
قال الشاعر الأردنى : غل قدر حضور الشاعر نفسه يكون الحضور . هناك من هم فى صدر المكان وهناك من هم فى غيره . غير أن القضية تظل قضية

## □ إذا أرادت المرأة إحراق الدنيا أمرت رجلاً!

الحرية . أنا دائماً أقول .. أعطنى حرية ، أعطك ألف جائزة نوبل ثم ، أعطنى وحدة عربية أعطك كل جوائز الدنيا . ليس من الضرورى إذن أن يكون لكل دولة من ألف شخص شاعر . باعتبار أن أى شاعر يبدع فى أى أرض عربية هو شاعرنا جميعاً . على ضوء ذلك المفهوم أعود فأكرر : ليس صلاح عبدالصبور مثلاً أو أحمد عبدالمعطى حجازى أو أمل دنقل شعراء مصريين ولكنهم شعراء عرب . مثلاً أن بدر شاكر السياب أو أى واحد من الشعراء الممتازين هم شعراء لكل العرب .

قلت لحيدر محمود: قلب المرأة، هل هو حوض دافئ، أم بحر متقلب؟

قال حيدر : بقدر ما يزعجنى إيقاعك الخاطف فى السؤال بقدر ما يسعدنى . أنه لا يجعل لى وقت أفكر فيه ، فأضطر إلى تزويق إجابتى . الآن فهمت هدفك من « الإيقاع الخاطف » للسؤال . أنت تفاجئ محاورك فى غرفة نومه !!! وأعود وأقول لك ، إنك لا ترضى الحوض الدافئ فى كل الفصول . لابد من البحر بين فترة وأخرى . إنه قلب المرأة الذى ينبغى أن يسنى لنيله . ينبغى أن يكون كل المواسم ...

الآن أعلن أن نصف الليل ..

مرتبط بنصف الليل ..

والأمطار خاضعة لأمزجة الفصول

والآن أشكر قاتلى !!

فاجأت حيدر محمود مرة أخرى: بم تتميز كل واحدة فى قلبك . الابنة . الزوجة والأم؟

قال : الزوجة الحقيقية تجمع كل هذه الصفات ، لكن لكل واحدة من الاخريات تبقى فقط فى مدارها الذى خلقت له ولكل منهن مكانة فى القلب وفى الروح وفى الوجدان « ولا يعرف الشوق إلا من يكابده » !!  
سألت مدير دائرة الثقافة والفنون ، والذى يعتز أكثر بهويته كشاعر أردنى : هل العبقرية احتكار للرجل؟

قال الشاعر الأردنى : المرأة التى تهز السرير بيمينها إلى آخر المقولة .. هى بالتأكيد عبقرية .. وحكاية العبقرية التى تقول إنها احتكار للرجل مرفوضة لأنه يكفى مثلاً أن نزعّم أن المرأة التى تصمم على فعل شيء كائننا ما كان هذا الشيء لا تحتاج لأكثر من مجرد القرار لصنعه . إذا أرادت إحراق الدنيا فهى تأمر بذلك رجلاً للإحراق .. كما فعلت إيفا بهتلىر .. أو لا أدري ماكان اسمها .. بنيتون . وإذا أرادت إصلاح العالم ، أنجبت له واحداً يستطيع ذلك . أو ليست هذه عبقرية ؟! سامحك الله يا مفيد وسامحها معك !







# طفلة تعلم! سلمى شلاش

« .. وهل تسأل عن جنس العازف اذا سمعت  
موسيقى جميلة . هل هو رجل ام امرأة .. ؟ »

الحوار مع كاتبة له مذاق خاص !  
 في لحظة واحدة ، يكون الحديث على موجة واحدة من الفهم .  
 السؤال يخترق الوجدان ويصل بسرعة سهم انطلق ، والاجابة كالغام  
 تتفجر صدقا وحرارة !  
 وعندما تكون الكاتبة ، قصاصة ، فإنها تجيب وكأنها تحكى . فكل حادث  
 في حياتها يأخذ شكل القصة . له بداية ووسط ونهاية !  
 ود سلمى شلاش ، كاتبة سورية المسقط . طفولتها كانت في ربي دمشق  
 وغطااتها . كانت صبية دمشقية تتأمل وتحلم وبعد مشوار من القلق والمعاناة ،  
 أصبح لسلمى شلاش اسم بين كاتبات القصة ، واهتمت السينما بانتاجها .  
 « الحب قبل الحبز أحيانا » ، « أنا في عينيه » ، ود بنت السفير ، !  
 هكذا جرى الحوار بينى وبين سلمى شلاش ذات أمسية . أنا أسأل وأتساءل  
 وهى تجيب وتتأمل !  
 حذفتم أسئلتي ، فهي مفهومة لقارىء ذكى .. وجمعت الاجابات  
 وغربلتها .. فقد كان مهما ان تسمعا صوت سلمى شلاش .. وتقتربوا منها ،  
 وتحسوا بها وهى تحلم وتخطط وتفكر .  
 وهذه هى حصيلة حوارى !



● في الثانية عشرة من عمرى أمسكت بالقلم للمرة الأولى . مجرد « شخبطة » فوق ورق ملون ، صارت بعد قليل خواطر وأرسلتها بالبريد الى مجلة « الجندى » في دمشق ، وفوجئت بنشرها . يومئذ ، أيقنت أن القلم سيكون رفيق حياتى !

● أتذكر أيامى البعيدة القريبة حين عرفت طعم القراءة لأول مرة . كان لابی مكتبة ضخمة تنام الكتب في وداعة فوق أرففها . حين جلست أقرأ ، أقد أبى وأقد الكبار ، اكتشفت « متعة » خاصة . اكتشفت أن الكتاب صديق مفيد ، يضيف إلى معلومات ويشحننى بشحنات خاصة أهمها الحماسة والتفاؤل . أتذكر اننى كنت أجمع الكتب التى استعد لقراءتها في الصيف ، فأربطها بحبل صغير وأضعها بجانب السرير . وما يكاد العام الدراسى ينتهى وامتنح وتظهر النتيجة حتى التهم الكتب التهاما . فهل تصدق انى في سن الرابعة عشرة قرأت الادب الروسى ، وعرفت وتعرفت على « تولستوى » ، و« ديستوفسكى » واستطعت أن أفهم ما أقرأ بواسطة الترجمة الجيدة . وأظنه يدهشك أن تعلم انى عرفت بعضا من الفلسفة اليونانية القديمة التى أدمنت قراءتها في هذا العمر المبكر وكنت أناقش أساتذتى ومدرساتى في نظريات فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو . كنت أثير الدهشة والسخرية أحيانا . فقد كنت قصيرة ولم أكن قد جربت بعد الكعب العالى وكان من حولى يضحكون والبعض أطلق على « الفصيحة » لأنى كنت استخدم في أحاديثى اللغة العربية !

● ذات مرة أرسلت للكاتب أحمد بهاء الدين رسالة ، أطلب فيها أن أكون مراسلة لـ « صباح الخير » في دمشق . كانت رسالتى موجزة . كانت على حد تعبيره فيما بعد « سطور جادة لانتسان جاد » وأرسل « بهاء » خطابا يرحب فيه بانتماجى ! في العام التالى ، أجريت حوارا مع أول دبلوماسية في سوريا وهى زوجة أكرم الحورانى وكانت مدرستى فوافقت وأرسلت الحديث للأستاذ بهاء ، وبعد أسبوع فوجئت به منشورا وفي مقدمته كلمات كانت ميلادى : دمشق من « سلمى شلاش » !

● حين رأيت أحمد بهاء الدين بعد سنوات ذهبت أقدم نفسى له وكان يزور دمشق : أنهله حسمى . لم يتصور انى تلميذة مدرسة ، لكنه نصحنى نصيحة واحدة : القارئ الجيد ، كاتب جيد !

● تمضى الايام ، وتسافر أسرتى - لظروف ما - الى الكويت . هناك دخلت المدرسة الثانوية . كنت في السنة الثانية الثانوية ، حين كتبت في مجلة « النفط » محاولات جديدة في الأدب . بعض القصص ، بعض النقد . وكانت المجلة تنشرها في مكان بارز وأعترف أن نصيحة الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين كانت أمام عيني وفكرى دائما . ففى تلك الفترة قرأت من الكتب ما لا تستطيع فتاة في ضعف عمرى ( ١٦ عاما ) أن تقرأه اكنت أقرأ ، فأجد نفسى أتوق للكتابة . كنت أحس أن القراءة تشحن قلمى !

● في تلك الفترة - في الكويت - تزوجت من مهندس مصرى ( أمين حسنين ) كان أجمل ما فيه أنه مؤمن بموهبتي فلم يصادها بل شجعنى ودفعنى للكتابة وكان

يشتري لي الأوراق الملونة التي أكتب عليها ، وأهداني قلما ثميناً لاكتب به . أستطيع أن أقول أيضاً أنني لم أعش فترة مراقبة كبقية البنات فقد كنت مشغولة بالقراءة والكتابة وكنت أنظر لوقت اللعب على أنه وقت ضائع . كنت في ذلك الوقت أناقش الكبار وأهرب من الصغار وأهوى الجلوس مع الكبار و« أحشر » نفسي في حواراتهم الفكرية . كانوا في البداية يستغربون من وجودي ، وبعد قليل يصبح وجودي شيئاً طبيعياً ! كانت القضايا العامة تشدني وكانت معلوماتي تجعلني - رغم قصري - طويلة القامة ! كان والدي رجلاً عسكرياً ، وكان البيت يروج بأفكار عربية نائرة . كانت ثورة الجزائر في قمتها ، وكنت فخورة بأى ثائر عربي ينفذ غبار الاستعمار .

● أول قصة كتبتها كان اسمها « الوردة الحمراء » نشرتها مجلة الجيش الكويتي . كانت قطعة من الرومانسية الشفافة . كنت منذ صغري شغوفة بالجمال . أرى الشروق فيستغرقني . أرى الغروب ، فأبكي لأن النهار ولى .. وارتدى الليل عباءة سوداء . هذه القصة جعلتني أعرف « حجم موهبتي » . هجرت الخواطر والمقالات النقدية وكنت قد قررت أن أخلص للقصة والرواية . كان قراري هذا مبعث سخرية لمن حولي إذ قالوا لي « هل أنت غادة السمان حتى تقرري ميدانك ؟ » وقلت لهم : لم تولد غادة عملاقة . كانت تحلم مثلي وتخطط لنفسها وبالأصرار وصلت . صمتوا حين اكتشفوا أنني أحلم وأخطط ولا أبالي بكلمات الاحباط .

● حصلت على ليسانس الآداب قسم تاريخ . وأنجبت أولادي طيلة إقامتي في الكويت . فرحت بهم ، وفرحت بنفس المقدار ببينات أفكارى من القصص التي جعلت اسمى يتردد بعض الشيء في الأوساط الأدبية !

● كان في ذهني دائماً « نمط » للمرأة ، أدافع عنه في قصصى . نمط المرأة المستقلة مادياً ، لأن الاستقلال المادى للمرأة يمنحها الشخصية الاعتبارية ، إذ لا كينونة لامرأة بدون استقلالها المادى . فالاستقلال المادى يجعلها « قادرة » على تحقيق أحلامها ولا تعتمد على الرجل فتصبح « تابعة » اقتصادياً . أنى أكره هذه التبعية وأحاربها وأشعر أنها تجعل من المرأة مواطناً من الدرجة الثانية ! والرجل في قصصى دائماً قدوة وعطاء وعقل وأضعه دائماً موضع احترام وأراه مظلة واقية من شروق الحياة ، وأعتز كثيراً بعقله وعواطفه وأؤمن دائماً أنه يفكر بمنهج مختلف عن منهج المرأة وأنه لا بد وأن يراجع المرأة في بعض ما تذهب إليه من أفكار . لقد نشأت في بيت ، رأيت فيه الاحترام متبادلاً بين الرجل والمرأة ولذلك انعكس هذا على قصصى . أن قصصى ليست سوى بعض « الشرائع » من الحياة وهناك إضافة ما في قصصى وهى أنني دائماً السفر والترحال ولذلك تظهر آثار السفر بين سطوري وقد اكتشفت أن المرأة في القاهرة مثلها في دمشق مثلها في طنجة مثلها في روما مثلها في فيينا . أنها المرأة . واحدة في كل مكان ، تحلم بالأمن النفسى والاستقرار ، ورجل يحميها بعقله ويحتويها بحنانة !

● ليس صحيحاً هذا الاتهام الذى يتهمنى به البعض بأنى كاتبة رومانسية مترفة وأكتب عن النساء المترفات . هذا غير صحيح . لا أظن أن الفن القصصى يجب أن

يتعرض للنساء الكادحات فقط . أنا لا أريد أن أكون مزيفة . لا أحب أن أدعى الاهتمام بالكادحات دون مبرر قوى . أنا اهتم بالمرأة العصرية . والمرأة العصرية تكافح بشكل ما .

أنا لا أكتب عن طبقة خاملة من نساء المجتمع بل لا أطيق خمول المرأة ، لأن الخمول يساوى الملل ، والملل معناه الثثرة والجنوح والسوء . أنا التقط من الحياة « مواقف » انسانية أصوغها قصصا . ولا التفت مطلقا للخاملات فأنا شديدة القسوة عليهن واعتبرهن أصفارا ملونة على الشمال !

● نعم ، هناك فلسفة وراء العنوان الذى اشتهر وكان سببا مباشرا فى شهرتى : « الحب قبل الخبز أحيانا » ! فأنا مؤمنة ان ماديات الدنيا لا تحقق سعادة الانسان الداخلية . ان لمسة انسانية واحدة تساوى مال الدنيا . نظرة حب مفعمة بالصدق تساوى كل المال وكل النجاح . عندما أكون حزينة ، تمتد يدي نحو مفتاح الاضاءة لاضئ الغرفة . واكتشف ان الغرفة مضاءة سلفا فما الذى حدث ١٩ الواقع ان فى داخل « عتمة » لذلك أعتقد ان الحب - أحيانا - أهم من الخبز . وأريد أن أقول ان المعنويات قبل الماديات . هذه هى فلسفتى بكل تواضع !

● كاتبتى المفضلة هى « مارجرىيت ميتشل » مؤلفة « ذهب مع الريح » . وأحب « بنت الشاطىء » كمفكرة . ومعجبة بانتاج « غادة السمان » وكوليت خورى وأميلي نصر الله وزينب صادق وجاذبية صدقى .

أنا أعتقد ان تلك الكاتبات « ثروة » و « اضافة » للادب والذين ينكرون دور المرأة فى الادب ، كأنهم ينكرون بزوغ الشمس كل صباح . ان كل أدبية استطاعت أن تقدم المرأة من زاوية . انهن يعكسن أعماق المرأة كما هى ! وإذا كان هناك كتاب قد فهموا أعماق المرأة فلا بأس ولكنهم لم يتوغلوا لأبعد من نقطة معينة ! من هؤلاء احترم عطاء احسان عبد القدوس . انه يفهم أعماق المرأة بجرأة نادرة . انه يلتقط اصغر احساسيسها ويصوغها فى فن روائى راق . وهناك أيضا الشاعر نزار قباني . بيد ان احسان فهم المرأة كاعماق وسلوك ، ونزار قباني تكلم عنها فى قصائده ، كأننى ! لم يبحر « نزار » فى فكر المرأة أو عقلها أو عواطفها وان حاول أن يقنعنا انه فعل ذلك فى دواوينه !

● لن أتناقش الرجل فلازال حتى الآن - مهما تشدق ومهما أبحر - بعيدا عن جذوره ، مازال شرقيا . ففى لحظة ما يرتد إلى البادية ويفرض آراءه ربما لأنه توارث عن أجداده ان المرأة مخلوق « أدنى » منه درجات ! مع ان العلم الحديث أثبت ان المرأة لا تقل بأى صورة من الصور عن الرجل فى الذكاء والعقل والارادة ، وان الفروق بيولوجية ليس إلا . وان العبقريه ليست صفة من اختصاص الرجل . فالعبقريه مؤنث أيضا وليست مذكرة فقط ! الرجل الشرقى سيظل شرقيا مهما سافر وتعلم وتتقف . انها عقدة فى أعماق الاعماق تحكمه !

● أكبر هموم المرأة العربية تتركز فى نظرة الرجل إليها . نظرة الرجل للمطلقة . نظرت له للمرأة التى فاتها قطار الزواج . كلمة « عانس » ببيع المرأة الحقيقى مع انهم فى المجتمعات المتحضرة لا يلتفتون لهذه النقطة ! الرجل إذا فاته قطار الزواج

أطلق عليه المجتمع « عازب » ، أما المرأة فيسمونها « عانس » . هناك وصف آخر يطلقه المجتمع على المرأة هو : سن اليأس . انه لقب بشع ومخيف وأنا أرفضه شكلا ومضمونا ومنطوقا !

❶ في قصتي « الحب قبل الخبز أحيانا » كنت انتصر لحرية المرأة في اختيار طريقة حياتها واختيار الرجل الذي تحبه وصحوتها من أى تجربة فاشلة تمر بها . كنت أريد أن أجد قيمة الاصرار على المضي في الطريق مهما كانت هناك من عثرات . فأنا مثلا أعترف بتجربتي في الحياة . لقد حلمت يوما أن أكون كاتبة . وخططت لهذا الحلم وتابعت المشوار بإصرار خرافي وأظن انى أحصد الآن ثمرة اصرارى !

❷ دعنى أصارحك بكل وضوح ان المرأة الكاتبة في المجتمعات العربية تعاني من عدة مشاكل حيوية تؤثر بصورة أو أخرى على غزارة إنتاجها ونوعيته . فهي متهمه دائما انها لا تكتب إلا تجاربها الخاصة التي مرت بحياتها وعانت أحداثها ، أى انها باختصار « بطة كل رواياتها » . ولذلك لا يحظى إنتاجها - بكل أسف - بتقييم جاد . وهذه النظرة الضيقة تجعل المرأة الكاتبة في كثير من الأحيان تحجم عن الانتاج . وهذا معناه أن خيال الرجل الخصب يستثمره في الكتابة أما المرأة فقير مسموح لها باستخدام خيالها الأدبي ، بل من المفروض الا يكون للمرأة الكاتبة خيال ، أصلا !!

❸ ليس هناك أى فرق بين انتاج كاتب رجل أو كاتبة امرأة . هل تسأل عن « جنس » العازف إذا سمعت موسيقى جميلة ؟! الكتابة لغة عالمية تتسلل الى الوجدان وأرفض أن يكتب رجل ما بالنيابة عنا . نحن الكاتبات قادرات على التعبير عن أنفسنا بصورة أفضل وأعمق والكتابة هي فن التعبير عن الذات . وأنا لا أستطيع أن استعير تجارب رجل لأكتب بالنيابة عنه !!

❹ لا أستطيع أن أقسم الفنون ، فأنا أعتقد انها نهر واحد . الكتابة والموسيقى والرسم ، كلها تصب في نهر واحد . فكرت في احتواء اللوحات التشكيلية للفنانين في معرض « الجاليري » تقع في قلب القاهرة .. واكتشفت مدى الاستجابة للفكرة حين أحس الناس أن « الجاليري » ليست سوى « معرض دائم » لإنتاج الفنانين . ربما كان الفنان التشكيلي - على حد قولك - أخفض صوتا وأخجل من غيره ، فأنا أحاول - عبر الجاليري - أن أمد جسورا بينه وبين الناس المتذوقين للفن ! اننى أشعر أن هذه الجاليري أشبه بحديقة فيها أنواع كثيرة من الورد والنماذج والأساليب .

❺ في بعض الأحيان يخيل إلى انى المرأة ذات الوجوه الخمسة . أى « الأنماط » الخمسة :

فأنا لى وجه زوجة . وهو وجه مهم وعندى التزامات وواجبات .  
ولى وجه أم . وهو وجه شديد الأهمية . عندى ٣ بنات وولد .  
ولى وجه مديرة أعمال . لشركة زوجى . امرأة عملية للغاية .  
ولى وجه الكاتبة . وهو أحب الاهتمامات الى نفسى .  
ولى وجه المرأة .. الذى أعبر فيه عن نفسى كإنسانة تحب وتكره وتحلم . هذه الوجوه الخمسة هي في نهاية الأمر سلمى شلاش ولذلك ليس عندى فراغ وحياتى

مملوءة بشكل مذهل .. وأحيانا يدهشنى مثلا أسلوبى فى إدارة شركة زوجى فهو أسلوب حاد قاطع .. ثم تدهشنى رومانسييتى فى تناول قصة .. وفى اعتقادى أن كل انسان له أكثر من وجه وإذا سألتنى بم أسلح أولادى لقلت لك كما سلحنى أبى يوما ما .. بقيمة الاعتماد على النفس .

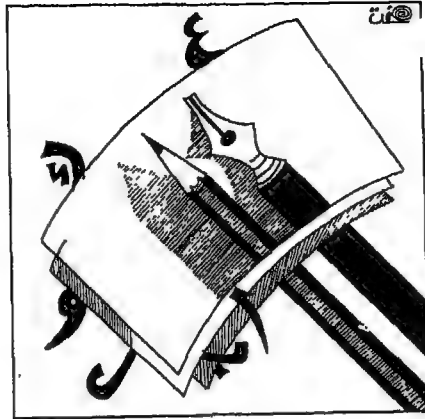
● نعم .. يقرأ زوجى قصصى - أحيانا - قبل النشر ولكنه غالبا ما يقرأها منشورة ويختلف على بعض التفاصيل ، ولكن هذا الخلاف يسوده الود ..

● انتمائى الى دنيا الأدب والأدباء هو أجمل متعة أحس بها ، اننى أشبه ذلك العالم الذى يبحث عن جزيرة غامضة وسط المحيط ، وظل يبحث عنها حتى وجدها . لقد وجدت « جزيرتى » وأقيم فيها الآن !

● أساستى مع السينما ، انها تأخذ قصصى ، فيبهرها العنوان وتتخلص التفاصيل . أنا - بكل تواضع - أعتبر نفسى مسئولة عن الرواية المكتوبة وليست الرواية المرئية على الشاشة الفضائية !

● هل حققت ما حلمت به ، نعم ، حققت وأكثر !

● من أنا ؟ أنا طفلة كبيرة مازالت تحلم .







# الشاعر المسافر ! عبد المنعم الرفاعي

« الشاعر محروم  
وحقه مهضوم »

نهار خريفى المزاج .. سحب نصف داكنة تتمطى فى استحياء .. لسعة  
هواء بارد جاءت تعتذر عن لهب الصيف الطويل ..  
أوراق الشجر .. برشاقة راقصات البالية .. تفرش الأرض .. الشمس تطل  
كعذراء خجول من خلف خمار أسود .  
الطبيعة فى أحسن حالاتها .. كأنما تستعد لتمارس الحب !!  
المدينة : عمان ، العاصمة الأردنية .. وبين ضلوعها التى احتوتنى كنت  
أسكن .. لأيام .  
موعدى معه فى العاشرة من صباح الثلاثاء .. أحب ساعة « الضحى » التى  
تعقب الشروق .. أكره ساعة « الظهيرة » فى كل شىء ، لأنها تسلمنى  
للغروب .  
أحمل نفسية هادئة ورغبة طفولية فى القفز لأمسك بأغصان الأشجار ..  
هل لأنى ذاهب إلى شاعر ، وبعد قليل سوف أدلف إلى واحتته الشعرية ؟  
ربما !! نعم .. أنا من النوع الذى يحدد لى من سأناقش معهم الوقت .. درجة  
حرارة حماسى أو .. لا مبالى .. وأحيانا تتأجج نفسى إلى لقاء .. وأحيانا  
أخرى ، تصل شهوتى النفسية إلى الصفر !!  
عبدالمنعم الرفاعى . حائر بين غابة السياسة ودوحة الشعر .. الغابة  
السياسية ، أشباح وأرواح شريرة ، والدوحة الشعرية أطياف وأحلام ..  
ولكن عبدالمنعم الرفاعى « يخون » السياسة مع الشعر ولا يحس بالأذى أو  
الندم !!



عبدالمعظم الرفاعي ، لتعرفوه أكثر ، لم يكن يوماً ما سياسياً أردنياً . حيث  
مسقط رأسه .. بل كان سياسياً عربياً تشغله الهموم العربية ..  
الرفاعي ، لتعرفوه أكثر ، شاعر ، أكبر من مساحة بلده : الأردن .. وكان  
سفيراً لبلاده في القاهرة عدة مرات .. وما زال وهو بعيد عنها يتغزل فيها ، وفي  
نيلها ، وفي عيون الصبايا المختلات على ضفافه !! الرفاعي ، لتعرفوه أكثر ،  
جاء إلى القاهرة ، أكثر من مرة .. مدعوا كشاعر عربي كبير ، في مناسبات  
عدة ، آخرها ذكرى الشاعر أحمد شوقي في كرمه ابن هانيء وقبلها في ذكرى  
العميد طه حسين .. واستقرت قصائده في الوجدان ..  
الشاعر عبدالمعظم الرفاعي ، لتعرفوه أكثر .. لابد أن تقتربوا منه . هذا الاقتراب  
الحميم . فمن المهم لكي نعرف إنساناً ، أن نفهم مفردات لغة حياته الخاصة قبل وقائع  
حياته التاريخية ..

صحيح أن كل لوحة فنية هي فصل من حياة الرسام . وكذلك القصيدة بالنسبة  
للشاعر .. ومن الممكن أن نقرأ يامعان وحب ديوان شاعر ما ونفتن بقصائده .. ويظل  
« ديوان » حياته مجهولاً .. وأهم قصائده ، لم نعرفها بعد .. تلك محاولتي !! ولكن ..  
كيف أقلب صفحات « ديوان » الشاعر الرفاعي .. وأفتش في نفسه عن قصائد  
مجهولة ..؟

كان يجلس في وداعة الأطفال وتحت قدميه كلب جميل يرقد في طمأنينة .. وكلانا  
يستظل بواحة الشعر ، وكأننا نقتاب . في شرعية شديدة . سيرة السياسة  
واعوجاجها !!

الرجل أنيق .. الملابس ، والسلوك والكلمة .. خلفه صورة ابنه ، حبيب عمره ..  
رفيق دربه الأوحاد : عمر .. الذي أهدها ديوانه الشهير « المسافر » .. وخصه بعديد من  
القصائد .. وقال لي إن عمر « أعظم قصائدي » التي لم ينتبه لها النقاد .  
الستائر البيضاء خلف النواهد توحى لي بهدوء كبير .. وفنجان الشاي مع شاعر  
وصفه عمر أبو ريشة « ليس في قلبه متسع لغير الحب » ، متعة . وعبدالمعظم الرفاعي  
يقول وأنا أصغى : « ليت الإنسان في هذا العالم المجهد ينطلق مع الشعر فيحوم ويحلق  
في تصور ممتع على مطايا الخيال يربط السماء بالأرض ، والغييب بالواقع والتصور  
بالوجود .. يقف كما وقف بنتون فحضر بقدميه الأرض ففجر منها العيون أو يبكى  
كما بكى ايزيس فحجرت من مدامعها النيل .. ليته ينطلق في دروب غير مرسومة في  
ثناياها العطر والجمال » .

قلت وأنا أتسلل إلى نفسه : لماذا قلت « ليت » أكثر من مرة ؟  
قال : لأن هذا الحلم يلبس ثياب الأمل ، وأنا سرت في درج حاد بى إلى منعطف  
الحقيقة والواقع .. منعطف يشعر معه الإنسان بأنه جزء من هذا الواقع الذى  
يحيط به ويلزمه ويعيش معه ويجرى على لسانه ..

قلت : أنا من القائلين « سيدى » أن المسئولية هى أحلى مرض !!  
قال الرفاعى : قديما كانت المسئولية الكبرى مبدأ من مبادئ التكوين القومى  
والخلقى .. فقد كان الخليفة الثانى عمر بن الخطاب يقول : « لو أن جملا هلك  
ضياعا على شاطئ الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه .. »

قلت : كان القادة .. فى تاريخنا يخشون ، أن يحاسبهم الله عن هلاك جمل ضاع ..  
استطرد الرفاعى يقول : عفوا ، يختلط فى نفسى دائما حديث الشعر وحديث  
السياسة .. فأنا لا أغلق ستائرى فى وجه المشاكل العربية ، ولا أجلس على ضفاف  
التاريخ متأملا ، متفرجا ..

عبدالمعظم الرفاعى . متى وكيف يكتب قصائده ؟  
أعرف أن جان جاك روسو - مثلا - كان لا يكتب إلا إذا غمرت الشمس بأشعتها  
القضاء .. فإذا طوتها السحب ، ظل حزينا يسرح فى فراغ الأوراق . وقرأت حكاية  
قديمة عن الشاعر الألمانى شيللر تقول أنه ما كان يستطيع الكتابة إلا إذا وضع قدميه  
على لوح من الثلج واستشقى رائحة تفاحة عفنة !!

أما أنا - هكذا يقول لى عبدالمعظم الرفاعى - فأكتب حين أحس أن فى صدرى  
شيئا يريد أن يولد .. عندما يأتينى « مخاض » الكتابة ، أكتب .. أينما كنت !!  
فليس للخلق وقت .. أن كلمة شاعر - كما تعرف - أصلها اغريقى ومعناها خالق  
أفكار موسيقية .. والشعر هو موسيقى الكلام ..

قلت : ان الرومان كانوا يستخدمون كلمة ما معناها نبي أو شاعر ..  
قال الرفاعى : أنا من الذين يعتقدون أن الشاعر ورجل الدين لهما مهمة واحدة  
وهى عادة الايمان بالله الى القلوب التى تمرغت فى المادية !!  
قلت لعبدالمعظم الرفاعى : ألا يزال لدولة الشعر - فى العالم العربى - ذلك الصولجان  
الذى كان ، أم أن العلم قد كسح الشعر واكتشاف القمر قد أزال هذه الدولة  
الرومانسية ؟! و ..

وقاطعنى الشاعر وقال : أريد تعديلا لكلمة واحدة فى سؤالك .. وهى كلمة  
« كسح » ما رأيك أن تغيرها إلى « جار على » فتكون هكذا « أم أن العلم قد جار  
على الشعر ؟ » ..

وافقت على التعديل ، وأعطيت الرفاعى أذننى طامعا مختارا ..  
« دولة الشعر ليست دولة ميكانيكية أو مصطنعة .. ولذلك لا أرى تعارضا بين  
بقاء هذه الدولة بمكوناتها وبين انطلاق الإنسان نحو العلم والآفاق والتعرف إلى  
حقائق الوجود .. دولة الشعر منطلقة من طبيعة المكان والزمان والإنسان .. هذه  
الطبيعة الخاصة التى أخرجت الفلسفات القديمة والرسالات الخالدة ، لا يمكن  
هدمها بعوامل وبنائها بعوامل أخرى .. ولكنى أعترف لك أن دولة الشعر قد هبطت  
ولم تعد ذات صولجان ولم يعد للشاعر هذا الاحتفاء القديم ..

قلت لعبد المنعم الرفاعي : هل في رأسك أسباب محددة لهبوط دولة الشعر واهتزاز صورة الشاعر ؟

قال : إنها مناخ عام .. لقد تكثفت أنانيتنا . وأصبحنا لا نلتفت إلا لحاجاتنا الشخصية .. كيف تنميتها ونحافظ عليها من اعتداء الغير .. لقد صار الأصل هو « الاعتداء » ولهذا ، بات الناس مجرد أنياب لها مخالب .. قلت : ولهذا تاه الشعر والشاعر في الزحام .. ولم تعد القصيدة خبزا روحيا .. وما عاد الشاعر فارسا في مجتمعه !!

□ الشاعر محروم  
وحقه مهضوم

قال الرفاعي برنة حزن : الشاعر العربي محروم وحقه مهضوم .. محروم من ممارسة دوره في تحريك البحيرة المراكدة .. محروم من أن تصل رسالته للناس ، يرفعهم إلى المثل الذي يريد .. وحقه مهضوم ، فالشاعر يطمح إلى المستويات الأعلى .

قلت مستدركا : ألا تعتقد أن الشاعر مغرق في تصوره .. أليس هذا دور السياسي والمصلح الاجتماعي .. أتصور أن الشاعر . كما يقول الناقد كارول لايل « يكشف لنا ما يجب أن نحب » ..

قال الرفاعي بسرعة : الشاعر يتنبأ .. يبشر .. أن قصيدة واحدة تسرى كالكهرباء بين الناس ..

قلت : هل هو تحيز للشاعر داخلك أكثر من السياسي ؟ قال : السياسي يتعامل مع الحوادث وهي غدا تموت .. أما الشاعر فيتعامل مع حقائق باقية .. خالدة .. الشاعر قديس والسياسي إنسان .. عبد المنعم الرفاعي يدلل لي على « انتفاضة » قلب الشاعر لما يجري أمامه على مسرح وطنه ..

يقول « الشاعر يغاطب الطبيعة ليرفعها إلى مصافه .. الشاعر يتألم لأن الشجر لم يشاركه الألم والجزع » ..

« إيا شجر الكافور مالك مورقا

كأنك لم تجزع على ابن طارق .. »

الشاعر يغاطب حصانه : يقول عنثرة

« لو كان يدري ما المحاورة اشتكى

ولكن لو علم الكلام تكلم »

الشاعر يشكو ، يثور ، ولكنه لا ينقم حين يرى المجتمع منصرفا عنه .

« ليتنى قوة العواصف يا شعبي .

فأفضى إليك ثورة نفسي »

وحين يشعر الشاعر أنه مهمل اجتماعيا وفنيا وأنه صار صفرا ولا وجود له في

حركة الناس .. يهاجر بروحه ..

يقول المتنبي :

« هأنذا ذاهب إلى الغاب يا شعبي

لأقضى الحياة وحدي بيأسى »

## □ السياسة غزت ديارى الشعرية

هأنذا ذاهب إلى الغاب يا شعبي  
على في حميم الغابات أدفن نفسى «  
ثم أنساك ما استطعت

فما أنت بأهل لخمرتى وكأسى «  
يقول عبدالمنعم الرفاعى : ظل الشاعر مكرما .. حتى جاءت عهود الانحلال  
السياسى والخلقى واهتم الناس بطرح المذاهب والآراء السياسية .. فانحسر  
دور الشعب وصار « الابداع » مهجورا ومغيبا .. ودخلت دولة الشعر مرحلة  
الركود وخاصمتها العافية ١١..

قلت لعبدالمنعم الرفاعى : أى الوجهين أوضح فيك ، وجه الشاعر أم وجه  
السياسى ؟

قال بحزن : مع الأسف ، أوضح الوجهين هو السياسى ، فقد أكلت السياسة  
عمرى حتى لم تدع لى مساحة للشعر .. بيد أنى لو خيرت لقضيت العمر شاعرا  
وإذا قلت لك « مع الأسف » فأنا لا أعتذر ولكنى أحس بالندم ١١..

قلت له : ألم تستطع أن تعطى للسياسة مساحة وللشعر مساحة مماثلة ؟ ان  
تشوهر أبو الشعر الانجليزى مثلا كان رجل أعمال وشاعرا فى آن واحد .. وهو  
الذى قدم لنا صورة العصر فى انجلترا فى « حكايات كاتبرى » ..

قال الرفاعى معلقا : رجل الأعمال ، تظل ارادته بيده .. لكن السياسى قشة  
فى مهب الريح العاتية .. وأنا - بعد توغلى فى السياسة وطرقاتها - اكتشفت  
وعودة الطرق وتفرعاتها وغبارها الكثير .. ولم أكن أود أن أرى من الحياة هذا  
« الزمن الردىء » ١١..

صمت عبدالمنعم الرفاعى قليلا ..

أطرق فى حزن ..

احترمت هذا « الاجترار » للماضى . واحترمت أكثر ، رنة الحزن والندم فى  
صوته ، لأن مساحة الشعر ، تقلصت بصورة كبيرة أزعجته وحرمته من متعة  
التجول فى رياض الشعر ..

فالكلمة « عند الشاعر - حورية غافية ، يخرجها الشاعر من عزلتها لآلئ  
عذرية الأصداف فى أبهر بعيدة تائهة الضفاف .

ويعلق عبدالمنعم الرفاعى « كم من لفظة نائمة فى القاموس . كاميرة تنتظر  
من يوقظها . ويطرز بها الجمال » .

شعرت . أن السياسة صادرت الشعر فى قلب الرفاعى .. وعدنا نتكلم ١١..  
- لماذا هذا « الولع » بالشعر عند عبدالمنعم الرفاعى . مع أن السياسة أعطته الاسم  
والمرکز المرموق ١؟ ..

الشاعر يرد .. كتبت الشعر وأدمنت لآستريح من همومى .. لأتحرر من  
عذابات النفس ومن معانقة القيود ١١

قلت مقاطعا : معانقة القيود ١؟

رد بواحد من أبياته فى ديوانه « المسافر » فقال :

رب حرية يعانقها القيد

فتحيا على عناق القيود ١١

قلت للرفاعي: هل «المسافر» هو ديوانك الوحيد؟

قال: نعم، ولكنه ليس شعري الوحيد.. ولعلك لا تعرف أن أحدا غيري هو الذي جمع قصائدي وطبعها وأهداني نسخة منها بعد أن أهديتها إلى ولدي عمر..

قلت: من من شعراء زماننا تعترف به في ملف الشعر؟

قال بعد تفكير (الاحظه دائما في كل من أسألهم عن أسماء) ..

قال: تعال نستثن شوقي وحافظ.. بعد ذلك من الأحياء المعاصرين، اعتبر «عمر أبو ريشة» شاعرا كبيرا وأعتبر بدوي الجبل، شاعرا مبدعا.. وأعتبر أحمد رامى شاعرا فنانا رفيع المستوى.. وأعتبر صلاح عبدالصبور شاعرا مثقفا وكنت أحترم عزيز أباظة شاعرا.. وافقن بعلى محمود طه، ويأسرنى بشارة الخورى..

قلت: هل أشعار رامى المغناة هي أجمل ما عنده؟..

قال عبدالمنعم الرفاعي وكأنه يدفع «اتهاما» عن رامى: هذا غير صحيح، فإن أشعار رامى غير المغناة، أبقي وأخذ وأرقى.. وأحب إلى نفسه وإلينا..

قلت لعبدالمنعم الرفاعي: هل لك رأى في الشعر العمودي.. الحر؟

قال: أنا لا أغفل مطلقا عن «القيمة الفنية» في بعض من يكتبون الشعر، خذ منهم «نزار قباني» مثلا.. أنا لا أحب له أن يكون هذا هو شعره.. أحب له أن يكون في مرتبة الشعر الأصيل الذي يحمل معه تاريخا ضخما من الحضارة وقيما خالدة من القيم الكونية.. وهو أى - نزار - يستطيع أن يكون ذلك، ولكنه يبحث أحيانا عن الرواج.. إن قصيدته «سيف ذهبي من دمشق» نموذج لشعر نزار الأصيل وبقية شعره نثر جميل ١١..

قلت: الشعر الحر، نثر جميل؟

قال الرفاعي بصورة قاطعة لا تقبل نقضا لأحكامه: نعم.. إن الأنسة فدوى طوقان الشاعرة، تكتب الشعر الحر، ولكنها حين تواجه موقفا أو مناسبة جليلة، تكتب شعرا أصيلا في مستوى الجلال، إن الشعر الحر عندها، تنفيس لعاطفتها وهذا من حقها، كامرأة.. تذكرت وصفا لتشيكوف قاله عنه تولستوى.. قال أن تشيكوف هو بوشكين روسيا في النثر ١١.. عاد الرفاعي يقول: إن الشعر الحر، منثور إلى حد لا تجد خيطا يجمعه.. ويصل هذا الانتثار إلى درجة الانفلات فيكون شعرا منحلا..

قلت: تذكرت عبارة جميلة لغادة السمان تقول: «إن غيابك، يغتال حضوري»..

صاح الرفاعي وقال: هذا شعر منثور.. والسيدة غادة السمان يصل بعض ما تكتبه من نثر إلى مستوى هذا «الشعر الحر» ١١

أكد أحس أن الينبوع المتدفق للشاعر عبدالمنعم الرفاعي.. الذي تنساب منه كل السواقي هو الألم!

□ الشعر  
الحر شعر  
منحل

□ أشعار  
رامى المغناة  
ليست أعظم  
ما قال

قراءتى لديوانه «المسافر» تكشف عن ألم دفين . ومراة تصاحبك طول  
التجول فوق أضلاع الحروف !!..

قراءتى للمسافر، جعلتني أحس أن الألم جزء من شخصيته ومن إيقاع قلبه  
ودقاته .. ودورته الدموية !!..

عبدالمعظم الرفاعي يقول لى أن الشعر عندي فن حضارى .. اختيار الكلمة  
له أسبابه ومسبباته .. اختيار الجرس الموسيقى للكلمة علم كامل .. لماذا  
استخدم كلمة « أمسى » بدلا من « أضحى » القصيدة عندي بناء .

**قاطعته : نوافذ ؟**

قال الرفاعي : سمعت نصيحة من شاعر عربى كبير ( الأخطال الصغير )  
يقول لى : يا عبدالمعظم ، اجعل من بيتك الشعرى ، بيتا تسكن فيه لأبد من  
نافذة .. يدخل منها الهواء والأشعة والنور !!..

**سألت الشاعر: من هو والدك الروحى ؟**

قال بصوت متهدج : ابنى عمر .. جعلنى شاعرا .. أما الشعراء الذين  
تأثرت بهم .. فأنا اعترف لك أنى تأثرت بالمتنبى ، وتأثرت بشوقي ، واستمتعت  
وأحببت شعر بشاره الخورى ولهذا أنا أعتبر نفسى حتى الآن ، فى مقاعد  
المستمعين !!..

**قلت للرفاعي : هذا تواضع !!**

قال : هذا تقرير واقع بدليل أن المتنبى أعطانى « كبرياء الشعر »  
واستهانته بكل ما حوله .. شوقى أعطانى « الألق المديد » ..

**المرأة عند الشاعر عبدالمعظم الرفاعي .. هل هى مثلما قال آرثر ميللر «أضخم  
مصنع للأوهام يمكن تصوره» ؟**

الرفاعي يقول : المرأة عندي هى مصدر الوحي للشعر .. أنا مثلا أعجبت  
ذات يوم بانسانة وكان ذلك فى القاهرة .. نظمت من أجلها عددا من القصائد ،  
وكانت تحب شعرى وتتعلق به .. اختلفنا ذات مرة .. وكان الخلاف محتدما ..  
فقلت لها بغضب « تذكرى أننى أعطيتك هذا الشعر » فأجابت بنفس الغضب  
« بل تذكر اننى أعطيتك هذا الشعر » .. والحق أقول لك انها أصابت  
الحقيقة .. فالمرأة وقود الفنان .. أنا لا أنظر للمرأة « التكوين » ولكن المرأة  
« الجمال المعنوى » .. المرأة عندي « مصدر للفتنة » ولا أنظر إليها كمقطع  
للاستلاك ولهذا عرفت الكثيرات وأحببت الكثيرات ولم أتزوج سوى واحدة  
« السيدة نهلة القدسى » .. المرأة عندي - كشاعر - مسرح خيال .. وهذا يبدو  
واضحا فى قصائدى .. ربما لم ينتبه النقاد لهذا لأن السياسة غزت ديارى  
الشعرية .. ولكن القارىء لديوانى يحس أن وراء الحروف . وهج حب كان !!..  
**قلت للرفاعي : وهج حب كان ، وأتأت ألم مازال مصاحبا لروحك !! ابتسم**  
**الرفاعي لأول مرة ..**

وقال : هذه حقيقة من الحقائق .. الألم عندي يكمن مستترا أحيانا ويفصح  
عن نفسه أحيانا أخرى ..

سألت عبدالمنعم الرفاعي : أنا لا أصادر « الألم » عندك . ولكن بودى لو اتمشى قليلا في رياض نفسك .. وتتوقف أمام أول شجرة ألم ..

قال : أنا أحب الألم .. أنا أرى أن الألم هو الوقود المظهر للنفس والمزجج للاندفاعات .. الألم هو العنصر الذي لا تعتريه الشبهات .. هو البراءة المطلقة والطهر .. وإذا أردنا أن نبسط ذلك ونحوه إلى ترجمة كيميائية .. النار التي تحرق هي التي تصهر وتطهر .. الألم يصهر العواطف ويذيبها في بوتقة واحدة .. ولكن في حياتي العملية كانت هناك مصادر للألم ..

عاد يقول : « انفصالي العائلي كان بداية هذا الألم أو قمته .. وكان يمكنني أن أتغلب عليه وأعبره ، لولا أنني كنت أرتاح لاستمرار شعوري بالألم .. اليس هذا تناقضا ؟ أحببت لمشاعري أن تظل تتذكر هذا الألم وتحيا فيه ويحيا فيها .. وتستأنس بهذا التفاعل المرير .. ممكن بلغة الإنسان العادية أن تسمى هذا وفاء ولكنه هو الالتصاق بالحقيقة .. الألم أكثر الحقائق قيمة عندي ولهذا فانا أحب الألم وأحترمه وأحب أن يكون رفيقا لي .. بعض الذين عرفوني يقولون الرفاعي هو « الألم المحبب » .. كان يقول الآخرون « أبو عمر ، من يقرأ قصائده يرفه بها عن ألمه » !!

قلت للرفاعي : كان كامل الشناوي يتألم .. كان الألم يصدر رائحة في قصائده .. قال : هذا صحيح ، ولكن الألم في قصائدي ، دفين والألم عند كامل سافر ، والداء أقتله دفينه ، !!

هل اكتملت اللوحة التي أحاول أن أرسمها للشاعر العربي عبدالمنعم الرفاعي ؟ هل استطعت أن أقدم بعضا من ديوان حياته ؟ لقد قال لي : وأنا أودعه . « لو خيرت أين أعيش من أجل الشعر وحده لاخترت القاهرة مهبطاً لأشعاري .. »

وقال لي « في ديوان المسافر ، أيها المسافر للقاهرة قف عند قصيدتي عن مصر . والنهر الخالد ، وعيون الصبايا ، وعبق الزمن ، ومآذن الحسين » .. وقال لي : « في ديواني المسافر ، أيها المسافر من عمان غدا .. تمهل وأنت تقرأ قصائد ، يلسعك فيها ألم إنسان .. صاغه شعرا .. »

بين كتمان الألم .. وشيطان الأمل ، يقع قلب الشاعر عبدالمنعم الرفاعي !!

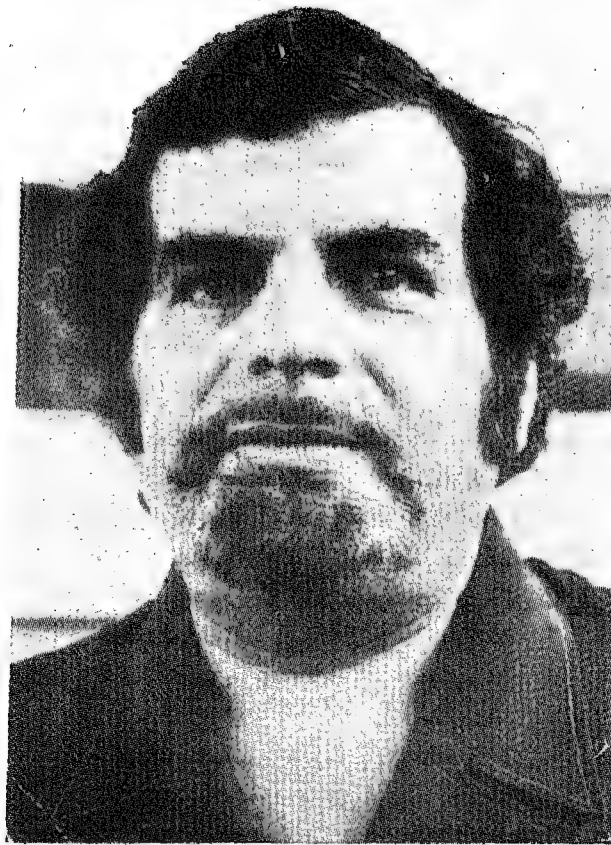
□ من يقرأ  
قصائدي يرفه  
بها عن ألمه

□ الشاعر  
المسافر: أحب  
الألم وأحترمه









# شاعرية الصديدي صلاح عبد الكريم

« أبى اسمه الصبر ،  
وأُمى اسمها الصدفة ! »

□ الرجل الذي  
يستقبلك علي  
باب كلية  
الفنون الجميلة  
بمناسبة  
احتفالاتها  
باليوبيل الماسي  
حتى منتصف  
يناير ٨٤  
فنان كبير ..  
اسمه صلاح  
عبدالكريم وهو  
عميد الكلية  
وله ٤ وجوه !

لا بد - للأمانة - أن أسجل « اعترافين » قبل محاولة نحت تمثال بالكلمات ..  
لهذا الفنان المثال !

الاعتراف الأول : أننى حين رأيته لأول مرة وجلست معه ، شعرت اننى  
أجلس - عفوا - مع أحد مساعدى هتلر ! إن نظارته السوداء القاتمة التى  
يخفى وراءها وذقنه الصغيرة السوداء التى تتخللها شعيرات بيضاء ،  
أعطتني انطباعا بعدم الراحة ، وأغرت خيالى المتوثب باستعارة معنى  
« النازية » !

الاعتراف الثانى : إنه حين انضم لمجلسنا رفيقا جيله « حسن فؤاد وجمال  
كامل » وحدثانى عنه ، ازدادت حيرة وكبر اللغز ، ووجدت نفسى أمام إنسان  
يجمع كل المتناقضات الحادة . الطيبة والقسوة ، الرقة والعنف ، التواضع  
والغرور ، البساطة والدهاء .

وجدت نفسى أمام إنسان يخاصم « الوسط » فى الأشياء ، وزارنى احساس  
باننى أقتاسم حوارا مع طفل كبير « يجرب » كل شىء فى الحياة ، ويطلب منا  
أن نصفق له ونكافئه بقبلة !

.....  
.....

وكنت قد سألت عنه - كعادتى - حين أهرد شراعى وأزعم الابعار فى حياة إنسان !  
سألت عنه ثلاثة يعرفونه عن قرب :

١ - سألت أستاذة « بيكار » ، وقال لى بالحرف الواحد إذا ذكرت اسم « صلاح عبدالكريم »  
يتبادر إلى الأذهان صورة أربعة فنانين يحملون نفس الاسم فهناك صلاح عبدالكريم  
المصمم المزخرف ، وصلاح عبدالكريم المصور ، وصلاح عبدالكريم المثال ، وصلاح  
عبدالكريم الخزاف . وإذا أردت أن تحدد موعدا مع هؤلاء الفنانين جميعا فى ساعة  
معينة ومكان معين ، فسيد هشك ألا تجد فى استقبالك سوى شخص واحد يأسرك  
برفته وبساطته وشدة أدبه وتواضعه . وستدرك بعد أن تلتقى بهذا الشخص أنك فى  
لقاء مع الفنانين الأربعة ! فليس صلاح عبدالكريم سوى أربعة فنانين كبار  
مجتمعين فى شخص واحد ، فهو كالجوهرة المتألقة لا يمكن النظر إليها من جانب  
واحد !

٢ - سألت عنه الأستاذ يعقوب الشارونى ، الناقد المتخصص ، فقال « أنت أمام فنان  
قضى على عبادة الرخام والجرانيت والحجر الجبرى وغيرها من الخامات التقليدية  
لفن النحت وأوضح للمثاليين أننا نمر بمرحلة تصنيعية قوامها الحديد والصلب ،  
فلا أقل من أن يتجاوب فنا مع هذا التحول الجديد فى حياتنا مؤكداً عصر الصناعة  
الذى نعيشه !

٣. سألت عنه الفنان صلاح جاهين ، فرد برباعية تقول :

فيك يا حديد روحانية  
ان كنت مسمار والا فاس ..  
ان كنت مفتاح والا بريمه ..  
ان كنت سيف والا ابره ..  
ان كنت محرات ..  
ان كنت مشبك شعر  
ان كنت مروحة موتور  
ان كنت مطرقة ..  
ان كنت سيخ  
ان كنت جنزير خرده في التراب  
فيك روحانية ..  
عشان ما بين الرب والحديد  
فيه ابن آدم ... !!

... ..  
... ..

يسكن صلاح عبدالكريم في شارع يحمل اسما غريبا ، ومغرورا . شارع « ابن  
النبية » في الزمالك ! خلف شارع أبو الفدا الذي كان من أبرز سكانه المرموقين ،  
الغالبية ، الحاضرة : أم كلثوم !  
أعطتني نظارة الفنان صلاح عبدالكريم القاتمة ، شعورا بأنه انسان متشائم ،  
وتمنيت لو يخلعها وأنا أحاوره ، وقلت لنفسى معزيا « لقد أعطى المتفائلون الأحلام  
الجميلة وأعطى المتشائمون الحضارات والفلسفات والاحتجاج ، !

وقال صلاح عبدالكريم وأنا أفكر معه بصوت عال :  
 التفاؤل ، استسلام ، والتشاؤم تحد !  
 ولما قلت له : أهذه دعوة للتحدى ؟  
 قال : بل لليقظة في عالم يدوس النائمين في وداعة !  
 ولما قلت له : لكن التفاؤل قيمة .  
 قال صلاح عبدالكريم : الاحتجاج أكثر تفاؤلا !  
 ولما قلت له : ماذا قصدت بالاحتجاج ؟ قال : استشراف المستقبل ! وقلت له : يوما  
 ما في الماضي البعيد . كان الاغريق يتسلقون الأسوار العالية ليروا الأفق البعيد !  
 قال « الفنانون صلاح عبدالكريم » كما يسميه بيكار :  
 لست في حاجة - اليوم - إلى تسلق الأسوار العالية ، فالفن يفتح لك باب الأفق  
 البعيد ، والعلم يحملك إلى الغد بسهولة !

... ..

... ..

قلت لصلاح عبدالكريم : حين أبهر بقاربي المتواضع في حياة انسان ، أتوقف  
 كثيرا عند مرفأ الطفولة ، ربما لأنى أشعر أنها « المشتل » الأول .  
 قال الفنان الكبير : المشتل عندى كان القيوم ، فأنا من مواليد سنورس ، وأبى  
 كان مهندس الرى في القيوم ، وأول صورة يعيها وجدانى ، صورة « وابور الثلج » ،  
 ماء من صهرج ينتصب في قلب المدينة ، يتحول إلى قوالب ثلج بعد عدة مراحل .  
 كان هذا المشهد يثير اعجابى ، لست أدري السبب !  
 وأقاطع صلاح عبدالكريم بملاحظة : ان وابور الثلج هو أول « نحات » يستولى على  
 دهشتك في الطفولة ، إنه ينحت القوالب بمهارة من .. الماء !  
 ويضحك صلاح عبدالكريم كالأطفال وكأننى كشفت له سرا غاب عنه !  
 ويعود ليحكى عن المشتل !

« أتذكر جيدا المدرجات الخضراء ومنحدرات المياه ومزيكة البوليس في منتزه  
 فاروق وخرير السواقى وشدوها الجميل ، وأطفال صغار يستحمون في التربة  
 ويتسابقون ليحصلوا على كرات الثلج الصغيرة . وطفلة بصفائر تقضم قطعة من  
 البطاطا ، وعيهاها تضحكان ! كل هذه الصور حاضرة رغم الزمن البعيد ، وكنت  
 اتكىء عليها أيام الضيق ، فتفرج عن كبرى .

... ..

... ..

ومثلما توقفت عند الطفولة باعتبارها « المشتل » ، أتوقف عند « الأستاذ » الأول  
 الذى يصادفه الانسان فرما أن يفجر طاقاته أو يكسر مجاديفه ، وفي حياة صلاح  
 عبدالكريم كان الأستاذ هو .. بيكار .  
 يصفه صلاح عبدالكريم فيما بعد « لقد كان رجلا مدهشا ، فهو الذى أدخلنى عالم  
 الفن . يعزف الموسيقى ويعلمنى العزف ويرسم المدرسين ويتيح لى مصاحبته  
 ومعاونته أثناء عمله . »

يقول لى صلاح عبدالكريم : كنت تلميذا في مدرسة قنا الثانوية حين عرفت

## □ واكتشف صلاح عبد الكريم شاعرية الحديد !

الأستاذ بيكار . وضمنى إلى جمعية الرسم حين اكتشف بحسه الذى لا يخطئ .  
موهبة الفن الراقدة في أعماقى . وكانت نبوءته صحيحة ففجر طاقاتى حقا ، وأطلق  
عنان خيالى وجعلنى أعشق الألوان حتى إننى يوما ما صرت « امبراطور الألوان »  
كما يطلقون على اوصار قلبى يدق كلما لمحت فنانا وفرشاة زيت ولوحة ارسمت مرة  
وأنا تلميذ بائع العرقسوس وقرأت في عيني الأستاذ الاعجاب فأحسست أن سفينة  
حياتى سترسو على شاطئ الفن . كان بيكار « الركيزة » الأولى في حياتى . وقد بلغ  
من حبه للرسم أنى صرت أنجح في مادة الرسم بتفوق وأرسلت في بقية .. العلوم !  
وانفجرت في الضحك ، فتوقف صلاح عبد الكريم وسألنى .. لماذا ضحككت بشدة ؟  
قلت .. لأنى . وأنا تلميذ في الثانوى . كنت أنجح في كل العلوم وأرسلت في .. الرسم !  
واستطردت أقول .. لأن مدرس الرسم لم يكن « بيكار » . كان نسيم أفندى وكانت  
مدرستى . مدرسة بنى سوييف الثانوية . تعمل ألف حسب لنسيم أفندى . كان قاسيا  
ويعتبرنا « عيال نضيع وقته » ! لم يكن يحب التدريس ! كان يشعر أن بقاءه في المدرسة  
مأساته في الحياة ، وانعكس هذا علينا نحن تلاميذه . رسلت لأنى رسمت إبريقا وكوبا  
تحت مستوى النظر وكان السؤال يقول .. ارسم فوق مستوى النظر ! وكرهت مادة  
الرسم ، ثم بدأ ذوقى الفنى يعود إلى طبيعته على أيدي فنانى روز اليوسف ! ومازلت  
حتى الآن إذا أردت أن أرسم وجه رجل ، كتبت كلمة « ملح » وأكملتها من خيالى !  
وضحك صلاح عبد الكريم من قلبه وقال .. انه « الأستاذ » الأول الذى تقابله  
فإذا سخر منك ، حطم أحلامك وإذا أخذ بيدك ، أعطاك الجريان للنهر المقدس التقيت  
- بعد بيكار - بالأستاذ حسين يوسف أمين الذى كان يطلب منا أن نرسم بالزلط ،  
فرسمت وقلت لنفسى ، لو طلبوا منى أرسم بالحديد لفعلت ، ويبدو أنها لم تكن نكتة  
لأنى صادفت « الحديد » في مشوار عمرى ، وتجاوزنا . وكان عنيدا ، لكنه بدأ  
يلين ، وأعطانى الاسم والشهرة واكتشفت فيه شاعرية غريبة ، وروحانية أظن أن  
صلاح جاهين حدثك عنها !!

.....

.....

وتمضى حياة صلاح عبد الكريم في « مجراها » الطبيعى يدخل كلية الفنون  
الجميلة . « كانت الحظن الحقيقى لى » . ويتخصص في الديكور .. « كنت أحس أنه  
هيكل المعمار الجميل في أى شيء » . ويتخرج بامتياز مع مرتبة الشرف « إننى أمتج  
الخامات التى اشتغلت بها هذه الشهادة ولست أنا » . ويعين معيدا بقسم الديكور .  
« كنت أحلم أن أسقى تلاميذى شهد الفن ، فهل استطعت ؟ » . ويفوز بجائزة الدولة  
ويسافر في بعثة لمدة خمس سنوات إلى باريس .. « مدينة لونها لبن في لبن .. بيضاء  
كالثلج وقلبها دافئ كالجمر » . ويتلمذ على يد الفنان العالمى كاسندر .. علمنى ما هو  
كبرياء الفنان وكيف يكون التحدى بين الفنان والخامة « ثم يدرس فن الديكور  
والمسرح والاعلان .. « كنت أحس أن الدراسة تشحن عروقى بالعمل وكنت أؤمن أن  
أوروبا للعلم وليست للهو » . ثم سافر صلاح عبد الكريم إلى روما وحصل على الدكتوراه  
من المعهد التجريسي للسينما .. « المعاهد التجريبية في أوروبا تحنو على خيالى التجارب  
التي هي جنين أى إبداع راق » . ودرس فن الخزف على الأستاذ العالمى ميبلى . « عرفت

على أوتار لم أعرفها بعد ولم يكن عزفى نشازا . ساهم صلاح عبدالكريم في إنشاء قسم الديكور بالمعهد العالي للسينما .. « كان مهما أن تصب خبرتى في بلدى ... » وكان أستاذا غير متفرغ بالمعهد العالي للفنون المسرحية .. « انى أعتقد أن الديكور جزء مكمل من إبداع العمل المسرحى » .

واستطاع صلاح عبدالكريم أن ينتزع اعترافا عالميا بقدرته على تشكيل تكوينات نحتية من الحديد فحصلت على ميدالية الشرف الدولية لفن النحت .. « كان الحديد بالنسبة لى تحديا . فهو خامة لا تلين بسهولة » . وفي عام ١٩٦٣ صدرت الموسوعة الفرنسية لاروس وقد سجلت صورة تمثال صلاح عبدالكريم « صبيحة الوحش » من الحديد في الجزء الثالث منها .. « يومها كنت أبكى . فأنا حصلت على أكثر مما استحق » وفي مجال التصوير فقد حصل على جائزة سان فيتورومانو الدولية .. « هل تحس بلدى بهذا النجاح . اننى أتساءل دائما » . وحصل صلاح عبدالكريم على جائزة مرموقة في تصميم مدخل مدينة العاشر من رمضان .. « ان للمدن طعما ويجب أن يساهم الفنان التشكيلي في تجميل المدن بقاعدة وليس بجتهاد ساذج » . وحصل صلاح عبدالكريم على وسام الاستحقاق للعلوم والفنون .. « هذا الوسام أمنحه لأصرارى الذى لا يلين كالحديد تماما » . ثم حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٥ ثم الشهادة التقديرية عام ٧٩ .. « أخيرا ، عرفت بلدى حجم جهدى » .

وأعمال صلاح عبدالكريم في ديكور العمارة الداخلية للفنادق تحمل اسمه .. فندق فلسطين وفندق إيتاب بالأقصر وأجنحة مصر في المعارض الدولية .. « كان الديكور حيا ، فسقيت به الفنادق » .. ومما يذكر لصلاح عبدالكريم تصميمه ديكور ٧٠ عملا مسرحيا .. « ان حبنى للمسرح يفضحنى حين أبيت الليالى أنسج هذا الديكور » !

... ..

حسن فؤاد يتكلم . تسلى صوته هامسا ثم أفصح عن نفسه ، حين أصغينا له . وكان الكلام . عن صلاح عبدالكريم . وموجهها لى .. ولكم ! قال حسن فؤاد .. « من الممكن أن تقول ان صلاح عبدالكريم . رغم أنه عاش سنوات طويلة في أوروبا لكنه من أكثر الناس الى « راحوا أوروبا واشتغلوا » ، بمعنى أنه في أوروبا ، كان ينتج ويرسم وينحت ويعمل .. لذلك فهو متعدد المواهب .. على عكس شبان في مثل عمره لما يروحوا أوروبا يستمتعوا بالحياة .. الموقف بالنسبة لصلاح هو العمل الدؤوب المستمر .. الحرفية التى يعمل بها صلاح عبدالكريم تفوق بها على كل من حاول اللحاق به .. إن الينابيع التى أعطت صلاح عبدالكريم هذا التدفق لم ولن تجف .. وردا على سؤالك ، ما هى ينبوع صلاح عبدالكريم ؟ أقول لك استنتاجا ، ان صلاح ابن بيئة فنية ذؤوبة في الفن .. فنحن في طفولتنا لابد أن نرث الصفات من أهلنا .. ليس بالضرورة أن تكون القرابة الأولى ، كالأب والأم أو العم .. إنما لابد أن يكون هناك من يملكون قيم التفانى والعمل .. ذلك أن صلاح عبدالكريم تميزت أعماله بالتفانى والجهد المخلص الصبور فهى أعمال صعبة فيها لهب .. ويكفى أعماله بالحديد .. لقد دفع ثمن هذا الحب غاليا من نور عينيه إذ تطايرت شرارة لهب وهو ينحت

تمثالا.. إنه يعمل بجنون .. أو مجنون يعمل ما .. فهو يعطيه عمره ... وليس بعض الوقت .. وهذه صفات ورثها صلاح عبدالكريم وآمن بها .. فأعطته ومنحته ورأى حصاد الجهد ، تذوق الثمرة الشهية لفلاحته في أرضه الخصبة المعطاءة .

وقال صلاح عبدالكريم يعلق على رأى حسن فؤاد .. انه العشق يا أبو علي ! لخص الفنان الكبير حبه وهواه للفن بعبارة واحدة من كلمتين : إنه العشق .. وقال حسن فؤاد - إنك ماهر في دفع صلاح عبدالكريم للكلام انه صموت ولا يتكلم كثيرا وهذه سمة الفنان الدعوب المخلص للفن .. إن حواراه مع الخامات التي يتعامل معها أكثر ثراء من حواراه مع البشر . إنه ثورار مع الألوان ، مع الورق ، مع الخشب ، مع الحديد !!

وأضاف صلاح عبدالكريم ، مع التشريح ، مع التخطيط لقد كنت وأنا تلميذ أذهب لاصطاد ٣ كيلو من الحشرات والعناكب وكنت أتعرض للموت ، وكان لي غرفة أربى فيها هذه الكائنات الحية وأراقبها وأفحصها وكنت أحيانا أراها بالعدسات المكبرة وأرسمها وعندما تموت أشرحها وأحنطها واحتفظ بها . كانت بالنسبة لي مدرسة !!

وعاد حسن فؤاد يقول - هل رأيت في حياتك فنانا « لا يعرف المستحيل » ويستفيد من الكائنات الحية حتى ولو كانت حشرات ، ويستفيد من الجماد حتى ولو كان الحديد .. ان كل شيء عنده له معنى .. إنه يستقبل « العالم » بفرحة ويستقبل كائنات الدنيا بمتعة .. انه « التأخي » الإنساني بينه وبين حيوان أو نبات أو جماد !

وأسال صلاح عبدالكريم عن الحديد . عن أغرب علاقة بين فنان وجماد .. عن هذه الشاعرية التي أحسها في الحديد . ونادته ، وغازلته ، فاستجاب لها ! إن أشياء قليلة تجعل حياتنا محتملة .. وتسبغ عليها جمالا ومعنى أشياء كالصداقة والحب والفن والقراءة والعمل .. لكن صلاح عبدالكريم يشعر أن أشياء أخرى تعطي لحياته معنى . كالورق والخشب والحزف والحديد .. والمرأة ! وصحيح أن الأيام تكتة جادة تتكرر كل صباح ، ولكن صلاح عبدالكريم يهرب من دنيانا الجادة « الماسخة أحيانا » إلى دنيا صامتة تحتويه كالحديد ، فكيف كانت علاقتهما معا ؟ يحكى لى صلاح عبدالكريم - في حوش الفنون الجميلة ، بدأت القصة .. وجدت ورشة حدادة صغيرة وأمامها كمية كبيرة من الخردة الملقاة .. شعرت أن الخردة تناديني .. كان اغراؤها أكبر من أن أقاومه .. عملت من الخردة سمكة كبيرة .. ورأى « الأستاذ » بيكار وكان قد أصبح أستاذا في الكلية فقال لى . السمكة دى رايحة فين يا عبدالكريم !؟

قلت : ع البيت . دى محاولة .. يعنى كلام فارغ ! قال الأستاذ بيكار : دى مش محاولة .. ومش كلام فارغ .. دى تروح فودا على معرض سان باولو !

قلت : يا أستاذ بيكار .. دى حنة زخرفية للبيت ! قال بيكار بإصرار غريب - دى حنة كويسة ، ومكانها مش بيتك

يا عبد الكريم . مكانها ، معرض عالمي !  
يقول صلاح عبد الكريم : كدت أبكي ! هل أنا في حلم ؟ ان الحلم إذا تحقق  
كالرغبة إذا شبع والأحلام المستحيلة رغبات تتأجج كل يوم ، فماذا بعد ؟  
قلت لصلاح عبد الكريم .. وماذا بعد أن شحنت قطعة الحديد ؟  
قال .. فازت بجائزة الشرف الدولية في النحت .. حسيت أنني كسبت ورقة  
يا نصيب بمائة ألف جنيه !

تسلل صوت حسن فؤاد ، فأصغينا . قال يوجه الكلام لي .. ولكم ..  
« أنا عشت هذه التجربة الفريدة لصلاح عبد الكريم فقد كسر صلاح  
التقليدية التي تميزت بها الفنون الجميلة سنوات طويلة طويلة .. وكان تعامل  
صلاح مع الحديد اتجاهًا مثيرًا .. معناه الحاد .. نوع من الكفر .. خروج على  
كل القواعد الأكاديمية .. ولكنها كانت نقطة البداية في نبوغه واسمه الكبير !  
يقول لي صلاح عبد الكريم .. لم أصدق أن الحديد يعطيني بسخاء كل هذه  
النتائج فعملت قطعة عن المسيح وصيحة الوحش والتمساح والبومة والضفدعة  
وأبو جلمبو وكانت زوجتي الفرنسية ترافقني في كل صور كفاحي ونضالي ..  
وربما لأنها فنانة قابلتها يوما في فرنسا في أتيليه بول كرلان وتبادلنا الإعجاب  
وتزوجنا ، فقد تعاطفت مع عذابي .. وضحت من أجل هنائها ، أن تسعدني  
وأعطى اهتمامي للحديد في أوقات كثيرة ، اقتربت مني !

... ..

... ..

ومثلما نحب القراءة ، فنتأبط الكتب .. أحب صلاح عبد الكريم خاماته ،  
وتأبطها بود لا مثيل له !

كتب له بيكار خطابا هاما ، يحتفظ به صلاح عبد الكريم ويعتبره وثيقة حب  
من أستاذ لتلميذه ، أستاذ له قيمة اكتشاف موهبة التلميذ في وقت مبكر .  
يقول بيكار ..

لقد استطعت - يا صلاح - أن تغزو جميع مجالات الخلق والابداع من تصوير  
إلى تصميم زخرفي إلى إعلان إلى خزف إلى ديكور مسرحي وسينمائي وأن تطوع  
جميع وسائل التعبير التشكيلي من أصباغ وصلصال ومساحيق وعجائن ..  
وأخضعت أكبر المساحات وأضخمها للمسائك وانطباعات خيالك .. ولكن يبدو  
أنك فجأة وبلا مقدمات ... أحسست بحنين جانع إلى الصراع العنيف مع أشد  
الخامات عنفا وصلابة .. كان يراودك شعور بعدم التكامل .. يقلق بالك .. يهز  
كيالك .. لا يرضى طموحك .. أدركت أن معركة الخلق يجب أن تشترك فيها  
جميع حواسك وملكاتك حتى تكتمل كل مقوماتها .. وجدت في النحت ضالتك  
المنشودة ومنافسك العنيد .. وقبلت التحدي بشجاعة ورجولة لقد جاء الجواب في  
شكل أصداء خافتة تأتي من بعيد تحمل إليك هذا الجزء المثير من الآية الكريمة  
« وألنا له الحديد ، وأخذت صورة « النبي داود » تتجسم أمام عينيك وتداعب  
خيالك وأنت تشكل الحديد بأناملك وتصنع الدروع والسيوف بمهارة صانع حاذق  
وفنان بارع وكأنك تنسلي بتشكيل قطعة من الصلصال اللين المطواع .. وشعرت



يا صلاح.. بنوع من الظلم القاتل يجفف حلقك .. ظمأ لا يرويه إلا ذوب الحديد  
ولسع الشرر.. فماذا فعلت؟ هكذا يرد الفنان إلى المهملات اعتبارها ويعيد الحياة  
إلى الحديد والحردة وكأنها عودة الروح في عوالم علوية في هيكل أبهى ومقام  
أسمى..

وأسال صلاح عبدالكريم.. ماذا قصت بحيواناتك الحديدية؟  
قال الفنان الكبير.. لعل الناقد يعقوب الشاروني قد عبر عن قصدي بإيجاز  
عميق فهو الذى يرى ويقيم.. قال.. أنها تعبر عن الاغتراب وعن الخوف من  
سرعة التقدم الصناعى المسخر للحرب والفناء وذلك بإيقاظ الخوف الدفين في  
أعماق الإنسان منذ عصر الكهوف عندما كان الإنسان الأول يشكل الحيوانات  
المفترسة التى يخافها ويجسمها على جدران كهفه.

... ..

... ..

قلت لصلاح عبدالكريم.. هل حظ الاهتمام بالفن التشكيلى من قبل الدولة،  
متعشر؟

قال بشجاعة.. بعد أن تجد الدولة حلاً لمشاكل مصر الموجهة، تلتفت إلى  
الفن التشكيلى. الرصيف المخلع أولى بالاهتمام من لوحات فلان أو علان!  
قلت لصلاح عبدالكريم.. يقولون أحياناً إن الفنانين الذين اشتغلوا في الصحافة  
ذهبت سنوات عمرهم سدى.

قال.. الفنانون دول اثروا الصحافة، زى حسن فؤاد وأبو العيثن وجمال  
كامل وراجى عنايت ومن قبلهم بيكار وعبد السلام شريف.

قلت لصلاح عبدالكريم.. ماذا أعطى صلاح طاهر. للفن؟

قال.. فن صلاح طاهر.. فن شخصى.. فنه هو. هذا الفن أعطاه لنفسه..

قلت.. ما أكثر وجوه صلاح جاهين وضوحاً.. الرسم الزجل.. التمثيل..

الفناء؟

قال.. الرسم.

قلت.. لن ترى «البورتريه» من فنانى مصر؟

قال.. لثلاثة.. عز الدين حمودة وجمال كامل وصبرى راغب.

قلت.. من يعجبك من رسامى الكاريكاتير؟

قال.. جورج راح فين؟ جورج وحجازى واللباد ومصطفى حسين!

قلت.. هل تتبنى بعض تلاميذك مادياً، كما سمعت؟

قال.. أحياناً، ولكن أرجو ألا تنشر هذا فهو يخلجنى!

قلت.. ماذا يمنح الفنان استمرارية الإبداع؟

قال.. التقدير هو أكسجين الفن!

... ..

... ..

جمال كامل يتكلم.. يأتى صوته مستأذناً في اقتحام أذاننا.. نصغى له!  
يقول جمال.. «زمان، حسن فؤاد كان رشيقاً جداً وكان زعيماً.. يعنى  
عنده شخصية أمرة.. تعالوا يمين نروح يمين.. تعالوا شمال.. نروح شمال

عنده قدرة خطابية .. وكان أيامها في الفنون الجميلة لنا مطالب كثيرة وكان حسن فؤاد هو « لسان » الكلية ومحركها ! وكنا نخرج في المظاهرات من أجل مصر .. وكنا نرى أن الفن لا يجب أن يأخذنا من مصر .. السياسة .. أما صلاح عبدالكريم فكان كتلة من الداب والتجارب .. كنا نحسده فلم يكن يعرف كلمة فراغ ! كنا نهمس أنه يعيش بقلب مؤجل لم يعرف الحب واللوعة والفراق .. ففي الوقت الذي يجلس الواحد منا ليخط رسالة لحظلة الفراق .. يخطها فوق الورق وغالبا على قلبه ، يكون صلاح عبدالكريم يصنع تمثالا .

بإخلاص وصبر .. انه صبور بعنف .  
وأقول لصلاح عبدالكريم وحسن فؤاد وجمال كامل . ما الفرق بين جيلكم وجيل هذا الزمان والفنون الجميلة تحتفل بعيدها الماسي ؟  
رد صلاح عبدالكريم . هذا الجيل جاء للفنون الجميلة غصب عنه .. جيل غير عاشق للفن . رد حسن فؤاد . احنا كنا بنستعد سنة قبل دخول الفنون الجميلة .. نستعد بتنمية قدراتنا علشان ننجح !

عاد صلاح عبدالكريم يقول .. احنا كنا بنمتحن ٤ أيام !  
قال جمال كامل .. أظن الامتحان دلوقتي ساعتين .. ويمتحنون ٦٠ ألفا !  
قلت لصلاح عبدالكريم .. هل الرسم موهبة أم يمكن دراسته بالتدريب ؟  
قال .. موهبة أولا وأخيرا .. وليس رياضة بدنية كالملاكمة بتدريب مستمر !

قلت لصلاح عبدالكريم .. ماذا أعطاك منصب العمادة ؟  
قال .. جعلنى أحقق أحلامى .. القديمة منذ كنت طالبا .. يكفى انه أصبح للكلية مدرجات تناقش فيها ما نطرحه للنقاش .. زمان ، كان الحوش هو المدرج وغير ذلك ، أدخلت « علوما » جديدة وأقسام جديدة تهم الطالب المتخصص .

... ..

سألت صلاح عبدالكريم عن الصداقة فقال لى .. « أن نجد أحدا في الحياة نلقى له بحمولتنا الثقيلة من حيرة أو عجز أو حزن » .  
سأته عن السعادة ، فقال لى « انها مقدار التوافق مع الظروف ومع النفس » .  
سأته عن الذوق ، فقال « انه مرتبط بالمناخ العام .. والرشاء » .  
سأته عن المرأة ، فقال « يجب أن يعاملها الفنان بحذر حتى لا تتكرر حكاية بيجماليون .. التمثال الذى تمرد على صانعه » !

سأته عن القراءة ، فقال « انها كنز .. لا يفنى » !  
سأته .. ماذا يطيل عمر الانسان .. فقال « الأحلام قبل .. الصحة » .  
سأته .. متى عرفت طعم الوحدة ، فقال « وأنا في مستشفى أسباني أعالج عيى .. وفوقهما ضمادات طبية وأربطة ثقيلة » !  
سأته عن فنانات مبدعات ، فقال « جاذبية سرى وتحية حليم وزينب عبدالعزيز وليلى عزت » .

قلت للفنان صلاح عبدالكريم .. ماذا كنت تفعل لو أنك لست فنانا ؟  
قال بسرعة .. كنت اتجهت إلى الأرض واشتغلت مزارعا !  
سأته .. لماذا ؟

قال .. لان الأرض تعطيك بالثابرة والاخلاص و الصبر ثمرة عرقك وجهدك .. وأنا - مثلما عبر عنى جمال كامل - أشكر من قصر ساعات اليوم !  
قلت .. قدم نفسك لى ..

قال .. أبى اسمه .. الصبر .. وأمى اسمها .. الصدفة !

# بُنىء الحيدرى

«الشاعر المزيف ، أوجد  
الناقد المزيف»

هؤلاء حاورهم مفيد فوزى . . ١٤١ .

الحوار مع شاعر كبير، يتطلب الكثير !  
 من الضروري، بداية، التعرف على قصائده والسكنى فيها .. ان أمكن !  
 من المهم، التحرى عنه انسانا، وإلا كان اللقاء به .. كالبحار بلا شراع !  
 من المفيد الاهتداء، برأى النقاد فيه، فالنقد الجاد، أعادة اكتشاف للمبدع .  
 من الواجب الانتناس بنظرة رفقاء جيله له، ان كان هذا متيسرا .  
 من الانصاف، الخضوع لنزواته المشروعة ومزاجه المتقلب، فهو شاعر  
 وليس موظفا في مرفق حكومي . وهذا المزاج - مهما كانت درجته - جزء من  
 نسيجه الانساني، وربما كان المحرض على الشعر !

.....  
 بأمانة شديدة حاولت أن أطبق النقاط الخمس على الشاعر العراقي الكبير  
 « بلند الحيدري » الذي كان في العاصمة الأردنية عمان ضمن وفد شعراء العراق  
 ل مهرجان جرش . حين سألت عنه تليفونيا في الفندق الذي يقيم فيه .. لأحدد  
 موعدا، جاءني صوته المهذب والأسر في نفس الوقت . قال لي انه يحب أن  
 يراني قبل أن يحدد الموعد لأنه لا يرحب بلقاء انسان ملثم . وصحح لي طريقة  
 نطق اسمه . قال ان الباء بالضممة وليس بالفتحة !

وقبل أن أذهب للتعرف عليه، ذهبت أبحث عن مجموعته الشعرية  
 الكاملة . وقضيت معها ثلاث ليال متواصلة، وأعترف انني في البداية لم  
 استوعب أبيات الحيدري لأنها - على حد قول الروائي الناقد جبرا ابراهيم  
 جبرا - « ليست سخافات مقفاة » . ثم « عاشرت » القصائد بتركيز شديد،  
 فدللت الى رأسه وأظن انني وضعت قدمي على عتبة عالمه الشعري الفسيح .

« على عالم نصفه ميت  
 فتحت عيوني وأغمضتها »

هكذا يقول بلند الحيدري « بضم الباء » !  
 وقابلت الشاعر عبدالوهاب البياتي في جرش في مدرج ارتيميتس حيث يلقي  
 الشعراء قصائدهم . وسألته عن رفيق جيله بلند، فقال انه « شاعر مبدع في  
 أساليبه الجديدة التي حققها وفي طريقته التي لا يقف فيها معه إلا شعراء قلائل  
 من العراق » .

وصارحت البياتي بإحساسى الأول عن قصائده . فقال ان هن بلند برقى ،  
مكتف الاحساس ، انه هن صعب ، والفن الصعب هن جيد تشم فيه رائحة  
الابداع .

وقال لى البياتي - الذى تربطنى به صداقة ولدت ذات ليلة فلامنكو أسبانية - ان  
بلند يعيش الآن فى لندن .

وعثرت على رأى للشاعر الراحل بدر شاكر السياب فى كتاب ( أصوات من  
العراق ) يقول عن بلند الحيدرى ان « قصائده الرائعة أكثر واقعية من مئات  
القصائد التى يريد منا المفهوم السطحى ان نعتبرها واقعية .. » .

وكنت أتناول الغداء مع الأستاذ الدكتور محمود الشلبى أستاذ اللغة العربية فى  
جامعة اليرموك ورئيس لجنة الشعر فى مهرجان جرش ، حين جاءت سيرة بلند  
الحيدرى فقال : لعل ما كتبه الصحفى الانجليزى الباحث دزموند ستوارت بعد  
أن قرأ أشعاره مترجمة يجيب على تساؤل : « ما يميز بلند الحيدرى عن شعر  
معاصريه ، ان قصائده تنفذ الى صميم فكر قارئها حيث تثب جذورها لتثمر بعد  
حين . انها قصائد صادقة بعيدة عن المبالغة وعن الشعور المصطنع . انه يعبر عن  
الشعور بالخيبة الذى يمتاز به العصر الحديث ، وهذا التعبير هو أصدق من قصائد  
الحصاة المتعمدة التى ينظمها الشعراء السياسيون » .

وعكفت على دراسة للناقد جبرا ابراهيم جبرا وكان يقول عن بلند الحيدرى « ان  
تصديته لن تستطيع أن ترفع منها بيتا واحدا من مكانه دون أن تترك فجوة ظاهرة فى  
المعنى والتركيب » .

وذهبت أراه فى مدرج أرتيميتس بجرش قبل موعدنا الذى حدده . شعرت انه  
« سفر تجارب » . رأسه الكبير ، رأس طبيب جراح ولا أدرى لماذا أعطانى هذا  
الانطباع . هل يشبه جراحا كبيرا .. أعرفه ؟ ربما !  
وأنا أستمع لقصيدة من قصائده ، خيل الى انه يقدم سيناريو لحادثة موزونة ..  
الكلمات مداليل للأشياء فى ذهنه .

صحيح فأتتني فهم بعض ما يقصده ولكنى تذكرت قول الأب بريمون ( لا حاجة  
لفهم الشعر فالسحر المنبعث من موسيقاه يغنى عن هذا الشعر .. ) .

القصيدة عند بلند الحيدرى لا يقوم جمالها على الانسجام الصوتى المجرد  
والحذر الناجم من تناسق الألفاظ أو جرسها كما هو الحال عند نزار قبانى أو سعيد  
عقل . القصيدة عند الحيدرى مشبعة بصدق الانفعال وممتلئة بحقائق الوجود .  
واكتشفت شيئا غريبا انه من المهم أن اتعرف على الشاعر وهو فى حالة « نزيفه  
المستحب » أى قراءته لقصائده كما يسميها نزار قبانى . اننى لا أستطيع أن  
أفصل بين الشاعر المسكون والشاعر الحركة !

صباح اليوم الذى سالتنى بالشاعر بلند الحيدرى فيه ، كان صديقى شاعر  
الأردن حيدر محمود يقول لى - هاتفيا - انه قرأ عبارة جميلة للناقد جبرا ابراهيم  
جبرا يقول فيها عن الحيدرى « فى صباه ترك المدرسة ليتمرده عن طريق الشعر  
وبيئنا راح أقرانه يدرسون الشعر فى الجامعة كان هو من الشارع والمقهى يلقتهم  
طرائق فى التجديد لا تعزف عنها الجامعة شيئا » .

## □ لا أحسب صوت ناظم الغزالي ولا طريقته !

وهانذا أجلس مع الشاعر بلند الحيدري وكعادتي أنسلل الى حلبة الحوار بنعومة  
شديدة تجعل الحوار قصة حب .. على حد قول غادة السمان !

وكلما قابلت عراقياً تغنيت بحبي لناظم الغزالي ، مغنى العراق الراحل ، غير ان  
بلند الحيدري - في أول لحظة - صفعني برأيه في ناظم !

قال وهو يشعل غليونه .. لا أحب صوت ناظم الغزالي ولا أدائه . ربما كان له  
فضل ايصال الغناء العراقي الى خارج العراق فقط . ولكن في العراق مغنون أفضل  
منه حنجره وأداء !!

ولنت بالصمت !

قطعت الصمت بسؤال عن معنى كلمة « بلند » .

فقال : معناها في اللغة التركية والكردية : عال . وهذا اسم شائع في تركيا .

قلت مداعباً : أنت عالي المقام .. كشاعر .

قال : « الشاعر بقصائده ، يعطائه ، بخصوصيته » .

قلت لبلند الحيدري : من قراءتي لبعض قصائدك شعرت بالمعمار الهندسي في  
التركيب ، كأنك تلعب الشطرنج بمهارة !

فأجأني بقوله : « ربما لا تعرف أن الشطرنج من هواياتي .. » .

قلت له .. حاولت مرة ألروائي فتحى غاتم وهو لاعب شطرنج ماهر .. ووجدت  
نفسى أطرح السؤال بصور متعددة فإذا أفلت من سؤال وهرب من الثانى ، وقع في  
فخ الثالث !

قال بلند الحيدري : الشطرنج رياضة ذهنية ، ولكنها ليست اسلوب حياة .  
السياسة أيضاً من بعض هواياتي ولكنى أعترف بأنها هواية خطيرة !  
لا أدري لماذا ربطت بين الشاعر العراقي بلند الحيدري والشاعر التركي ناظم  
حكمت في هذه اللحظة اهل هونداعى معان ؟ ربما ! لكنى وجدت نفسى أدخل حلبة  
الحوار !

.....

قلت للشاعر بلند الحيدري : حين كنت أقرأ ديوانك ، خيل الى انى أقضى وقتاً بين  
أسوار سيرتك الذاتية !

قال : نعم ، من الممكن القول ان شعري « تاريخ خاص » لى ، فالعديد من  
قصائدى تحمل اشارات الى ظروف معينة مرتت بها وممرت بى !

قلت : أريد شهادتك على شاعر اليوم في الوطن العربى .

قال بلند الحيدري : جيل الريادة الذى بدأ ببدر السياب وزملائه في تجربة  
الحداثة مازالت تتواصل معه الاجيال التى تلتها ووطورت فيه وأضافت اليه ، ومن  
شتت به التجارب بعيداً عن ذلك ضاع في متاهة وفقد خصوصيته وتمييزه وصار  
شعره هذياناً وصوراً متدحرجة على غير طائل !

قلت : هل استطاع الشعر ان يقف على قدميه في زمن التكنولوجيا ؟

قال : ذات مرة قال البيوت ان الشاعر سيوضع يوماً في حدائق الحيوانات وقال  
غيره بل في المتاحف القديمة والحقيقة ان الشاعر مازال حياً وان خفت صوته فكل  
عصره ما يميزه في الملحمة أو الرواية أو القصة القصيرة أو المعلقة ولما كان الشعر

هو الأساس في أى جهة ، في القصة أو الرسم أو النحت أو الموسيقى والعمارة فهو بلاشك باق فيها وبقا ضمن سمات متنوعة أو متوحدة في العمل الشعري ، فلا خلاص من الشعر وعلى الأخص عند الانسان العربى الذى نما عليه وشبت عليه حضارته !

قلت : هناك شعراء حولك أريد أن أعرف كيف تراهم : البياتى ، نزار قبانى . عبدالمعطى حجازى . صلاح عبدالصبور ، وأرجو ألا تهرب من الاجابة !  
قال : بل سأهرب مع سبق الاصرار ، فكل منهم شاعر كبير وله ما يميزه في خاصية تعاطف معها مريدوه فأقاموا منها منحني وأعنى تجربة الحدائة الشعرية في الوطن العربى وإذا كانت محاولاتى في الشعر تقترب من محاولات أحدهم أو تتعد فذلك لا يخولنى أن أكون في موقف الناقد منها .. بل في موقف من يحترم اختلافه عنهم .. لإغناء وحدة التنوع التى تلتقى بالتالى في مرمى حضارى يؤسمها بخصوصيتها .

قلت : تجربتك الشعرية ، من أى الجداول شربت ؟  
قال : لقد مدبى العمر الى الستين ونيفت تجربتى الشعرية على الأربعين عاما . المهم فيها هو اننى كنت فيها نفسى غير خصوصيتى في الطابع البرقى للقصيدة وعبر بنائى لقصيدتى على أساس ( من أول ووسط ونهاية ) كما يقول أرسطو تنمو في أحداثها وموسيقاها . أعمل في القصيدة بوعى . فإن كان ٣٠٪ منها الهاما .. فإن ٧٠٪ منها جهد واع في الصنعة ولكن الصنعة في اخفاء الصنعة لتظل للقصيدة رهاقتها وعفويتها .

اعترضت قائلا : في ديوانك ( خففة الطين ) بدا في شعرك بعض التأثير بشعراء مثل عصر أبو ريشة !

قال الحيدرى : نعم ، هذا صحيح . لقد تأثرت ربما بعمر أبو ريشة والياس أبى شبكة . وكان هذا عام ١٩٤٦ ، وهو تأثر سرعان ما اختفى نهائيا في ديوانى الثانى ( أغانى المدينة الميتة ) .

قلت : ملاحظة صغيرة تمفز في ذهنى . أنت تعيش في لندن والبياتى في مدريد .. السؤال هو أنت والعراق ، أخذ وعطاء .

قال الحيدرى : وما زال الأمر كذلك . وكلما ابتعدت عنه ازدادت قربا اليه . اشتدت معاناتى معه .. ومنه أيضا .

وكان لابد للحيدرى أن يتوقف قليلا ويشعل غليونيه ، ويطلب لى وله فناجين من القهوة ويجتر في صمت بعض أحزانه !

قلت لبلند الحيدرى وهو يصغى باهتمام : النقد للشعر : هل هو حقيقة أم وهم يسرى فوق الصحف ، وماذا أعطى أو أفاد ..؟

أجاب بهدوء : النقد - بالأمس - حقيقة . واليوم : وهم . لأننا لا نجده إلا على صفحات الجرائد اليومية حيث تتوزع الألقاب بلا وازع ولا دراسة وفي أيدى صحفيين صغار . طه حسين أفاد . مارون عبود أفاد . مندور أفاد ، ولكن عندما ثار شاعر السبعينيات والثمانينيات على اللغة والموسيقى والمضمون ، لم يدع أمام الناقد من أدوات النقد أى شيء غير المقاسات النقدية الصغيرة لهذه

الصحيفة أو تلك ، فالشاعر المزيف أوجد ناقداً مزيفاً والخوف كل الخوف ان يتلو ذلك جمهور مزيف !!

قلت : الشاعر في الوطن العربي ، مكانه .. نظرة السلطة له ..  
قال بلند الحيدري : « أسد سيرك » .. هكذا حولته السياسة . فمن الشعراء من تعود أن يقوم بإداء العابه البهلوانية لقاء قطعة الحلوى الصغيرة ومنهم من لا يزال يقاوم هذا الاغراء ويوسع جسده لمزيد من ضربات السياط وربما في النهاية سيؤدى ما يريدونه منه ، فليس الشاعر بالضرورة بطلاً أو ضحية أو شهيداً .

قلت : الحيدري والمرأة ، تجربة في عمق احساسك . ماذا أعطتك أو الهمتك وماذا سلبت منك ؟

قال الشاعر : اذا كان الرجل في نظري هو التاريخ .. فالمرأة هي الجغرافيا التي تحتضنه . واذا كان الرجل يحيا في الحدث الذي سرعان ما يغيب وينتهى ، فالمرأة هي الولادة الدائمة ومن هنا فإن من يكره الحياة .. يكره المرأة . شوينهور ، المعري وغيرهما . هي في الرمز كذلك في غير قصيدة من قصائدي .. بل ربما لم أعرفها لحما ودما في شعري إلا في قصائدي السانجة الأولى التي أملتتها سنوات المراهقة . ومن التفاهة ان يقتصر الكثير من شعرنا العربي على تلك العلاقة القائمة ما بين امرأة ورجل ! مجرد رجل وامرأة فقط ! قلت : أعرف جيداً ان الناقد فيك له وجود . ولا أدري كيف يرى ريادية بلند الحيدري .. الشعرية ؟

ضحك الشاعر بطفولة وقال : أحياناً صيغة السؤال تثير محاورك للإجابة مع أن السؤال بسيط !

قلت : حين أحاور شاعراً ، أجعل من نثري المتواضع سراب شعر ان استطعت !

رد الحيدري وقال : لبدر السياب ما يميزه في رهاقة ذاكرته العينية والمباني همرامه في القصيدة القائمة على حدة الصورة ولبلند أسلوبه البرقي الذي يحاول من خلاله أن يؤكد على تكثيف المعاني بأقل ما يمكن من المفردات . العديد من قصائدي ، يوحى بالبعد الزمني عبر رسم الحدث في زمنين متباينين . كما سعيت الى الافادة من الفنون التشكيلية والموسيقى والتقطيع السينمائي لاعطاء قصيدتي خصوصيتها سواء بطبيعة موضوعاتي أو بأسلوب أدائها ..

قلت : ترجمت لك أعمال شعرية ، هل أعطت المعنى كاملاً ؟  
قال بلند الحيدري : لقد ترجمت بعض قصائدي الى غير لغة من اللغات العالمية . ولكل لغة من تلك اللغات خصوصية ايقاعاتها وتراكيب جملها . كما ان لكل شعب مميزاته . فإذا كان الشعب الفرنسي يعجب بالايقاعات ، فإن الانجليزي يكتفى من القصيدة بشدة قدرة صورها على إثارة احساسه بها . وعلى المترجم ان يدرك ذلك بكثير من الدقة ، فهو لا يترجم معنى فقط ولا ينقل صورة لوحدها فان للايقاع دوره الهام في تكثيف أثر القصيدة . ولذلك

□ السياسة  
حولت الشاعر  
الى أسد سيرك

□ اذا كان  
الرجل هو  
التاريخ فالمرأة  
هي الجغرافيا



فلا عجب من أن تفشل قصيدة ماجيدة عند الترجمة . بصورة عامة ، فإن القصيدة العربية تخسر الكثير من مقوماتها الأصلية التي يتعذر على المترجم نقلها . إن نخبة من المترجمين الكبار قد ترجمت بعض دواويني والكثير من قصائدي الى الانجليزية .. مثل دزموند ستيوارت وعبدالله العذري والدكتور عبد الواحد لؤلؤة والدكتور حسين هداوي والدكتورة سلمى الخضراء والدكتور تيسير كاملة وغيرهم ولكل منهم جهده في التفاضل على غيره ومع ذلك فإن ايا منهم لم يستطع أن يتجاوز قصور موسيقى اللغة الانجليزية بالنسبة الى اللغة العربية وخاصة عندما يتعلق الأمر بشاعر يركز الكثير من همه على البناء الایقاعي لشعره كما هو الحال معي .

قلت للشاعر بلند الحيدري . أنت والكون ، كيف تحصن به ؟

قال : اتحسب انك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

قلت : أنت والموسيقى ، كيف يستقبلها وجدانك ؟

قال : أعيش معها طول نهارى وأعيش مع موسيقانا وغنائنا العربى فى الكثير من أماسينا التى التقى فيها وأصدقائى العراقيين والعرب فى لندن .. حيث أعيش الآن .

قلت : ما ضرورة الشعر فى الحياة ؟

قال : ضرورة الخبز !

قلت : تنحاز لمن ، للشعر أم للشاعر ؟

قال : للشعر ، للمضمون ، للخصوصية ، وحين أغنى بالشعر ، اتساع :

لن هذه الأبيات ١٩

قلت : سمات شاعر جيد ؟

قال : « وعى نقدى جيد » بشعره !

قلت : لماذا تكتب شعرا ؟

قال : سؤال سهل وبشديد الوعورة . لا أعرف لماذا أكتب شعرا . الشعر

وشيقة . الشعر تطوير لتجربة حياتية . من خلاله أعقب الاحساس الانسانى

وأحول الأحداث الى رموز !

قلت : هل تعتز بنقدك الثرى ؟

قال : انه « قصيدة » أخرى !

قلت : هل تقوم بزيارة قصائدك القديمة ؟

قال مبتسما : كأنك تسألنى هل تزود حبك القديم .. والأجابة ، نعم ،

وأحيانا أشذب فى بعض قصائدى القديمة وأهذب !

سألت الشاعر العربى بلند الحيدري : كيف ترى الموت ؟

فقال : فى مثل سننى - يا سيدى - لابد من أن أعود على صداقته ، بحيث

لا يزعجنى عندما سألقاه .. غدا !





# فیروز

« ما بحب افرض صوتی  
على جلسة هيك ! »

□ الوجه الآخر  
لجسارة القمر:  
والدها عامل  
المطبعة عارض  
التحافها بالاذاعة  
البنائية لانها  
« فتاة مهيبة »

اسمها : نهاد الحداد ، ابنة وديع حداد ، وزوجته ليزا ولها شقيق يدعى جوزيف . يقول جواز سفرها انها من مواليد مارس عام ١٩٣٥ . ترعرعت في « محلة زقاق البلاد » ، وهو شارع فقير في بيروت ، في منزل متواضع يتكون من غرفة واحدة قرب مدرسة البطريركية .  
كان وديع حداد عامل مطبعة يعمل في احدى المطابع القريبة من بيته وكان معروفاً . رغم فقره . بأخلاقه وصبره على الشدائد ، في هذا الجو كبرت نهاد وهي بكر والديها . لقد عرفت البؤس في طفولتها وذاقت معنى الحرمان في صباها . فهل هذا النبع هو الذي مهد لها أن تصبح يوماً من أكبر مطربات الشرق وان التاريخ سيسجل اسمها في صفحة كبار هذا العصر ؟

منذ نعومة أظفارها وهي تميل الى الغناء . في البيت ، في الشارع في الحمام . في كل وقت تصدح وكأن شيئاً ما يريد أن يخرج من صدرها . كأنها مزمار أو أرغول يعر يد فيه الشوق !

كان الراديو في تلك الأيام من الكماليات ولم يكن يقتنيه إلا المسورون من النساء ، وكانت نهاد تقصد بعض أهل الحي لسماع أغاني كبار المطربين والمطربات في ذلك العصر أمثال اسمهان ، وليلى مراد ، ومحمد عبد الوهاب ، وفريد الأطرش وحليم الرومي .

في الرابعة عشرة من عمرها انضمت الى الاذاعة اللبنانية تنشد الاغاني الحماسية ، وفي فترة وجيزة أثبتت وجودها وتألقت مواهبها . وتولت لجنة استماع الحكم على صوتها . وكانت تتألف من المطرب حليم الرومي ونقولا المني وميشال خياط وخالد أبو النصر ، فاعجبوا بها . بل اعتبروها عطية نادرة فتلقفوها وضموها الى أسرة الاذاعة وكان حليم الرومي أكثر المعجبين بها وهو الذي أطلق عليها اسم . فيروز . ودخلت فيروز الاذاعة كمرددة في جوقة المردددين والكورس . وشاروا لها وحاول أن يمنحها من الذهاب للاذاعة لكن حليم الرومي بمساعدة أصدقاء أقنعوا الأب بصواب الفكرة فوافق بشرط أن يصحبها شقيقها جوزيف كلما ذهبت الى الاذاعة !

أول أغنية لفيروز .. كانت من الحان حليم الرومي : يا حمام يا مروح بلدك . وقام حليم بتقديم فيروز الى عاصي الرحباني الذي كان يعمل شرطياً في البلدية ، ولكن الى جانب عمله كان يهتم بالتأليف والتلحين ، وقد بدأ يشتهر في هذا المجال . وكما ان لكل شيء في هذه الدنيا من يدفعه ، فقد كان فن الرحباني بحاجة الى صوت فيروز وصوت فيروز بحاجة الى فن الرحباني ، فلما سمع عاصي غناء هذه الفتاة أدرك انه وجد ضالته وانطلق الصوت الذي تخال معك انك تخترق أسرار الكون . وجمع الفن بين فيروز وعاصي الرحباني ، فتزوجا عام ١٩٥٤ ، ووجهت الاذاعة المصرية دعوة لفيروز ورافقها عاصي وأمضيا في القاهرة خمسة أشهر عادا بعدها الى بيروت لتضع ابنتها البكر زياد ، ووزقت فيما بعد بثلاثة أبناء ، هلي وليال وريما ..

وامتعت الحكومة اللبنانية بصوت فيروز فدعتها لحياء مهرجانات بعلبك الدولية ، ولتطل على الجمهور من وراء أعمدة جوبيتر وفي الهواء الطلق وتحت ضوء القمر لتصدح بأجمل أغانيها ( لبنان يا أخضر حلو ) .

ليس هناك احصاء دقيق لعدد أغاني فيروز ولكنها تعد بالآلاف ويقف على قمة أغانيها شذوها لوطنها لبنان ( بحبك يا لبنان يا وطني .. بحبك بشمالك بجنوبك بسهلك بحبك ) ، فمن خلف المتاريس ومن بين المدافع كانت ولا تزال تغني بقلب جريح . وتشبثت بأرض لبنان . وأقامت في بيروت وسط القصف الذي لا ينام .

ومنذ غاب عاصي الرحباني عن عينيها ، دخلت فيروز محاربتها الصدفية ولم تعد تطل منها إلا فيما ندر ، انطوت على نفسها وأصبحت وحيدة تدير ظهرها لزمانها وتمتطي حصان الحرية . فجأة ، تزورها ذكرى خاصة فتشحب ابتسامتها وتصبح كلمات مقتضبة وتنزف حزناً وان لم يلفح الحزن عن نفسه . ورغم الألم فإن فيروز صبورة الى حد انها تعترف لي مرة - في مهرجان جرش الأردني - « الصبر اخترعوه

□ حليم الرومي  
سمعها وامتحنها  
وتحمس لها  
وأطلق اسمها ..  
فيروز !

□ عاصي  
الرحباني كان  
شرطياً في  
البلدية ويكتب ،  
أحب فيروز  
الأنثاة وتزوجها

## □ تحب الغناء في الاماكن الأثرية ولا تنام قبل الفجر وحياتها قطار!

لي .. وقالت لي في سهرة ضمت نضال الأشقر « صارت حياتي مثل لاعب الترابيز في السيرك ، مطلوب منه يمشي ع السلك وما يقع » . في نفس ذات السهرة ، طلبت من مضيفنا أن تكون فيروز في الخلفية ونسمع شيئاً لها ، فقالت : « ما يحب أسمع حالي إلا في حالتين التدريب على لحن جديد أو غنيوة جديدة تذاق لأول مرة » . واستطردت فيروز تقول بكبرياء جميل : « ما يحب أفرض صوتي على جلسة هيك ، يحب الناس تفتش بالاذاعة ع صوتي » .

من يسأل فيروز ( هل أنت متعبة ) ردت بسرعة ( أنا مهمومة ) . من يدخل أكثر في قلب فيروز يعرف انها تعمدت على قوالب في حياتها الشخصية حتى انها صرحت ذات مرة ( القلب قبر ) قالت فيروز لنضال الأشقر « لبنان بده أولاده وبناته نضال » « بترجعي بيروت نضال » .

تحب فيروز اللحم المشوى وتعشق الماء المثلج . لا تنام قبل الثالثة صباحاً في بيروت . تسكن في شقة بالايجار في حي الروشة ملك سمير الغندور ، استطاعت أن تلتقط من بيتها في انطلياس بعض السجاجيد والتابلوهات التي تستريح لرؤيتها يوم قررت أن تسكن ، ثارت الاقاويل ! ولهذا قررت أن تسكن الروشة : بيروت الجميع ولبنان المحبة والاخاء . تسافر فيروز الى موانئ الدنيا وتغنى وتقول لنا في احدى امسياتها الوحيدة ( مالى قبر خارج تراب لبنان ) .

وفيروز لا تظهر في المجتمعات منذ ١٥ عاماً . لا تدخل مطعماً ولا تذهب لسهرة ، ولكنها تذهب الى العرض الأول لمسرحيات زياد رحباني وتقول لي « ما بعرف لي اهل غير الناس . ما بعرف شكل وجهي إلا لحظة الغناء . ما فيني أحكى عن نفسي . أنا وحيدة وصبورة والفن بدمي . ما عندي شيء أغار عليه مثل فني . أغار عليه بجنون » .

قبل أن تظهر فيروز على المسرح تكون عفواً « مثل ورقة الشجر بدها تقع بعد ٣ دقائق » . سألتها مرة : ما السبب ؟ قالت انه القلق . كلما كبر الفنان كبر قلقه ! تذكرت صديقي اللبناي الفيروزي مثلي الذي قال لي مرة شيئاً غريباً عن جارة القمر : ( من فرط قلق فيروز وهي تستعد لتواجه جمهورها قد تصاب بحالة نفسية غريبة . يتخشب جسمها وتسقط كأي امرأة جبلية بسيطة على الأرض تنكفي ) !! مرة قلت لفيروز : يظل الحب مرقأنا في لحظات الهجير والياس . قالت : « أعظم حب باق . حب الفن ، ما بيعرف يغدر إلا اذا أهملته » .

كانت والددة فيروز تملك صوتاً حلواً ، ظل ملكاً لأسرتها لا يتعدى جدران المنزل الأربعة . وكانت الوالدة تعرف الى أي حد هو حلو صوت ابنتها نهاد ، ولكنها تركت للمدرسة أمر اكتشافه وصقله .

قال لي الموسيقار محمد عبد الوهاب عن صوت فيروز « لو حاولت فيروز أن تنشز في الغناء لما أطاعتها أوتار صوتها » . أولاد فيروز ، تعلموا البيانو ، وماتت إحدى بناتها بحمي في المخ وما زال الحزن يسكن الوحيدة الصابرة « زياد فقط الذي انطلق بشخصيته يصنع اسمه بعيداً عن شهرة الرحباني ، الأب » .

لفيروز ١٣ مسرحية و٣ أفلام . وأصعب دور مثله هودور « لولو » في المسرحية

التي تحمل نفس الاسم . وإذا بدأت فيروز تتدرب على غنوة جديدة تحاشت الماء  
المثلج !

من أفكار فيروز ورؤاها .

- ١ - الغناء في الأمكنة المكشوفة وخصوصا الأثرية يستهويني .
  - ٢ - أفضل العمل المسرحي على الفيلم السينمائي .
  - ٣ - الموت أفضل لي من لحظة الصقيع بين الجمهور والمغنية على المسرح .
  - ٤ - أنا تناقض كبير . و« هيك بيكون الفنان » !
  - ٥ - بقدر حزني بحجم مرحي !
  - ٦ - طفولتي لم تكن سعيدة ولم أحصل على كل ما أريد اداخلي طفلة لم تمت .
  - ٧ - أسرار أصدقائي تذهب معي الى .. القبر !
  - ٨ - أصاب بالخجل عندما تحدث في العيون .. أتواري بسرعة !
  - ٩ - في وجهي سلام لأنني قنوعة وراضية ولو كان اسمي : النملة !
  - ١٠ - حياتي قطار يركض بين الأحباب والأعداء ( ترين بيلم ) !
- تصف غادة السمان صوت فيروز بقولها ( ان صوت فيروز يمثل لي الحب والرضا  
والحنين والعفو والصفح والفقران والندم والبراءة والعطاء والشهوة والتضحية  
والصلاة والإيمان . انه صوت حميمي يشعرك بأنه لك دون سواك وهو في نفس  
الوقت صوت للجميع . كلما أحب انسان في الأرض يظن انه أول انسان أحب وهكذا  
صوت فيروز ، كلما سمعته تظنه قد بدا .. معك ! )
- فيروز - في القاهرة - تقيم في فندق مينا هاوس . لتكون على مقربة من « المسرح  
الذي تغنى عليه » . اقامتها في جناح مونتجمري وهو « جناح تاريخي » يختاره  
العرسان للاقامة فيه ليلة الزفاف الأولى .
- فيروز - في القاهرة - يقيم لها السفير اللبناني حفل استقبال وتوجه فيه الدعوة  
للشخصيات الكبيرة ولعشاق فن فيروز . فيروز - في القاهرة - ويتوالى وصول  
الطائرات الخاصة القادمة من أرجاء الوطن العربي حاملة شخصيات عربية  
مرموقة جاءت خصيصا للاستماع الى فيروز . من هؤلاء أصغر أولاد الملك فهد  
« عبدالعزيز بن فهد بن عبد العزيز » .
- أول أغنية تشدو بها جارة القمر هي « مصر عادت شمسك الذهب » وقد شددت  
بها في مصر ، في حديقة الأندلس . منذ أكثر من عشر سنوات . وسوف تجرى فيروز  
بروفاتها في صالة خاصة خصصتها ادارة فندق مينا هاوس وخلال البروفة تغلق  
فيروز بابها وتحفظ بالفتاح في جيبها !
- فيروز قيمة سامية في الحياة ، مثل الحب والعدل والجمال .

□ تقيم في  
جناح مونتجمري  
بالفندق لتطل  
كل صباح  
على الاهرام







# فاتن حمامة

« أنا لا أقود مظاهرة  
.. أصنع فيلما ! »



## □ أنا وزوجى كلانا لآخر الاحترام.

استطاعت فاتن حمامة - بعد أن اكتوت بتجارب الزمن - أن تفصل تماما بين « فنّها » و « حياتها الشخصية » . فى حياة فاتن ثلاثة أزواج . اثنان منهم فى بحر الفن والثالث وقف على شاطئ بعيد عن الفن تماما هو الدكتور محمد عبدالوهاب . أستاذ « الأشعة » المرموق .

ولا تفتح فاتن فمها عن والد « نادية » عز الدين ذو الفقار . ولا تتكلم عن والد « طارق » : عمر الشريف . وتعتبر فاتن حياتها الشخصية ملكا لها . وحين أردت لقاءها طلبت أن يكون ذلك « صباح يوم أحد » لماذا ؟ لأنها تتفاعل باليوم . وتسالنى فاتن عن فنجان قهوتى ، هل هو مضبوط أم زيادة أم سادة . وتقول « حاشرب وياك » .

تستريح فاتن لمن تشاركه فنجان القهوة . وحين تسألت بينى وبين نفسى « أين د. عبدالوهاب ؟ » وأخرجت السؤال من الهمس ، قالت أحب الأحاديث الصحفية وهو فى العيادة أو الجامعة فكل منا يحترم اهتمامات الآخر ولذلك فصلت بين « العمل والحياة الخاصة » .

□ لم يعلمنى  
التمثيل احد  
استاذى هو  
الناس

تمنيت أن أعرف منها كيف رأت فاتن د. عبدالوهاب لأول مرة . كيف تعرفت عليه . كيف أحست بالراحة معه . كيف صارحها بالزواج . لكنها رفعت يدها أمام جهاز التسجيل رافضة بشكل باتر الخوض في هذا الموضوع وقالت عبارة واحدة ! كل منا يحترم الآخر وهذا أهم ما في الحياة الزوجية قبل الحب وخلافه .

واعتبرت هذه الجمل انتصارا إذ أنها لا تنزلق في الحديث عن زواجها بالدكتور عبدالوهاب وذات مرة عرضت عليها مذبة الشرق الأوسط أن تتوسط لدى زوجها ليحبيب عن أسئلة قصيرة سريعة في برنامج « زوجتى مشهورة جدا » وصرخت فاتن بغضب :

معقولة دى ؟ ده يزعل جدا ويتخانق معايا . إذا كنت أنا لامعة في مجالى فهو لامع جدا في مجاله . اصرق النظر وحياة أبوكى عن التسجيل ده !

\* فاتن :

السهل الممتنع !

عندما التقى بفاتن حمامة عبر تسجيل اذاعى أو حديث صحفى . أقول أسنلتى بأكثر من صيغة . فإذا جاء ردها الأول مقتضيا كالعادة ، ربما جاء ردها الثانى شافيا . وهكذا ، لأن فاتن تملك قدرا كبيرا من الدبلوماسية . فالديبلوماسية هو انسان يرفض الاجابة عن سؤال يورطه .. ولكنه يجيب بأسلوب ناعم يتضمن ما يريد . وفاتن قليلة الآراء في زملائها وتعتبر انها اذا « سقط » أى اسم سهوا من حديثها غضب صاحب الاسم ود اتقمص !

حين أسأل فاتن عن يناعيها هل هى الاحتكاك بالناس أم الرؤية أم القراءة أم السفر والترحال ؟

قالت :

قطعا القراءة هامة . فهى بطاريات أى فنان .. ولكن الأهم بالنسبة لى وربما ليس بالنسبة لك هو « الاحساس بالناس » . تستطيع أن تقول وأنت مرتاح انه ليس لى اساتذة فى الفن علمونى . فانا ولدت موهوبة كما يقولون . والذين حولى اكتشفوا موهبتى فى سن السابعة . ماتقاطعنيش ! لكن أستاذى الحقيقى هو الناس . من الناس تعلمت ألف باء التمثيل ! خذ كل الشخصيات التى قدمتها على الشاشة تكتشف ان المخرج يوضع الاطار ثم أقدم أنا « النمط » من مثل أجتره لأنى أحسست به . فى فيلم « ليلة القبض على فاطمة » نمط هيسترى . تسألنى من أين جئت به ؟ من صديقة أعرفها أصابتها الهيسترى عقب موقف خاص .. وأذكر جيدا كيف تصرفت فى ذلك اليوم . بقيت الصورة فى ذهنى . خرجت من مرقدها لحظة التمثيل . فانا أخذ من الناس وأعطى الناس فإذا كان هذا هو « السهل الممتنع » فليكن كذلك !

عندما قلت لفاتن « أنت اذن مرصد » !

قالت « بلاش أرجوك الكلام الكبير ده » .

قلت لها : ان « مرصد » ليست كلمة إيدولوجيا .

فقلت : حتى فى حوار أفلامى أطبق هذه القاعدة .. اختار الكلام الذى نقوله فى

## □ سينما ليلوش سينما التفاصيل الصغيرة والمرأة.

حياتنا مع غريبة ولذلك يصلك . أريد أن أقول انى أفضل « الطبيعية » أو عدم الافتعال . لما أقول أنا اتعلمت التمثيل من الناس لأنى حاسة بهم . أفضل من أن فانتن مرصد للناس . حتى كلمة مرصد فيها ترصد . فيها سبق اصرار وترصد . وكأنى انتظر الفريسة لأقلدها . وطبعاً ده غير وارد وبعيد عما أقصد . ان فى استطاعتى تقليدك بالطريقة التى تتكلم بها لأنى أركز فى حوارك . وبالتالى حاسة بأسلوبك فى الكلام . كل انسان له أسلوب وطريقة يعبر بها عن نفسه .

### \* « زوقونى » فى الأرياف !

تقول فانتن عن السفر انه « محطة هامة » فى حياة الفنان فالسفر حديقة كبيرة فيها كل الزهور . السفر كتاب مفتوح على طباع الناس وعاداتهم . السفر كتاب مفتوح على كل القارات . رؤية يوم واحد فى السفر تساوى كتابا وكل فنان يتزود حتى يعمق احساسه بالناس . فالحياة وجوه . وجوه بشرية . كل وجه مشكلة . كل وجه نمط حياة . طريقة . سكة . ابتسامة ما . حزن ما . الدنيا وجوه . وفى السفر لا أمكث فى الفندق . دائما فى الشارع ، أتسكع . وباريس أجمل مدن العالم لا تغدو جميلة إلا فى الشارع . فى مقهى أو مطعم أو أمام الفاترينات . ولذلك أقيس جمال مدينة بجمال شوارعها . الشارع فى باريس يخطفك من غرفتك فى الفندق . والمطعم فى شوارع لندن يأخذك من مطعم الفندق . وقرى ايطاليا تأخذك من روما . باختصار ، السفر ليس تذكرة سفر ومفتاح غرفة فى فندق . السفر لقاء بالوجوه . والفنان يتعلم دائما . كل فنان جيد تلميذ . يتعلم دائما . ويسعى للحصول بالسفر . بالقراءة . بالاحساس بالناس . وهذا هو مفهومى للنضج . عندما أجسد لك شخصية المطلقة وعذابها . فأننا أعرف صديقات مطلقات وأسمع صوت عذابهن الداخلى . وخوفهن الدائم الحذر من عيون الناس .

الشخصيات التى مثلتها . أخذت تفاصيلها من أصحابها . خذ مثلا فى فيلم الحرام : « ذهبت الى فلاحه فى الريف وطلبت منها أن « تزوقنى » ولما رأتى المخرج هنرى بركات ظل يضحك ويقول « افكرتك بهانة » ان طريقة التزويق فى حياة الفلاحه مختلفة تماما عن تزويق بنت البندر . وإذا كنت تقول انى أتقنت لهجة الناس فى بورسعيد فى فيلم « ليلة القبض على فاطمة » فتق بانى عشت وقتا فى بورسعيد .. وعاشت الناس فى الشارع والفندق والميناء . وجلست مع المؤلفة سكينه فؤاد لأعرف الكثير عن البطلة الحقيقية . انى أشرب الشخصية لتختلط بدمى . فأصبح أنا والبطلة سواء . فتصلك الرسالة وتقتنع بالشخصية .

### وأسأل فانتن عن كلود ليلوش .

فتقول « أقرب المخرجين الى قلبى .. لأن أفلامه من حوارات الحياة البسيطة . نسج منها السيناريو والحوار ومن الحياة . انها سينما التفاصيل اليومية الصغيرة » قالت فانتن « وسينما المرأة أيضا . ان ليلوش له رؤية خاصة فى المرأة ظهرت جيدا فى فيلمه « رجل وامرأة » و « الحياة للحياة » . ان جيرالدو عملت دورا تحس به أى ست فى الصلاة .

### \* سينما لا تجرح العين !

وفانتن تتحفظ فى رأيها بالنسبة للسينما التاريخية « ما لم تكن مرسومة بدقة وبتكاليف لا تعرف حدودا » . تبدو ساذجة ومثيرة للضحك . ولو انى لا أحب هذا النوع من الأفلام إلا اذا كان الانسان - لا المعارك - هو محوره الأساسى . أفنك رأيت الحلقات التليفزيونية البارعة عن ملوك وملكات انجلترا . وفيها أسرار القصور . لقد أزاحت السينما الغموض فى هذه الأماكن . أنا انحاز للسينما الواقعية .

### مثل السينما الإيطالية ؟

قالت فانتن : كانت السينما الايطالية تتمتع بجاذبية خاصة وكانت واقعيتها

مريرة .. وكنت أحبها ولو انى لا أحب الواقعية التى تؤذى العين . انا لا أجرك  
بحجة انى واقعية .

قلت لفاتن : هل جريت الاخراج السينمائي ؟

قالت وهى تضحك من قلبها « أنا ممثلة ومخرجة لأدوارى » .

قلت لها : مانشيت جميل حوارك معي !

قالت : هذا يغضب المخرجين . مع أن للفنان حرية ابداع للشخصية التى  
يجسدها . وأنا أطيع المخرجين كائى تلميذ ناشئ . لاني أحب أن أضيف لرؤيتي  
رؤى الآخرين .. فهذا يثريها جدا . ولما أقولك مخرجة لأدوارى فمعناها انى أخرج  
الشخصية للناس كما أفهمها وأحسها وأمسها . ان الممثل « ينحت » الشخصية  
من الوم .. ويصنع منها تمثالا من لحم ودم . ومع ذلك أخرجت فيلما واحدا في  
حياتى وهو فيلم « عائلى » عن عيد ميلاد حفيدتى .. ابنة نادية . أمسكت بالكاميرا  
الفيديو وحددت اللقطات والبداية من الشمع والتوربة ثم وجوه الأطفال ثم وجه  
حفيدتى وتابعت الاحتفال بعين سينمائية . وحين أرى الفيلم على الفيديو استمتع  
به وأفرح . انه فيلم من اخراج فاتن حمامة . كم تبدو العبارة غريبة على سمعى ؟  
ومع ذلك أقول لك ان المخرجين اصناف . مخرج قادر على سرد الحدوتة بفهم  
وبيساطة وببراعة لا تفقدك سياق القصة . ومخرج قادر على ابهارك وتضيق معه  
تفاصيل الحكاية !

□ الفيلم  
الوحيد الذى  
أخرجته  
فيلم عائلى .

سألت فاتن حمامة : أنت تعيشين أكثر من جيل . كيف ؟

قالت : بالفهم . بالسفر . بالقراءة . بالاحساس بالناس . كل هذا يعمل على  
تطوير دأخلى . لو أنك انعزلت عن الناس وعن الجديد وعن الكتاب فسوف تصبح  
صحفيا متخلفا . الصحافة مثلا اليوم لم تعد المقالة الجافة . صار كل شيء حدوتة .  
أذكر ان الكاتب الجاد السياسى شديد الجدية أحمد بهاء الدين يكتب عموده اليومى  
أو مقاله بأسلوب يناسب العصر . يحكى لنا رؤيته بطريقة جذابة لا تخلو من  
معلومات .

ذوق فاتن حمامة . فى العمارة مثلا ؟

قالت فاتن : أبنى بيتى عربى وأخليه مودرن شوية . يعنى معنديش مانع  
الشباك يكون مشربية . ويعددين أحب الضوء القادم من وراء المشربية .  
وأتحاشى السلالم الكثيرة والدهاليز . أبسط الأمور بقدر المستطاع . يعنى  
التزاوج بين القديم والحديث بلا نشاز . وفى الأثاث أفضل البساطة والراحة .  
اللون الأبيض وكل لون لا يجرح العين . والشئ نفسه فى الملابس . أحب ألوان  
الباستيل كلها ، أحب الأبيض والبيج . مش ممكن تلاقينى بفستان أحمر أو  
برتقالى . كل ست عندها بوصلة تدلها على الفستان الصح واللون الصح .

هل تدلك بوصلتك على الصح فى الطرب ؟

قالت فاتن « أحب صوت وردة » . وبالطبع أم كلثوم وعبدالحليم ويطربنى  
صوت صباح فى المواويل اللبنانية الجبلية ويهزنى ويدع الصافى وفيروز فى  
الأغانى عن لبنان .

وذوقك فى القراءة ؟

قالت فاتن : ربما لا يعرف كثيرون شغفى وحبى للشعر . ذات مرة عرضوا  
على أن أشارك فى أمسية شعرية لشوقى فى كرمة ابن هانىء . بيت أمير  
الشعراء . ووافقت ورغم أن شعر شوقى من أصعب الأشعار إلا انى قلت  
سوف أقرؤه كما نتكلم . لن أبالغ ولن أرفع صوتى وأهبط .

قلت لها « كيف تقرئين خطابا من حبيب؟ »

قالت : السؤال خارج الموضوع ومع ذلك أجيبك . اقرأ الخطاب بلهفة وود وتأن شديد . والتهام للكلمات وضغط على الحروف وكذلك اقرأ الشعر . بعض الناس قالوا فانتن كانت تقرأ الشعر في الأمسية كما تقرأ المقال . وأنا أقول لن اقرأ الشعر بالطريقة التقليدية . ان في القصيدة جرسا موسيقيا لا يحتاج الى اضافة جرس موسيقى من عندى .

وذوئك في عواصم العالم؟

قالت فانتن : أفضل القرى المحيطة بالعواصم الكبرى . حتى في مصر أفضل العجمى على الاسكندرية . أولا : أحب الهدوء . ثانيا : أنا قد احتمل الحر والرطوبة ولا أحتمل الضوضاء . ثالثا : عندما أقصد الراحة فأنى أحافظ على أعصابى من الانفجار . ولا شيء يعذبني قدر الضوضاء . قرأت مرة أن هناك نسبة ما من الضوضاء يمكن أن تحتلها أذن الانسان وبعدها يصاب بالجنون وأراهنك اننا جميعا - من الضوضاء - على حافة الجنون !

قلت لفانتن : ان للكاتب أحمد بهاء الدين رأيا يقول ان الفنان والسياسى متشابهان . فيم؟

قالت : أعتقد ان كل انسان له رسالة سواء كان صحفيا أو سياسيا أو فنانا . مقالة صحفى أو تحقيقه يمكن أن يثير تائرا المجتمع . أغنية مطرب قد تحمسنا جدا . مقالة كاتب سياسى قد تغير وضعنا ما . دور ممثل معمول بشكل متقن قد يعيد النظر في قانون ما . لو تذكر فيلم « .... » تكتشف انه فيلم سياسى جدا لكنه وصل للناس بجمال فنيته . خطبة سياسى متقنة ومنطقية قد تجعل الرأى العام يلتفت حوله .

وأنا بالنسبة نشأت في بيت وكانت أمور « السعديين » تناقش أمامى ولم أكن أفهم حقيقة ما يدور . ونشأت وأنا لا أحس ان السياسة من صنع الرجال وحدهم ولذلك لا أقف مطلقا مع أى حزب نسائى . أعتقد ان عملا فنيا جيدا يلعب دورا هاما في الحياة الاجتماعية . والتجمعات النسائية التى تحدت لنفسها شعارا ذكيا . تجذبني . وإذا كانت جين فوندا قد قادت مظاهرات . فأعتقد ان مواقفها من المعوقين « أبرز » من مظاهراتها . أنا لا أستطيع أن أقود مظاهرة . بإمكانى أن أعمل فيلما له الأثر نفسه وأكبر . فيلم « أريد حلا » مظاهرة ضد الرجل الذى يدوس مشاعر المرأة . وأعتقد انه مهد لاعادة النظر في قوانين وأحوال المرأة الشخصية .

تقول لى فانتن : انضباط الشارع ، سياسة . الفيلم الذى يعيد النظر في قوانين اصلاحية الأحداث . سياسة . كل عمل بسيط فيه فن هو عمل سياسى . السياسة ليست فقط الأعمال المتشنجة من القيل والقال .

انتقلت بالحوار الى فانتن الانسانية .

سألتهما : ما ضمانات سعادة زوجية؟

قالت بسرعة : مفيش ضمانات للسعادة أبدا . حياة الفنان أو ست البيت

العادية سواء . المهم في العملية انسان ارتاح له وأشعر بأطمئنان معه  
وبلا خوف .. واحترمه ويحترمى والباقي على الله . المهم بالنسبة للمرأة  
العاملة اذا كانت سعيدة في بيتها فسوف تعطى للمجتمع واذا فشلت في بيتها  
فسوف يتقلص عطاؤها .

قلت لفاتن : أشم رائحة خيانة للسينما بأعمالك للتلفزيون ..  
قالت أميرة الشاشة العربية : التلفزيون يوصل أى مضمون بسرعة .  
والناس صارت ترفض النزول للسينما .. ولذلك هذه خيانة .. مشروعة !!

□ خيانتى  
للسينما مع  
التلفزيون  
خيانة  
شرعية .







# عادل امام أنا حزب مسئول!

« .. انجاز لأى قصة فيلم  
تقف مع الجماهير  
بشرط أن تعطيك المتعة  
قبل المضمون .. ! »

كنت - وأنا تلميذ - أحلم بالعمل السياسى السرى تحت الأرض .  
كنت أحلم باسم حركى . ولما أطلقوا على اسم « عادل » بكيت من  
الغيب ، فقد تبذرت أحلامى بالسرية فى البطولة ! وعندما كبرت  
ونضجت وجدت نفسى انحاز للكتل الكبيرة من الناس وهى الجماهير  
بشرط أن يكون لها عقل وتغيب عنها الغوغائية !

وعندما أصبحت ممثلا ، صرت اختار أفلامى برؤية خاصة . وأنا  
أعتبر نفسى قد نجحت فى نقل مساوىء الانفتاح على الشاشة . وأنا بعد  
هذا وقبل هذا فنان ولست رجل سياسة !!

أول مرة ، أنقاسم حوارا مع الفنان عادل امام ولا يبتسم ابتسامة واحدة ان  
عادل امام - فى حياته الخاصة - انسان جاد . تسيطر الجدية على تصرفاته .  
يخذل بعض ضيوفه بهذه الجدية ! فهم يتوقعون دائما عادل امام .. السينما !  
وفى أحاديث عادل امام الصحفية وهى نادرة يتكلم بجدية ولكنه من حين الى  
حين ينشر جوا باسمه ضاحكا بقفشاتة الذكية . ولكنى فوجئت به - هذه المرة -  
يتحدث دون أن يبتسم أو يعلق تعليقا ساخرا واحدا !

ربما لأنى دعوته للحديث فى .. السياسة !

وقال لى عادل امام قبل أن يبدأ حوارنا نقطتين . الأولى : أعتقد ان القراء من  
العقلاء الذين يشكلون « الصفوة » فى المجتمع العربى .  
النقطة الثانية : أعتقد انك ستضع علامة تعجب بعد عنوان عادل امام يتكلم فى  
السياسة .

وطلب منى عادل امام التعليق على الملاحظتين . وافقته على الملاحظة الاولى  
وسألته عن اهتمامه بعلامة التعجب ، فقال لأنك حين تضع علامة التعجب انما  
تشير الى غرابة الأمر وكأنك تقول لقرائك ان هذا الفنان الكوميدي يجرؤ على الحديث  
فى السياسة . والواقع انى مواطن مصرى قبل أن أكون فنانا معروفا والسياسة لم  
تعد ملكا لطبقة .. أو حكرا على أحد ! ووافقته على هذا التفسير ، فاستراح !

حين سألت عادل امام : من هم نجوم العالم الذين تعتبرهم خاضوا بحار السياسة ؟ قال بعد تفكير : يحضرني شارلي شابلن . ومارلون براندو وجين فوندا . هؤلاء الثلاثة أثبتوا ان بينهم وبين السياسة علاقة تجاذب وليس علاقة نفور ولكن من المهم - أولا - أن تعرف كلمة سياسة لكي نخوض في بحارها . هل السياسة هي تصرفات الحكام والأنظمة الحزبية أم هي تحركات جماعية للشعوب ورد فعل في وقت معين ازاء حدث معين ؟ أعتقد ان كلمة سياسة بغض النظر عن تعريفها في القاموس هي الأحداث التي تكون رد فعل للجماهير سواء ضدها أم معها . وبهذا المقياس اعتبر نفسي « فنانا سياسيا » .

قلت لعادل امام : هناك من يرى ان السياسة هي مشاكل بسطاء الناس ؟ فقال : ليس في استطاعتنا ان نفصل السياسة عن المجتمع . ولكن هناك سياسة داخلية وهي الجهاز الهضمي لمجتمع ما ، وسياسة خارجية وهي علاقة دولة ما بدول العالم على الخريطة الدولية .

كيف ترى عطاء شارلي شابلن ومارلون براندو وجين فوندا .. من وجهة نظرك ؟ أولا ، انهم « فنانون » عظماء . ثانيا ان وجه عطائهم هو التزامهم امام مجتمعاتهم . ثالثا ، لو لاحظت القضايا التي تبنيها سوف تكتشف انها قضايا انسانية بحتة ، لها قيمة العمل السياسي .

واستطرد عادل امام يقول : الذي يغتال واحدا بقتلة أويغرد ديناميتا في سيارة زعيم ، ليس عملا سياسيا وانما « حالة تخريب » . والفنان لا بد أن يضيف ويكون مرآة لمجتمعه وهذا عمل سياسي . أحيانا أسمع عن مطرب في قطر من الاقطار يقال عنه انه « مشاغب » بمعنى انه يشاغب سلطة بلاده . أغتأظ عندما يقولون انه سياسي انه « يتشعلق » في السياسة . لأنه لو كان سياسيا بحق ، لوظف صوته في خدمة قضايا مجتمعه . وعندما يكون هذا المطرب في دولة نامية ، فالامر يصبح في حاجة الى تحديد معنى كلمة سياسة . لقد كان الصديق المطرب عبدالحليم حافظ يغني للدولة ولصر الاشتراكية وكانت أغانيه « أعمالا سياسية » بلون عاطفي فالتف حولها الناس .

هل من الضروري - في رأيك - أن يكون للفنان موقف سياسي ؟ الفنان أساسا ، موقف . الفنان تعبير . وبعض الناس فوجيء بحضورى اجتماع يندد بمذابح بيروت ولكن هذا لم يكن مفاجأة لجماهيرى . أنا لا أمارس السياسة بالمعنى التقليدى . لكنى لا اعتبر نفسي مفصولا عن أحداث المجتمع الذى أعيش فيه . اعتبر نفسي « ملتحما » بأحداث الوطن العربى ككل ، لأنى مواطن عندى بعض اليقظة ولم بأحداث الدنيا . موقفى من مذابح بيروت انسانى بالدرجة الأولى ، فاذا اعتبره الناس موقفا سياسيا ، فليكن !

هل من المهم أن يكون للفنان ايديولوجية معينة ؟ لقد سألت ذات مرة المخرج صلاح أبو سيف السؤال نفسه وقال ان الايديولوجية ضرورة للفنان ولما قلت له ان الايديولوجية قد تفسد الفن ، قال يومئذ يتوقف الأمر على الفنان ؟ ليس شرطا أن انطوى على ايديولوجية معينة . المهم درجة حرارة ارتباطى بالمجتمع ، وأين أنا من مشاكله . تكفى الهوية الاجتماعية لكي يتحدد الاطار الذى

أرى منه المشاكل . وأنا ابن الشارع والحارة . الشارع بالنسبة لي هو السياسة وهذا تجد له ترجمة في أعمالي وأفلامى . وبهذا المقياس تجدنى منحازا للبسطاء والجماهير العريضة .

عد بذاكرتك الى الوراء ، متى سمعت كلمة سياسة لأول مرة ؟ أيام عهد الباشاوات قبل ثورة يوليو . كنت منحازا للشارع المصرى وضد الباشاوات . كان الباشا يجسد لي رمز « مص دماء القلاية » . كنت أسير في المظاهرات وأردد بحماس شديد الشعارات ولا أعرف معناها في ذلك الوقت المبكر . كان الشيء الوحيد الذى سيطر على تفكيرى ان هذه الكتل من الناس على حق . والقلّة من الباشاوات على باطل ! وفي إحدى المظاهرات ، وجدت نفسى منساقا معها الى مكتب إحدى الشخصيات ، ووجدتهم يدخلون عليه ويضربونه بلا رحمة . يومها تنبّهت الى غوغائية المظاهرات المتقنة الصنع والمنظمة . فقلت لنفسى : ليس هذا هو الشارع المصرى ، وظللت أتحرى عن هذا الرجل الذى ضربوه فاكتشف انه الدكتور عبدالرزاق السنهورى مشرع القانون العظيم . وشعرت انى أريد أن أبكى خصوصاً بعدما سمعت عن قيمة هذا الرجل وفهمت معنى أن تكون مظاهرة مدبرة . أنا أتصور السياسة هي العمل الفدائى ضد عدو واحد . في عام ٥٦ أثناء العدوان الثلاثى على مصر ، انضمت الى معسكر في بورسعيد يدربنا على استخدام البنادق السريعة الطلقات . كان فيه « هدف » . والسياسة معناها تحديد هدف تشتغل عليه . والسياسة لشباب صغير مثل وقتنّه معناها « دفاع عن كرامة وطن » .

#### هل اجتذبتك العمل الحزبى يوما ما ؟

كنت أحب العمل السرى تحت الأرض وكنت أتمنى أن يكون لي اسم « حركى » واغتظت يوم أطلقوا على اسم « عادل » يومها بكيك من الغيظ لأن حلمى لم يتحقق ! وبعد مضى السنين على هذا المشهد ، اكتشف ان فيه « ريحة الفن » . ربما المفاجأة . ربما البطولة الفردية . ربما الرغبة في الزعامة ! بعد أن كبرت ودخلت الجامعة ، أخذت السياسة في حياتى صوراً أخرى . وجدت نفسى أقرأ التاريخ بنهم شديد . فأنا أعتقد ان السياسة هي استيعاب التاريخ . ونظرة واحدة لمكتبتى تكتشف ان معظم الكتب فوق الرفوف تاريخ . والتاريخ في منطقتنا العربية - لمعلوماتك - حادثة واحدة تتكرر - خذ مثلاً موسوعة الدكتور أحمد شلبي تكتشف ان قيام الدولة وسقوطها يتشابه مع وقتنا . الصراعات بين الأسرة الواحدة . الأطماع . الأمين والمأمون . التاريخ يعيد نفسه دائماً .

#### متى يكون الوقت المناسب لكتابة التاريخ ؟

بعد مضى زمن .. ليكون الرأى صائباً وإلا ذبح الحاكم المؤرخ الذى يتعرض لكتابة التاريخ بأمانة مطلقة !

#### متى تقرأ هذه الكتب ؟

منذ دخلت عالم الفن ، كنت قد حددت لنفسى شعاعاً هاماً . لو قرأت بانتظام فسوف أتميز كفنان . ولو أهملت القراءة فسوف أصبح مثل زيد وعمرو ! أنا أقرأ ما يقع تحت يدي . وأنا مزاجى في القراءة أقرأ ما يغرينى ويجعلنى أقلب الصفحات بلا ملل . وأقرأ تحليلات كتاب السياسة بامعان ولا مانع أن أتصل

بكاتب ما لأسأله في نقطة غابت عني !

هل أنت فنان ملتزم ؟

نعم ملتزم بقضايا بلدي .

هل أنت عضو في حزب من الأحزاب ؟

أنا حزب في حد ذاته . حزب مستقل اسمه عادل امام .

ما هي مبادئ هذا الحزب ؟

ليس له برنامج مكتوب . لأن برنامجه هو كل ما يحلم به الناس . الجامع . الجماهير هدفه اسعاد الناس . وأنا أنتمي اليه . وأنا رئيسه وسكرتيه وأمين صندوقه .

هل رشحت نفسك في الانتخابات ؟

رشحت نفسي في انتخابات إتحاد الطلبة في كلية الزراعة وكنت شابا محبوبا وضامن نجاحي مائة في المائة الى حد اني سخرت من زملائي الذين عرضوا على أن أكتب يا فظة تحمل عبارات رنانة مثل « عادل امام مفيش كلام » وغيرها وقررت أن أضع يا فظة صغيرة كتب عليها « عادل امام » فقط . وكانت النتيجة اني سقطت في الانتخابات سقوطا ذريعا . ويومها فهمت أن الانتخابات « لعبة قذرة » يجب أن تعرف قواعدها وأصولها لكي تكسبها . أما الاعتماد على السمعة وحب الآخرين فهذه رومانسية ! وسوف اكشف لك عن سر . أنا حتى الآن ليس لي بطاقة انتخابية . وأصارحك أنه حين كانت تظهر نتائج الانتخابات في وقت ما بأنها ٩٩,٩٪ جعلتني أشعر أن صوتي « ملوش قيمة » وأنا اعتز جدا بصوتي . والمرة الوحيدة التي أعطيت فيها صوتي كان عقب رحيل السادات وقلت لابد أن أعطى صوتي لقبطان يقود المركب .

هل لك انتماءات سياسية معينة ؟

انتمائي لمصر بلا حدود . ولكن بلا اقليمية ، فأنا أعتبر نفسي مواطنا مصرية عربيا . وعندما يقولون ان مصر جزء من القارة الافريقية ، تعجبني الملاحظة من الناحية الجغرافية !

ما رأيك في الشيوعية ؟

سؤالك شديد العمومية . حدد أكثر !

ما رأيك في الأحزاب الشيوعية العربية ؟

حدد أكثر !

هل تتصور الشيوعية تسود الوطن العربي ؟

قال عادل امام وهو يضغط على حروف كلماته :

لا أتصور ذلك !

هل يحتاج المجتمع العربي الى اشتراكية من نوع معين ؟

اشتراكية تنبع من احتياجاته .

هل في العالم العربي ديموقراطية ؟

لا توجد ديموقراطية حقيقية في العالم العربي .

هل تؤمن بوجود أحزاب كثيرة؟  
هكذا الديمقراطية شرط أن تدرك أحزاب المعارضة فحوى رسالتها على الوجه الصحيح .

ما رأيك في «الحزب الواحد»؟  
أنه «الرأى الواحد» .  
هل للفن دور في السياسة؟  
دور خطير ، لو فهم الفنان ما يريد أن يقوله حتى لا يتحول الفيلم الى منشيت جرائد !

كيف تختار قصص أفلامك؟  
انحاز لأى قصة تقف مع الجماهير شرط أن تعطيك المتعة قبل المضمون الجاف . أنا فنان بالناسبة ولست رجل سياسة !  
هل هناك «بعد» سياسى وراء اختيارك لأفلامك ذات الجماهيرية الشديدة؟  
اختار أفلامى بوعى واحساس الفنان لأنى فنان أولا . وهناك أفلام أرفضها لأن رؤيتها السينمائية متخلفة . وهناك أفلام اختلف مع مخرجها لأنه «حشر» فيها السياسة خشرا . مثلا ، فيلم «أحنا بتورع الاتوبيس» كنت أرى أنه ادانة لنظام وليس لشخص !

ما مفهوم الفيلم السياسى عند عادل امام؟  
الفيلم اللى تأثيره أقوى من ١٠٠ حزب !  
أنت منحاز هنا ، للفن؟  
بل منحاز .. للناس .  
أعطينى أمثلة لأفلام بهذا المعيار؟

فيلم «المحفظة معايا» . وفيلم «الغول» . فى الفيلم الأول كنت أقول ان النشال ليس من يسرق محفظة فى اتوبيس ولكن من ينشل قوت الجماهير . وفى الفيلم الثانى كنت أضرب السيطرة على القوانين لحساب الانفتاح ! وفى فيلم «الافوكاتو» أسخر من ثغرات القانون التى تغرى بالتلاعب !

هل أعجبتك أفلام سياسية أخرى؟  
أعجبني «الشريدة» .. وفيلم «لايزال التحقيق مستمرا» . الفيلمان لنجيب محفوظ من أخراج أشرف فهمى .  
ما رأيك فى فيلم «الكرنك»؟  
أنه فيلم تسجيلى .. جيد !  
أنت تظلم هذا الفيلم !

أنا أنصفه حين أسميه فيلما تسجيليا لأنه يقدم لى بأمانة حوادث رهيبة جرت فى وقت ما ، وعانى منها الناس . وليس فى الفيلم رؤية لاستشراف المستقبل . ولكن هناك أمانة شديدة فى نقل الأحداث على الشاشة وهذه سمة الفيلم التسجيلى ! أنا ضد الالتزام فى الفن . ضد أن تكلفنى الدولة بعمل فيلم ما .

هل أنت كفنان نجحت أفلامك لأنك نتاج مساوئ عصر الانفتاح . وأنت نقلت هذه «المساوئ» صورا على الشاشة؟

اعترف أن نجاحي نبت من فشل سياسة الانفتاح ولكن لم أكن تسجيليا أزاء ما أراه . كان الفيلم يعطيك المتعة والضحك ويجعلك تسخر من أسلوب الانفتاح السيئ !

هل عبرت كما يجب عن هذا العصر؟  
ليس كما يجب . ولكني عبرت . كان في التعبير أحيانا .. مباشرة ! ومن عيوب السينما المصرية أنها لا تزال « تحلب » في بقرة مساوئ الانفتاح دون أن تتقدم خطوة واحدة ! وإذا كنت قد نجحت بمجموعة هذه الأفلام ، فلأن الفنان افران لمجتمعه وهذه الصور الحية فرضت نفسها على فرضا .  
ما هو الرخاء عند عادل امام؟

الحرية .  
في غياب الحرية لارخاء .

نعم ، لارخاء .

أشرح لي هذه النقطة !

من الممكن أن تكون موارد ضعيفة . لأبأس . ولكن إذا كانت هناك حرية ، فسوف يكون هناك شعب يحكم نفسه . شعب يصارع بمشاكله . وبالتالي يتحرك للانتاج .. والرخاء الحقيقي لارخاء الشعارات ! الحرية هي المكاشفة والمصارحة .

هل تريد أن تقول مضمونا ما من خلال المسرح؟  
المسرح المصرى في نكسة والسينما ليست هابطة كما يصور البعض . والمسرح في كل بلاد العالم يقود الفكر . وعندنا كان هناك مسرح واخفى .. في ظروف غامضة !

هل تعتقد ان هناك توقيتا ما لعودة مصر للصف العربى أو عودة العرب لحضن مصر؟

على الصعيد الرسمى هناك شكليات . وعلى الواقع الانسانى ليست هناك قطيعة . والشعوب أبقي من الحكومات .

هل تتابع فصول القضية الفلسطينية؟  
أتابعها وأتأملها وعذبنى الانشقاق داخل المنظمة وأسعدنى انتصار عرفات على المنتشقين والظروف والقنابل والدم . ومازال أمام الفلسطينيين كفاح طويل لكيثونة تحقيق الوطن والأرض والهوية .

ماذا تقصد بكلمة « كينونة »؟

استقلال تام بعيد عن الأنظمة والسيناريوهات الدوالية ..

هل تتوقع حربا نووية؟

القوتان العظيمان لن تدخلتا حربا نووية . بل ربما تحدث حروب محلية صغيرة في مناطق معينة . ربما في أمريكا اللاتينية . ربما في الشرق الأوسط ولكن لن تندلع حرب نووية !

هل تحضر الندوات السياسية ؟

حضرت ندوة عن الفيلم الفلسطيني في نقابة السينمائيين وأنا بالمناسبة ،  
أجد قيمة استخدام السينما الفلسطينية ان كان التعبير مجازا ، لخدمة  
قضيتهم . للسينما هنا وظيفة سياسية . وسمعت عن فيلم لتوفيق صالح  
لا اذكر اسمه قيل انه فن أصيل له ضمون عظيم .

ما موقفك من ايقاف فيلمي درب الهوى وخمسة باب ؟

هذه ديكتاتورية وليس مجرد قرار . واذا كان قرارا فهو فردي . ومثل هذا  
القرار له آثار اقتصادية سيئة في المستقبل !

هل تتدخل في حوار الفيلم ؟

من حقى أن أحذف عبارة ساذجة وأضيف جملة تخدم بطريقة غير مباشرة  
المضمون .

في مكتبك مجموعة كتب د. زكي نجيب محمود .

لأنه يحترم عقل وعقلك !

يقولون انك « ظاهرة » ما رأيك ؟

دعهم يلوكون !

هل تؤمن أن الدبلوماسية هي فن الكذب السياسي ؟

أعتقد - من التجارب - ان دبلوماسية الثمانينات أصبحت مفتوحة  
مكشوفة فلماذا الكذب ؟ ربما كانت كذلك زمان ، حيث أحاديث الأروقة  
والدهاليز والإيماءات !

كنت أتمنى أن يسمع الناس هذا الشريط المسجل !

قال بفضول شديد . ليه ١٩

ليأكدوا انك لم تبتسم ابتسامة واحدة ، وكنت جادا بشدة .

يقول أهل البلاغة ، لكل مجال مقام !!

وصمت عادل امام واعتلت جبهته تكشيرة وسألنى : يا ترى قلنا ايه ١٩

\*\*\*





# الفريد فرج ويل لأمة ضل مسرحها !

« .. سعادتي مهنية ؛  
ستارة ترتفع ، وناس  
سعداء .. ! »

قال لي الفريد فرج : ان حال المسرح في مصر أولى بالكتابة من حوار مع كاتب مغترب مثلي ! وقال ، لماذا أعود الى جو مشبع بالاحباط ؟ فمنصة المسرح خرجت تتسول من التلفزيون .

وقال : ان التغيير ليس تغيير وزير أو رئيس تحرير .  
وقال ، بالمناسبة يجب ألا يدخل الوزير في أى صراع فكري فهو كمنسول .  
يعتبر مثقفا في اجازة .

وقال : ان على سالم مؤلف مهمل وسعد وهبه يجب أن يعود الى أصوله ونعمان عاشور أحبطوه .

وتساءل : أين جيل النقاد العظام . لقد تفرقوا .  
وقال : لقد سمع توفيق الحكيم منى مسرحية كاملة وأنا كاتب مغمور .  
وقال ، ربما كنت كاتباً شغلته قضية العدل في مسرحياته ولكنى لم أر وجه العدل في حياتي !

ذات عام من أعوام « الزمن الضائع » و« اللغو الفارغ » ، كان منسوب الوحشية قد ارتفع وغرقت « جزر » البراءة ، فاضطرنف من الناس أن يخرجوا من بيوتهم فوق جناح المجهول واستقروا فوق أغصان أشجار بعيدة !!  
هل كانوا على حق ، أم أنهم « استعذبوا » المأساة وخلقوا منها مشكلة شخصية ، وفكوا ضفائرهم مع مصر ؟!

لكن عيون مصر كانت تدمع وهي ترى أولادها البكر يهاجرون في عتمة الليل !  
واحد من هؤلاء هو الكاتب المسرحي الفريد فرج ، واحد من قليلين تحبهم خشبة المسرح ، وتتوق لأعماله بشوق حبيبة لبحار حبيبتها في .. أنوثتها !

من مصر ، ذات مساء ، الى صحراء الجزائر ، ثم الى لندن الرمادية .. حيث رسا قاربه المصارع . يتحدى الأمواج ومعه مجدافه : زوجة وهبت عمرها وشبابها للبحار المغترب ، لا تشكو مطلقاً طول السفر أو متاعب الرحلة . وفي الغربة ، ترتفع مكانة الزوجة ، حيث الوحدة تمزق أعتى الرجال !

وفي لندن ، كان اللقاء واتفقنا أن يكون « الحوار » أو « الثثرة » في شقته الصغيرة في عمارة كبيرة .. في أحياء لندن الغاصة بالعرب والمطاعم العربية وصوت أم كلثوم .. وأحمد عدوية !

وكان الوقت مساء ، وأنا أحب رذاذ المطر المتساقط من السماء الدامعة .. بحنان بالغ فوق الوجوه . دائماً يعطيني لوحة رومانسية ، لامرأة تكي ولا تكي وتتكى على كتف رجل يدخن ويمد كفه ليمسح دموعها ويعدل خصلات شعرها المبللة !

في الطريق الى الفريد فرج كنت أفكر وأتساءل مثلما تسأله مرة محمود أمين العالم : هل الفريد فرج مؤرخ أو مفكر أو فنان أو هو هؤلاء جميعا ؟ وتوقفت عند عبارة أهدتها إلى ذاكرتي التي لم تصدأ بعد وسمعتها يوما في الدوحة من الناقد الكبير رجاء النقاش حين قال ان « مسرحية حلاق بغداد جديرة بأن تؤرخ بها عصرا من عصور اليقظة في المسرح المصري » .

هل الفريد فرج مثلما وصفه الفنان الملتزم عبد الرحيم الزرقاني عندما قال لي ان الفريد « لم يتعرض لكتابة المسرح إلا بعد أن عرفه وعرف تطبيقاته . انه مفكر وشاعر وشخصياته الحقيقية تبحث عن الحقيقة والعدالة » .

وتساءلت : هل الفريد فرج « يبدع » مع مجموعة في مسرح تجريبي لأنه مفكر ومنظر مسرحي ، ولكن ميخائيل رومان قد يفوقه في مسرحياته القذيفة وقصصه القصيرة المتوهجة .. كما سمعت من زميلي « علاء الديب » وأنا أسأله عن الفريد فرج قبل سفرى الى لندن ١٩

لكن كاتباً مسرحياً كعلي سالم - مثلاً - يرى الفريد فرج ، « واحداً من أهم كتاب المسرح في العالم . وان فترة عذابه الطويلة في بداية عمله السياسي لم تترك فيه مرارة من نوع ما وان خسارتنا مؤكدة في فترة غيابه عنا وعن بيته الحقيقي ، المسرح » ا واعترف ان التساؤلات شجعتني قبل أن ألقاه وأعطيني حجمه الحقيقي ككاتب مسرحي له « لغته الخاصة » حين كتب كوميدياً بالفصحى وكان قلقل ولم يلم إلا بعد أن سمع في الصالة « زفير الضحك » !

الشقة صغيرة . هي استديو أكثر منها شقة ا وتسمح لك أن تمد قدميك وتحفظ ا اللقاء يجمعني بالفريد فرج وزوجته ثريا وأبريق من القهوة وكؤيس الشاي . فبعد حوارى الذى امتد الى نصف الليل شرب الفريد عشرات من فناجين القهوة . يضع الفنجان أمامه . يحتضنه . يتركه يبرد . ثم يرشقه رشقة واحدة . وكل فنجان قهوة ، له عندى رمز وإيحاء بشىء ما ! مرة يرمز فنجان قهوته الى أحزان الغربة ، ومرة الى الأشواق الغامرة لمصر . ومرة يذكره بطفولته وصباه ، ومرة يرمز الى الحلم والعدالة التى يبحث عنها ومرة يحس انه يشارك الزوجة . التضحية والرفقة . كانت فناجين القهوة - التى شاركتها رشقها - أشبه بالفصلة ، تخدم الكلمات وتوصلها بعضها ببعض كقاطرة معان . أحيانا كانت تساعد على التفكير أو التوغل داخل النفس .. كلحظة الاكتشاف فى الحب ا وبدأ يتكلم الفريد فرج وكأن بيننا حديثاً موصولاً ! انه متواضع كالعشب . بسيط كالطفل ، تترتاح اليه . ناضج كعجوز عرك الحياة . صوته من النوع الذى يدعوك أن تسكن فيه . وتقيم ا حزين ، حزن التجربة الكبيرة فى الحياة والخبرة بالناس والأشياء . أصيل ، مشدود بخيوط لا مرئية الى قريته كفر أمون . مشدود الى ترابها ودوابها وجسرهما الخشبي الكالنج ا

كفر أمون ، كانت البداية !

قال الفريد فرج « فى خريف ١٩٧٦ عدت الى القاهرة بعد غيبة وتنقلت بين الاماكن التى أحببتها وأحاطتني البشاشة التى ألفتها . قضيت أياما أتحدث وأحكي وأنصت الى أن داهمنى فجأة شعور بالوحدة . كأنما أفقت لأرى نفسى

هؤلاء حاورهم مفيد فوزى - ١٧٣

اتحدث وحدى آخر الليل وقد رحل السمار . لاحظت أن الاسعار ترتفع باصرار عنيد كل يوم ، ومع ارتفاعها تنكمش الثروة ويفقد التواصل قيمته بقدر ما تفقد العملة قيمتها . شئ ما في ملامح الناس أتبين بعد التدقيق انه يتغير . لم تتبدل الملامح ولكن وجوها كثيرة أجهدت ذاكرتى لاستفزها وأنطق أسماءها . ذهبت الى جذورى في قريتي كفرأمون التى تقع في المثلث الجغرافى الذى يربط بين التل الكبير وبليبس . ركبت التاكسى بعد الظهر مع أربعة من رفاق السفر . وكل منهم وصل الى مقصده ، ثم ضل التاكسى في الطريق . لم أكن أعرف قبلها أن قريتي بهذه الضالة بحيث تاهت في شبكة الدروب الصغيرة المتربة . حين قلت للسائق « الدنيا ضلما ليه ؟ » لم يعلق .. وكأنى أردد بديهية . ثم لمحت جسرا خشبيا مضاء بكشافين قوين وأدركت انه جسر قريتي « كفرأمون » . بعد أسابيع في الكفر اكتشفت ان المكان هو المكان . القاهرة هى القاهرة . الناس هم الناس . لم يتغير في الواقع ملامح أى شئ ، ولكن تغير الزمن لهذا عكفت منذ شهر على كتابة قصة قريتي القرية المنسية التى لم تصبحها قوانين الاصلاح الزراعى لا سلبا ولا ايجابا !

**قلت لالفريد فرج وأنا أستعيده مرة أخرى من حكايات قريته كفرأمون : لم أكن أعرف انك قرأت سلامة موسى وأحببته !**

ابتهج الفريد فرج وقال : مثلما وصف طه حسين سلامة موسى أراه حقيقيا انه يخوض - في وقت مبكر - غمار الأفكار الصعبة ولا يقتنع بالسهل الهين اليسير . انه رائد فقدناه كما قال العقاد يوم وفاته . فقد كان أسلوبه « يسبق عصره » .

**قلت : أذكر انه في الجزء الأخير من ثلاثية نجيب محفوظ ( السكينة ) صور نقطة التحول التاريخية التى أحدثها سلامة موسى في جيل بأكمله .**

قال الفريد : سلامة موسى الذى أحببته ووضع لبنات وجدانى ووجدان جيل ، يظل - بعد رحيله - أكثر حياة من أحياء كثيرين !

**قلت : أعجبتنى عبارة قالها د. غالى شكرى في دراسة ممتعة عن سلامة موسى . قال « القائلون لا .. على مر التاريخ ، هم بناء التاريخ دائما » .**

أضاف الفريد فرج ، سلامة موسى وأبى علمانى أبجديات المسرح . سلامة موسى باستشرافه للمستقبل وأبى برواياته عن « الكفر » وحكاياته . كان أبى يحكى القصص بأسلوب تمثيلي وكانت متعة حديث أبى تذكرنى بمتعة قصص الجاحظ . صمت الفريد وقال قرأت الشعر في صباى وللشعر خاصية غريبة ، انه يعطى كنوزه وهو مسموع أكثر مما يعطيها وهو مقروء . وربما لأنى أعتقد ويمكن تراجعنى في اعتقادى ان « الدراما والشعر شئ واحد » .

**سألت الفريد فرج سؤالا مفاجئا « هل وجدت العدل ، ؟ »**

ضحك بشدة ثم تلوئت الضحكات بلون الشجن وقال يقول النقاد عنى انى أبحث في أعمالى المسرحية عن قصة العدل ويدهشك اعترافى انى لم أر العدل في حياتى ، بل أنا أقل الناس استمتاعا بنعمة العدل . صحيح قضية العدل تشغلنى ولكن .. قل بعدها ما تشاء !

**قلت له : كيف ترى « الشخصية الانسانية » ؟ .**

**قال بسرعة انها جهاز مركب لا مبسط . وأنا مسرحى - ان كان لى بيت مسرحى -**

يتميز بأن أهم أدواته الرئيسية ، الانسان ذاته . لهذا أرى دوما أنه في مراحل التغيير الفكرى والحضارى والايديولوجى يصبح المسرح من الزم الفنون . ففن المسرح عندى هو فن الجدل . فن صراع المتناقضات !

قلت لالفريد فرج : أنت صاحب « الأخوة الثلاثة » ١ . أبو الفضول الحلاق الذى سحب القاضى رخصته ٢ . وبقبق الكسلان الذى يحلم ببنت السلطان ٣ . وقفه الذى باع الحلم بثلاثين درهما ثم ندم وتبعه الى أقصى الأرض !

قال الفريد بسعادة : كل لغة فيها طاقة للفكاهة ، اשמعنى الفصحى ، قد كان فيها البحث عن لغة مسرحية فصوى بسيطة وقادرة على الاتصال الفكاهى التراجيدى ، لقد حاول توفيق الحكيم هذه المحاولة ، وأطلق عليها النقاد « اللغة الثالثة » ثم اكتشف انها لغة تصلح للنطق بالفصحى وتصلح للنطق بالعامية اننى أتذكر عبد المنعم إبراهيم يوم سألنى فى البروفة النهائية لحلاق بغداد أنت ما بتضحكش ليه ؟ فقلت له : لأنى المؤلف يا منعم ا فقال : لا .. فيه سبب آخر . علشان مكتوبة بالفصحى . وليلة الافتتاح تعانقنا وقد طاردنا زئير الضحك حتى بعد أن أسدلت الستارة .

قلت لالفريد : ماذا لم تعد لمصر . لبيتك المسرحى الذى هاجرت منه ؟

قال بحدة : خرجت من مصر عام ٧٢ لسبب خارج عن ارادتى . وأرى المسرح فى مصر يمر باختناق شديد ، وكنت أخاف على نفسى من الاحباط ولو انى أرى أن مسرحياتى موطنها الاصلى مصر ، ربما ألقتها فى لندن ولكن عبق القاهرة يفوح منها .

قلت لالفريد : ماذا يقيقك هنا فى لندن ؟

قال : وماذا يعيدبنى الى جو مشبع بالاحباط ولو انى أرى ملامح ضوء لم أتبينه تماما . انى أعتقد أن أى نهضة مسرحية وراءها نقاد عظام . لقد تفرقوا . أين محمود أمين العالم ؟ أين لويس عوض ؟ أين رجاء النقاش ؟ أين على الراعى ؟ ربما كانوا موجودين بشخصهم ، لكنهم خرجوا يبحثون عن المسرح ولم يعودوا .. وقد طالت غيبتهم !

تساءلت فى همس مسموع : هل هى أزمة مناخ سياسى ؟

قال يحدد كلماته ويضغط على الحروف : كانت أزمة مناخ سياسى ثم تفرعت الى مشاكل أخرى ، يصعب حلها ، بمعنى أن أبناء المسرح هجروه الى « روافد » أخرى ، تدفع أكثر !

قلت : فى الستينيات ، كان المسرح فى حالة رقى شديد !

قال الفريد فرج : نعم ، لأن كل شىء كان فى قمته .. ثم ان الثورة كانت فى حاجة الى المسرح وكان « ايمانها » به شديدا ، نتساءل : هل المسرح وسيلة للترفيه ؟ إذا كان الأمر كذلك فوسائل الترفيه كثيرة .. نتساءل هل المسرح منبر من منابر الثقافة ؟ وهل الثقافة مقوم من مقومات الأمة وعنصر من عناصر النهضة ؟ نحن أمة - ياعزيزى مفيد - تعيش فى مرحلة المنولوج وإن يقوم بالنصيب الأولى فى التربية الاجتماعية للناس لكى ينتقلوا من مرحلة المنولوج قائلين أو متلقين .. الى مرحلة الديالوج إلا من خلال المسرح ، المسرح هو القادر على أن يميز بصيرتنا .. لنفهم هؤلاء حاورهم مفيد فوزى - ١٧٥

الديمقراطية فهما صحيحا وليس مجرد شعار ، في المسرح نرى المتناقضات ، نرى  
الابعاد بين الفكر والفكر الآخر والرأى والرأى الآخر . بين الموقف والموقف الآخر  
ليس في السياسة ولكن في كل شىء .

ولا تظن اننا لكى نلحق بالعالم الاول أو بالعصر ، نشترى شوية كومبيوتر .  
ونضعها في بيوتنا ونشتغل عليها . ونقول ( هيه ، لحقنا بالعصر ) . هذا باطل  
وهم كبير ! لابد أن نطلق ملكات الانسان المصرى للتطور . احنا بنتكلم  
سياسة . التغيير ، مش تغيير وزير الصناعة ورئيس التحرير ومدير المؤسسة  
الغلاتية . هذا تغيير فوقى . التغيير لابد أن يكون في الانسان نفسه لابد أن  
تطرح أمامه التناقض والخيارات ويتعلم كيف يختار سلوكه وتصرفاته من خلال  
الرأى والرأى الآخر . الآخر ، الماضى والحاضر ، الليل والنهار ، الشمس والظلام ،  
المسرح - في نهاية الأمر - هو الذى يطرح هذه الجدلية ويعلم الناس ويربى  
المجتمع على التفكير الجدلى وعلى التفكير بين التناقض وعلى الاختيار ويقول  
الرأى الآخر بلا تشنج . المسرح وأنا أرى من بعيد أوضح أنه تعرض لحالة  
هجرة جماعية إما مختارين أو مرغمين أو بسبب ظروف طارئة . وعندما هجره  
أبنائه ، احتار الجمهور ، أين يذهب ، فهاجر هو الى حيث هاجروا !

قلت لالفريد فرج: ييلو انك تشعر بألم كبير!

قال : نعم وهذا هو الذى يجعل هناك مسافة بين حماسى للعودة وتأجيلي هذا  
القرار . اننى هنا في لندن بين ٦٥ مسرحا يقدم ثلثها افضل الأعمال . أنا هنا  
بين بيئة ثقافية راقية . أنا هنا في مدينة ، المسرح يمشى ويعرض في الشارع .  
تعال يوم أحد في بعض الميادين ، ترى « منصة » وجمهور . في مصر خرجت  
المنصة ولم تعد ، وخرج الجمهور ، وطالت غيبته . وصدقنى يا مفيد ، ان  
تحقيقات مخلصه جادة عن حال المسرح في مصر توقظ النائمين وتعيد المسرح  
للناس والناس للمسرح ، افضل ألف مرة . من الكتابة عن « كاتب مغترب »  
مثلى !

قلت لالفريد فرج : بالمناسبة ، كنت أرى أصدقاء أمس على العشاء . الصحفى  
الشاب الموهبة عماد أديب وزوجته الدارسة للمسرح هالة سرحان ، لقد هبطت  
هالة في مطار قلب عماد أديب ولم تقلع طائرتها وفي تلك اللحظة ولدت « لحظة  
ميلاد » . تزوجها . كانت هالة سرحان تتحدث عن علم الحركة في المسرح وكيف  
انه في مصر يؤمن به قليلون ويتصورون ان الحركة فوق الخشبة عفوية  
ونصيب !!

قال الفريد فرج : المسرح بيت . منصة . ونص وممثلون ، وعلم حركة كما  
قالت لك هالة سرحان ، والمسرح هو أبو الفنون ، وعلم الحركة تطبيقات رياضية  
لابد أن يحيط بها الممثل قبل المخرج .

قلت : الغربة صعبة ؟!

قال الفريد فرج : أنا أظن ان غربتى مضاعفة أنا مغترب لأنى بعيد عن  
الوطن . ومغترب أكثر لأنى أشعر دائما بمتابعة أخبار الفن والثقافة في الوطن  
وعمومى الخاصة عن حالة الثقافة في الوطن قد تفوق حالة زملائي داخل ضلوع

الوطن . ربما تمكنت أنا أن أعرف أشياء أكثر بفريقي وهي نفس الأشياء التي أبعدتني عن أبناء مهنتي . أنا أشعر أنهم لا يفكرون مثلما .. أفكر . أنا أرى مثلاً ، أنه لن يكون في بلادنا تليفزيون جيد أو سينما جيدة ما لم يكن المسرح في القمة ، لأن المسرح هو أبو الفنون الدرامية . وأنا أرى مثلاً ، أن أبو الفنون مريض ، فإذا مرض « ماتقوليش أنا ايدى أو رجلى مش عارف أحركها لأن الأيدى والرجل تشفى إذا شفيت الرأس .. » أنا أتساءل - وأجرى على الله كما يقول يحيى حقي - هل الدولة غير قادرة على ترميم مسرح الأزيكية ، ليس ترميم الجدران إنما ترميم الروح . أن المسرح أولى بالترميم من أى أهرامات أو قصور أو قلاع أثرية قديمة ! هل من المعقول ألا يستطيع مسرح الأزيكية أن يعمل مثليه .. في حين يملك المسرح الخاص أن يدفع لنجومه . هل اللوائح المالية تعوق إبداع مسرح الدولة ؟ أغريها . نعم وأدعو إلى تغييرها .

أنا أدعو المسرح المصرى أن يرسل بسؤال مكتوب إلى المسرح القومى الانجليزى أو رويال شكسبير كومبانى . ويطلب لائحة أجورهم ، ونجومنا ليسوا أقل من النجوم الانجليز أن لم يكونوا أفضل . وعلى ضوء الاجابة على السؤال نقرر تغيير اللائحة بشجاعة .

سألت الفريد فرج عن بعض « الأسماء » المرموقة في دنيا المسرح .

١- سألته عن « سعد وهبه » فقال :

سعد وهبه يستطيع أن يعطى المسرح أفضل وأكثر مما أعطى لو رجع لأصوله وهي الريف ومفارقات العلاقات ويكف عن المسرح المباشر . وأفضل أعمال سعد وهبه هي كوبرى الناموس والسبنسة وسكة السلامة .

٢- سألته عن « على سالم » فقال : على سالم مؤلف مهمل في ناحيتين ، في تطوير مسرحه وفي توسيع مجال الحركة كمؤلف وعلى سالم كاتب مسرح لا يصبر على فكرته لتزداد نضجاً وعمقاً انه يطرب للفكرة ويكتبها بسرعة دون أن يتأنى أو يتأمل ، لكن هذا لا ينكر ان على سالم أكثر الواعدين في جيله . فهو الذى بدأ ساطعاً .

٣- سألته عن « د. يوسف ادريس » فقال : يوسف بدأ بالفراير وكانت هذه المسرحية باباً واسعاً للمسرح المصرى ، ثم أغلق يوسف الباب وذهب إلى مسرحيات في مجال آخر . ليته يعود للفراير لشكلها وأسلوبها . الفراير عمل مدهش حقاً وساحر .

٤- سألته عن « نعمان عاشور » فقال : نعمان هو الآخر يبحث عن « المنصة » التي ضاعت وخرجت ولم تعد . ان نعمان فنان كبير ولكنهم أحبطوه فلا منصة ولا بيت ولا ستائر ترتفع .

٥- سألته عن « أنيس منصور » فقال : أنيس له عمل واحد هو حلمك يا شيخ غلام وهو مقتبس ولكن لا بأس مادام الكاتب يضع فكره فيه ، ولكن المسرحية - في معايير المسرح - عمل متواضع .

٦- سألته عن « محمود السعدنى » فقال : محمود السعدنى في المسرح زى عبدالعزیز محمود في الغناء الشعبى .

٧ - سألته عن « محمود ياسين » فقال : فنان كبير موهوب لا أدري لماذا لم يكون مع نور الشريف وأحمد زكي فرقة مسرحية تعوضهم عن الارتقاء في أحضان السينما . مش شايف لورانس أوليفيه أو بيتر بروك أو جان لوى بارو .

٨ - وسألته عن توفيق الحكيم فقال لى : ان مسرحيات الحكيم الذهنية لم تنجح على المسرح ، وأظن انها لم تنجح إلا في مسارح الجيب والطليلة .

وقال الفريد فرج وهو يتذكر شيئاً : عندما كنت شاباً صغيراً لا يعرفنى أحد . أخذت إحدى مسرحياتى وذهبت للاستاذ الحكيم في مجلس الآداب والفنون وكان قد أنشئ حديثاً . وجلست اقرأ أمامه بعض الصفحات الأولى . وكلما قرأت وقطعت شوطاً في القراءة . قلت له : كفاية بأه احنا تعبناك ، فيقول : لا .. دى حلوة أوى .. وأشهد اننى قرأت له المسرحية كاملة على مدى ثلاث ساعات وتوفيق الحكيم بيقظة شديدة يتابع . لم أكن أتصور يومئذ ان توفيق الحكيم يتابع - بهذا الاهتمام - انتاج شاب مثلى !

٩ - سألته عن « سمير خفاجة » ، فقال وهو يضحك : سمير خفاجة جرى في حارة سد ، فاذا بالناس كلها تجرى وراءه ولعل سمير خفاجة نفسه أول من تنبه ان الحارة سد . ومن بين هؤلاء الذين جروا ، القطاع العام . أظن هذا . ان لم يخطئني التقدير . الناس تذهب الى المسرح لتضحك . نعم لتضحك . ولكن ليس لتضحك فقط . وهذا يحتاج لبعض التأمل . هل تتصور ان الناس كانت تذهب لام كلثوم وعبد الحليم وفائق حمامة لتضحك ؟ انهم يعلمون مقدماً ان أم كلثوم وعبد الحليم وفائق ، سيوقظون بشكل أو آخر مواجعهم ومع ذلك يذهبون لماذا ، لأن الانسان يحب أن يشحن مشاعره . الانسان يحب أن يتفعل مع بصائر الناس على الشاشة أو على المسرح . يحزن ، يضحك ، يدهش يلعب . يمرح ، يفكر ! الانسان متعدد المواهب ، فهو ليس حيواناً ضاحكاً . انه ضاحك وبك ومتأمل ومفكر وفاصل و... أخلاق . لماذا نجرى جميعاً لتضحك . لماذا نريد أن نزعزع الناس . انها حالة تدعو للدهشة الشديدة ! وأغلب الظن انها طريقة ليست أسهل فقط بل لعلها « الأربح » ! ويأويل أمة ضل مسرحها !

سقطت الأمطار .. من خلف النافذة ، ودوى الرعد في سماء لندن ولعل البرق . ولست أدري لماذا كان هذا السؤال على لساني لعلك تابعت من بعيد خلاف الراى بين وزير الثقافة ود. يوسف ادريس .. دون أن تدخل في تفاصيله ، ما موقعك من « الصيغة » .

فقال الفريد فرج : أريد أن استأذن الاثنين في القول . انه لا ينبغي لوزير الثقافة ان يدخل طرفاً في معركة رأى بين المثقفين لأن وزير الثقافة يمثل الدولة ، والدولة من شأنها ان تكون محايدة في أى معركة بين المثقفين . ووزير الثقافة هو مثقف أو مفكر في اجازة . يعنى طول ما هو وزير ثقافة يجب أن يكون في اجازة من العمل المباشر في مجال الثقافة . أنا لا أصادر رايه ولكنه يجب أن ينأى عن أى صراع فكرى أو أى صراع فى الراى .

ذات مرة ، أبدى وزير الثقافة فى حكومة ديستان رأياً فى مسرحية ما ونشر أحد الصحفيين رأى الوزير . قال انها « لم تعجبه » . فاضطر وزير الثقافة أن



يكذب الصحفي وينكر انه أبدى رأيه ، وقال يومها بحضارة : « أنا المواطن  
الفرنسي الوحيد الذى لا يستطيع أن يعبر عن رأيه فى المسرحيات التى تدعها  
الوزارة . أنا مشاهد صامت ، والصحفى قد تجنى على .. لأن الوزارة هى  
الدولة » .

وصمت الفريد فرج ، كمن تذكر شيئا آخر بتداعى المعانى .  
بمناسبة فرنسا ، نسيت أن أقول لك ، اننى دعيت الى فرنسا ذات عام قريب  
لأن اليونسكوراخه أن ينخفض عدد رواد المسرح من ٢٢ مليونا سنويا الى ١٩  
مليون مشاهد . اعتبروها مصيبة كبيرة وعقدت الندوات فى كل مكان وكان هذا  
هو الشغل الشاغل للاذاعة والتلفزيون . تفتح التلفزيون فى أى لحظة ، تجد  
مفكرى فرنسا يتدبرون الموقف ويحللونه . تفتح الاذاعة ، تسمع مواطنين  
عاديين يشرحون لماذا انصرفوا عن المسرح الفرنسى . تقرأ فى الصحف مقالات  
تتناول الظاهرة بأسى . ولا أظن انى قادر على اضافة أى تعليق على ما أرويه لك  
الآن !

قلت للفريد فرج : اذا كانت الصحافة « مهنة رأى » ، فماذا يكون المسرح ؟  
قال : « مهنة فكر » .. لأن الفكر قوامه المسرح ، وأنا ضد استخدام كلمة  
« ايدولوجى » لأن استخدامها أقرب الى الدعاية . الفكر أفضل . وربما تعلم ان  
الكتاب المسرحيين يوضعون فى بلادهم موضع الفلاسفة مثل شكسبير وشو .  
وهذا يثير سؤالا : التأليف المسرحى هل هو فن أم أدب أم فلسفة ؟ شكسبير  
- مثلا - يعتبر المبشر بزوال الاقطاع .. كقولتير . شو هو أبو حزب العمال ،  
ومن آباء الاشتراكية الغابية . نحن نسمى توفيق الحكيم مفكرا من باب ريادته  
للمسرح المصرى ولأنه نقل المسرح المصرى الى موقعه الطبيعى من الفكر .

سألت الفريد : هل عوضك الفن فى أوروبا عن فن مصر ؟  
انتفض كعصفور وقال : فن مصر لا يعوض ، ومهما عرضت لى مسرحيات  
على مسارح بلاد أخرى ، فشعورى بالسعادة دائما ناقص !  
الفن فى أوروبا ، كالبلور الصافى . فن معقم . وفى مصر ، الفن فيه التحام ،  
أسخن فن فى العالم ، وأمتع ، رغم قصوره ، فن له قلب !

قلت للفريد : فى سنوات الاغتراب ، هل اكتشفت مناطق أدب جديدة  
لا نعرفها ؟!

قال : نعم ، وكانت التجربة فى الجزائر . وأظن ان المغترب - مثل - يزداد  
خبرة ومعرفة بالاغتراب ، فى الجزائر - يا عزيزى مفيد - أدب جيد جدا  
لا نعرفه فى مصر والشرق ، لماذا لا نعرف عبد الحميد بن هدوجه وطاهر وطار  
ورشيد أبو جدره وكاتب ياسين . لقد كان لى علاقات عميقة بكبار مثقفى  
الجزائر .

قلت : وأنا أراقب ثريا العجيزى زوجة الفريد فرج وهى تصب فناجين  
القهوة بانتظام لزوجها كلما فرغت : ما دور الزوجة فى الغربية ؟  
قال : الزوجة تساعد على الصبر ، والاغتراب من سماته الصبر والوحدة ..  
والكآبة . أنت - حين تغترب - تتطلع دائما الى العودة غدا . فالصبر هنا قضية

اساسية ، ثم ان الزوجة تساعد على الانتاج ، ففى غربتى كتبت مسرحيات  
مصرية مائة فى المائة ولم أنقطع عن التأليف . آخر عمل فنى لى هو السندباد  
وحكايات الزمن الضائع .

قال الفريد فرج وأنا وجهاز التسجيل ، نصغى . فأتنى أن أقول لك .  
● انى أمرنى عامى الخامس والخمسين .

● وان أفسى أزمة تواجه مسرحا هى عروض بلا مستوى ومسارح بلا جمهور  
ومنصات بلا ممثلين .

● واننا بحاجة الى مسرح رأى لا مسرح رؤية .

● وان جان أنوى قال يوما ( أجيد صناعة الضحك والبكاء لأنهما وجهان  
الانسان ) .

● وان المسرح ليس فى الحقيقة مرآة عصر ، بل وسيلة لتحويل مجرى العصر .

● واننا جميعا نحلم .. والمهم نوع العالم .

● وانه علينا أن نتنبه كما يقول جارودى لـ « الحرية التى تطمس الحريات  
لنصوغ منها العبوديات » .

● وان تقسيم د. زكى نجيب محمود فى كتابه « الشرق الفنان » ان الشرق مهد  
الفنون والغرب معمل العلوم .. صحيح .

● وانه يذهلنى ان تخلو برامج « المعارضة » أثناء الانتخابات المصرية من  
الدعوة .. للثقافة وكأن الانسان مولود للسياسة !

● وانك تستطيع أن تضعنى فى اليسار العربى ، كمفكر سياسى .. فأنا أنتمى  
لفكر ثورة يوليو !

● وان مسرحى متنوع ، تاريخى ، وراثى وتراجيديا .

وان من أفضل انجازاتى - كما قال النقاد - انى طوعت التراث الشعبى  
للشكل الدرامى الحديث كما ترى فى مسرحياتى الزير سالم وألف ليلة .

وكان الليل فى المنتصف . والشوارع خالية إلا من عدد قليل يتغطف بشمسيات  
سوداء ، فقد كانت السماء مازالت تتعجب ، ونعيب سماء لندن لا يعرف  
الاعتدال !

ونزل الفريد فرج ومجداف ، قاربه فى الحياة والغربة زوجته ثريا ، يحملانى  
الى « جلوسترود » حيث أقيم ، وفى السيارة ضغط الفريد على زرار صغير وانطلق  
صوت عبدالوهاب القديم « يا ترى يانسمه ... » .

فى تلك اللحظات الصافية ، يصدق الانسان .. فطرحته على الفريد سؤالاً  
تقليدياً : ماهى السعادة عندك ؟

ورغم تقليدية السؤال ، فقد شرد منى وفكر .. وقال : سعادتى مهنية .. ورق  
وقلم وحرية تعبير ومسرح يجسد هذا الفكر . وستارة ترتفع وجمهور غفير وناس

سعداء وزئير ضحك .. أو نشيج بكاء !



# سميحة أيوب

« ضعف امرأة  
قوية! »

■ كنت أعامل «سميحة أيوب» بحذر، لأنى أعرف أنها - على حد تعبير الشاعر فاروق جويده - «تجرح حين تمزح» ! كنت أقابلها أحياناً في مناسبات مختلفة، فنتبادل التحية وبضع كلمات مجاملة ويذهب كل منا في طريق، وأظلم أحتفظ لها بصورة «ممثلة المسرح القديرة» فقط، ولكنى لا أعرفها كإنسان .. لم أرها مطلقاً في لحظة ضعف .. لم أر دموعها في أوقات تفرض الدموع ! لم أرها ضعيفة كامرأة ! دائماً في حالة «قوة» .. وكأنها امرأة تخاصم الضعف البشرى ! إن نادية لطفي . امرأة قوية . ولكنى رأيتها كأم قلقة على ابنها والدموع خلف مآقيها ، وفاتن حمامة ، امرأة قوية . وفي لحظات الغربة لمحت حنينها الجارف لمصر ودمعة على خدها !.. أما سميحة أيوب فهي تحافظ على «إيقاع» القوة وتضبط نفسها على عقارب الصلابة ، وإذا مزحت ، جرححت !

ذات ليلة ، التقينا .. سميحة أيوب وأنا في العاصمة الأردنية عمان ، ودعوتها للعشاء في مطعم تركى قريب من الفندق الذى نسكن فيه ، وتكلمنا عن الفن ثم لا أدري كيف دخل الحوار قناة الخصوصية .. تكلمت عن أولادها وكيف يحرقها الشوق إليهم تكلمت عن ابنها علاء محمود مرسى وكيف انها راته في الحلم وتشعر بالقلق عليه .. قطعت حديثها المسترسل وقالت إنها تحب هذا المقطع الذى تغنيه فيروز «عندى حنين ما يعرف لمن» ، وعادت سميحة أيوب تقول : إن السفر يساعد الإنسان على لقائه بنفسه بعد وحشة ورأيها تمسح دموعه تسربت رغم أنفها ! و .. لم أصدق ما أرى !..

□ نعم أنا  
أجرح حين  
أمنح !!

أدهشتني سميحة أيوب التي أراها ، لكنني كنت دهشتي فقط قلت لها  
« تمزحين فتجرحين .. لماذا ؟ » .

قالت : « لأنني في حالة دفاع دائم ومستمر عن النفس .. أضع أقنعة . تماماً  
مثلاً يحمي المحارب صدره بالدروع ، وقلبا أخلع هذه الأقنعة ، أنت يا سيدي في  
غابة .. هذا زمان الأقوياء .. ويل لمن يكشف عن ضعفه .. تأكله الأسود وترميه  
عظاماً لليوم ! » .

لم أقاطعها بكلمة أو همسة ، أو حتى بإيماءة .. شعرت « كمحاور » أن سميحة  
أيوب تبوح حين « أنكشها » وأصغى لها ..

وولدت فكرة حوار معها .. في بيتها ، في غرفة معيشتها وأسعدتها الفكرة !  
انطباعي عن تلك الليلة والليالي التالية التي تقاسمت فيها الحوار مع سميحة أيوب ،  
كاننا - معاً - في مركب ليس له شراع ، وليل بلا أفق .. ربما ساعد على هذا أن القمر كان  
مكتملاً وسميحة أيوب يسعدنا « اكتمال » القمر وتحس أنها صديقتها منذ صباها  
حين كانت تتحاور معه وتبته أحلامها البكر وأحزانها الغامضة !

اكتمال القمر يجعل سميحة أيوب في حالة « طفولة » ، بدليل قطعة الثلج التي  
« تفرقشها » أمامي الآن ! وعندما قلت لها إن « أريك سيغال » في روايته الشهيرة  
« قصة حب » جعل الثلج ديكوراً لأجمل لحظات الحب ، حيث كان الحبيبان  
يتراشقان بكراته .

قالت : « أما أنا ، فقد كنا نترشق في الفلاحين بكرات الطين » !  
وضحكت سميحة أيوب ضحكتها المجلجلة التي لا تخلو من رنة سخرية !  
قلت لسميحة « لا زلت وفيه للقمر ؟ » ..

قالت : تسلك الهادي جعلني أخلع أقنعتي وأجيبك بلا تحفظ .. نعم مازلت ..  
المهم أن نبقي ولا نتبدل ولا نخون رموز طفولتنا حتى لو خانتنا !  
ثم صمتت برهة ، شربت بعدها رشفة من فنان قهوتها البارد وقالت : « لو  
فقدت هذا الجزء من داخلي ، ضيعت الفنان .. لهذا أحرص عليه من تضاريس  
الزمن وغدر الأيام » !

قلت لسميحة : إن صديقتي مذيعة التلفزيون الشهيرة ليلى رستم امرأة صلبة في  
الواجهة التي تواجه بها الناس ، ولكنها ضعيفة عن قرب !  
قالت سميحة عثمان أيوب بسرعة : « كل امرأة قوية ، هي ضعيفة تنقذ نفسها  
من ضعفها .. مرة بادعاء القوة ، ومرة بسلطة اللسان ومرة بالسخرية ، إنها  
أقنعة مختلفة يا عزيزي ! »

قلت لسميحة : حين امتدت يدك لمصافحتي ، شعرت بيد قوية لامرأة تحرص  
على كينونتها ، وقامتك قائمة امرأة تستحم في بحر الثقة ، ووجهك وجه امرأة محددة  
المطالب من هذه الحياة ، وخطوتك تعرف موقع قدمك ، وصوتك ينبئ عن  
شخصية عاركت الأيام !

قالت وهي تضحك : « صدقني هذه صناعة محلية » !

قلت لها : « تقولين هذا عن تواضع ؟ »

قالت : بالعكس : لم تكن هذه سميحة أيوب ، كانت أبسط من هذا بكثير .. أنت

## □ أنا صناعة محلية وكان تكوينى هشا !

تعرف كما يقول بيكاسو أن «كل طفل فنان» والمشكلة ، كيف يبقى الإنسان فناناً حتى يكبر ، لقد كنت خجولة وشنفت خجل . كنت مترددة وذبحت ترددى ، علمتنى الأيام أكثر مما علمتنى المدارس والمعاهد ، أعطتنى التجارب خلاصة الحكمة فى الحياة ، صنعت بارادتى سميحة أيوب جديدة تلائم أخلاقيات هذا الزمان ..

سميحة التى ظلت أنت تعاملها بحذر وتردد وتخشى أن تمزح فتجرح !! واستطردت سميحة تقول « كنت رقيقة ، النسمة تجرحنى ، كان تكوينى هشاً .. كنت أبكى بلا سبب .. كنت أذفع عن نفسى بالدموع .. كان إذا استشهد أحد بى فى واقعة ما ، لا أجرؤ على تكذيبه اكننت أتمنى أن أواجه الناس بالحقيقة . فجاء من همس فى أذنى « يا ميكا » - وهذا اسم الدلع الذى ينادينى به المقربون - لا تحولى الناس إلى أعداء لا أحد يحتمل الحقيقة سافرة .. ومن هنا جاءت حكاية أجرح حين أود أن أمزح دون ألم وبلا صدمة ودون أن تسيل الدماء ! أصبحت أواجه الآخرين وقطار العمر يمضى بى وصرت إذا استشهد أحد بى فى أى واقعة لم أكن طرفاً فيها ، نفيت بلا خوف أو رهبة ! كانت جراتى تدهشنى ويذهلنى حسوتى ، ثم تعودت على المواجهة .. تحملت الكثير لأصل لهذه المرحلة .. مرحلة القوة ، وذقت طعم الصدمات وجريت الفشل الخاص فى حياتى ، لكننى ما عدت تلك البنت الهشة التكوين التى تغرى بالاعتقال ، ولذلك أعترف لك أنتى صناعة محلية .. فسميحة أيوب ، مختلفة عن سميحة عثمان أيوب .. لقد وصل بى الأمر - وأنا ممثلة - أن أطلب من مخرج ما أن يسمع صوتى وأخاطبه هكذا .. أنت ديكاتور ولا تطيق أن تسمع رأياً يخالفك .. اسمع بكل أدب وجهة نظرى ، فقد تتراجع عن هذا العناد اكننت أقول هذا الكلام وأنا معجبة بنفسى .. فإذا به يصغى ويعترف بوجاهة ما أقول !

**قلت لسميحة : « تحبين معاملة الأذكىاء ؟ » .**

قالت : « لأن الأغبياء يضيعون الوقت » ، وقالت : « فى العمل يهمنى الذكى قبل المشتغل عواطف .. فليس فى العمل سوى عملة الذكاء . أما العواطف فهى لعبة غير الموهوب ! »

**قلت لسميحة أيوب : « هم تخافين من المرأة ؟ » .**

قالت : أخاف من عجزها .. العاجزة تخربش وتحقد وتنهب أظافرهما وتتحرك أشواك القنفذ داخلها !

**سألته : « هل تحبين المعارك ؟ »**

قالت : لما تستاهل .

**قلت : تسعدك الاستعراضية ؟**

قالت : « من خلال عمل .. أما الاستعراضية الجوفاء فهى تضر بالفنان والإنسان ! » .

**قلت لها : « الجدية واحدة من ملامحك الأساسية » .**

قالت : « الجدية اكتسبتها من التعامل مع الحياة ، المشاع عن المرأة أنها مائعة ، فإذا كانت أنثى ، استثمرت أنوثتها .. أنا أعتقد أن الجدية غير المنفردة وجه صادق للمرأة الملتزمة .. ورغم أنى امرأة جادة فأنا ساذجة أحيانا ! »

## □ أنا ساذجة أحياناً ولكن شكلي يخلع الناس

ابتسمت وقلت : « ساذجة » ؟ لا أصدق !

قالت : شكلي يخدعك .. ويجعلك لا تصدق الإنسان الطيب داخل .. وأنا أعرف  
أن الكثيرين يعاملونني بحيلة .. كم يجنى شكل الإنسان وصوته عليه ١٩  
يا سيدى اننى أغلف خجلي ، فيظن الناس انى « السع » كالنحلة أو أبطش  
بكلمة .. والمشكلة أمامى هى كيف يرى الناس حقيقتى ..  
وإن كان المهم - بالنسبة لى - هو وجه سميحة أيوب المثلثة ١١

للكاتب الفرنسى بومارشيه عبارة دقيقة تقول : « لاتقل المرأة إلا ما تود أن  
يعرفه الجميع » ! ولذا يرى أن قلب المرأة « تيه يضل السارى فيه السيل » ، وأذكر  
أن اينوك ايميه قالت لى وكان عمر الشريف يقدمنى لها فى باريس « تفقد المرأة كل  
سحرها ودلالها وعمق شخصيتها حتى تصبح كتاباً مفتوحاً أمام الرجل أو ..  
القراء » .

فهل تحاول سميحة أيوب - عبر هذا الحوار - أن ترسم لنفسها أمامى وأمام قرائى  
صورة من وحى تفكيرها ؟ هل تريد الفنانة أن تقدم صورة للنسائه ؟ هل تتكلم  
سميحة بوعى الفنان الذى يعرف أن هذا الحديث سوف ينشر ؟ لقد حيرتنى هذه  
النقطة فصارحت سميحة بها وقلت لها : « أنت لست فى حاجة إلى القناعى ، لأنك  
ممثلة قديرة » ، بتبرات صوتك المختنقة سوف أصدقك !

وغضبت سميحة أيوب ووضعت فنجان القهوة الرابع أمامها فى عصبية !  
قالت .. احتفظ بالشريط ولا تنشر الحديث ! ربما تحتاج إليه يوماً ما عندما أسكن  
التاريخ ! أنا أفتح لك قلبى وأحدث معك عن سميحة الصناعة المحلية ؟ سميحة  
التي كانت تتصور أن الدموع تحل مشاكلها فاكشفت أن القوة هى الحق وما دمت  
على حق .. فانا قوية .. سميحة التي تعترف لك أن جديتها مكتسبة . سميحة التي  
تخفى دموعها حتى لا تفضحها . سميحة التي « تسخر » من نفسها أمام الآخرين  
حتى تسد الطريق أمام سخريه الآخرين منها .. فأسقط ! سميحة التي تعتمد على  
احساسها الفطرى وهوبه من الله وليس على حساباتها الدقيقة كما يتصور البعض  
من زملائى وزميلاتى ! سميحة التي تحمى نفسها بالانتماء حتى تقف فى الحلبة  
كالرمح .. هذه هى سميحة عثمان أيوب . امرأة قوية لأنها اكتشفت معنى الضعف  
الخاص .. انه لرجل أريده فى حياتى ويربطنى به رباط اجتماعى أنا امرأة قوية ..  
نعم لأنى أعرف ما أريد .

لقد تركت أولادى فى سن مبكرة وأنا أم حنون لأصنع سميحة أيوب . لقد  
صارحنى ابنى « علاء » بهذا المعنى فى آخر لقاء به . أنا صديقة أولادى وأعرف  
مشاكلهم حتى العاطفية . ونتشاور أنا ووالدهم الفنان محمود مرسى فى هذا ..  
قاطعت هذا الاسترسال وقلت : « كم عمر زواجك من الكاتب سعد الدين  
وهبة ؟ » .

قالت : بسرعة « ٢٣ سنة » .

قلت : هل أنت حرم سعد الدين وهبة ؟

قالت : لا . أنا سميحة أيوب .

ذات مرة اتصل بنا التابعى وقال مدام وهبه ؟  
قلت له : لا النمرة غلط .

بكل بساطة أنا سميحة أيوب زوجة سعد وهبة .

قل نرجسية . قل ما تشاء !!

كانت نبرة حديث سميحة أيوب تنطق بالقوة وهى تنطق اسمها فسألتها لا تقب  
هذه القوة « ممن تغارين كامراة ؟ » .

قالت : ممن تهدد مكاني عند رجل .

حاصرتها وقلت : « صفى لى هذه المرأة ! » .

قالت : « أنا لا تهمنى الست . ليس لى علاقة بها . أنا يهمنى سلوك الرجل ..  
الى عاهدنى .. وعاهدته . أنا مليش دعوة بها . أدكى منى ، أجمل منى . هذا  
لا يهم . المهم هو ! الحساب معه ، هو ! بالعكس . قد أقابلها وأبادلها التحية  
ولا أهجمها !

سألت سميحة أيوب عن تجارب الزواج فى حياتها وأنا أعلم أنها تزوجت ثلاث  
مرات الفنان محسن سرحان . والفنان محمود مرسى والكاتب سعد الدين وهبه  
( ٢٣ سنة زواجا ) .

قالت سميحة .. الحياة تسير . فى بعض الأحيان هناك أمواج وأحياناً نتوءات .  
وأصارك بحقيقة بسيطة ، عندما يتزوج اثنان فهما يكونان شركة فإذا اختلفا  
قليلاً فهذه عافية للعلاقة . فإذا اختلفا كثيراً وكان بينهما حب ، اشترىا نصيبهما فى  
الحياة وحافظا على الشركة ، فإذا استحال التفاهم ، يفوضون الشركة ! .  
قلت لسميحة : هل تكررين أخطاءك ؟

قالت : من منا لا يكرر أخطاءه ثم يكتشف أنه كرر نفس الخطأ ، ثم يعود لنفس  
« النقرة » .. الإنسان طبيعة لا تختلف ازاء مواقف الحياة ! قد نندم ولكن كما  
تقول أم كلثوم « تفيد بأيه » ندم . الحياة صعود وهبوط . المعاشرة حياة والشغل  
حياة ، لا شيء يستمر كما هو . ولا شيء يتوقف ، هل يتوقف النهر عن الجريان ١٩  
قلت لسميحة : هل أى قرار يسبقه لحظة نفسية .. بمعنى أدق هل هناك محاكمات  
هادئة بينك وبين نفسك ؟

قالت : هناك جلاذ ومحاكمات فى الفن وفى الحياة وبالمناسبة لا تستطيع أن تفصل  
الفن عن الحياة بالنسبة لمثلة . الفنانة تحيا . تحيا كفنانة وكإنسانة الاثنان  
متلخبطين . كالماء والزيت لا يمكن فصلهما .

قلت لسميحة أيوب : لقد ذكرتى عبارتك بشيء مهم جداً سأطرحه عليك  
وصارحيني بحقيقته :

قالت لى مرة اينوك ايميه وهى نجمتى المفضلة أداءً وجمالاً .. إن مشكلتى مع  
حببى الأول أنه لم يكن يستطيع أن يفرق بين اينوك ايميه الممثلة .. واينوك ايميه  
الانسانة . وكان حببى حين يناقشنى فى أمر ما وأرد عليه . كان يوجه لى إهانات  
قاسية بعبارات بسيطة . كان يقول لى « اينوك أنت تمثلين » . لعلها مشكلة المرأة  
الفنانة . كيف تقنع الرجل القريب منها . أن هناك انسانة داخل هذه الفنانة !!

قالت سميحة أيوب « مشكلة المرأة الفنانة . أن الرجل القريب منها يأخذها

□ أنا لست  
مدام وهبة أنا  
سميحة أيوب

□ لا أحاسب  
المرأة الأخرى  
وأحاسب زوجى



## □ اعتمدت على والدي في تربية أولادي لأسباب

بحذر - إنه يشعر أنها مثقلة عظيمة وقادرة على تصوير أى احساس بمهارة بالغة ويحس أن لحظات ضعفها « مصنوعة » ولحظات عطائها مصنوعة .. وتبراتها الضعيفة التي فيها شبه استجداء في لحظة صدق .. مصنوعة ! إنه أكبر عذاب في حياة امرأة فنانة . هذه المرأة تشفق للصدق والعفوية والتلقائية والطفولة .. هذه المرأة ليست قطعة مطاط وليست عروسة خشبية تتحرك بخيوط . هذه المرأة انسانة من لحم ودم واحساس ومحال أن تكون كل حياتها مصنوعة . ولكن كيف يقتنع الرجل . كيف يقتنع أنها ليست قوية إلا أمام الناس فقط . كيف يقتنع أنها تشفق لأن تتكلم كقطعة في صدر رجل وأنها طفلة .. وأنها أسقطت في لحظة كل الأتقنة وتتعرى نفسياً و« مصاريفها تبا » ! حين يعامل الرجل المرأة الفنانة بحذر فهو معذور ولكنه يفقد كنزاً نعم لأن المرأة الفنانة هي امرأة قبل أن تكون فنانة . هي صانعة المرأة الثانية ، لكن الأولى قطرية . خسارة أنه لا يلتفت لهذا .

إن فن المرأة الفنانة المجيدة يجنى عليها .. تماماً كما تكتب - وأنت كاتب لك أسلوب - خطاباً إلى حبيبك ، ربما تظن أن عواطفك تختفى خلف أسلوب جميل وقد تشفق إلى أسلوب ركيك صادق !

المرأة الفنانة ، يجرحها أن يعاملها الرجل القريب منها بحذر . يجرحها عدم تصديقه . تجرحها نظريته المتأرجحة بين الحلم واليقظة ! تسألني ما هو الشيء الذي يرضيها . - أقول لك أن ينصهر الرجل ويرى جوهرها يحس بما يختفى من مشاعروها هذا القفص الصدري . ينسى الشكل والاسم والمهنة . ينسى المعجبين والشهرة ويلتفت إلى المرأة بعطائها وصدقها دون أى « زينة اجتماعية » ولو فشل فسوف يظل يتعذب ولن يقتحم هذا الجبل الذي يهمس له مستجدياً « أنا لا جبل ولا حاجة . أنا مخلوق احتاج إليك » !

طلبت من سميحة أيوب فنجان قهوة ، فقامت وبعد قليل عادت به .. وكنت استعيد كلمات يوسف ادريس « إن الإنسان نفسه ليس سوى ظاهرة خلقت لتستفز كل ما في الكون من مادة وجماد وحيوان وحتى الإنسان ، وبقدرات الخلق الاستفزازية يحولها إلى ما يشبه الحياة أو الحياة الأسمن ، نعم إن حوارى مع سميحة عثمان أيوب أخذ شكلاً مستفزاً فأفترجت عما تخبئه .. وربما أخذ نمطاً تصادمياً فجعلها في حالة « دفاع » عن النفس ، فأخلفت « تبوح » !!

قلت لسميحة : أنت « عفواً » أم فاشلة . لم تعرفي الأمومة إلا ربما بضعة شهور . وكلما نظرت في صورتك وأنت أم ، ابتسمت ولم أصدقها !

قالت : أنا اعتمدت على والدتي في تربية أولادى . وكان المسرح قد نشلنى حتى من حياتى الخاصة . وثق تماماً وأنا أتحدث معك وأفكر بصوت عال أن حياتى اضطربت . اعتمدت على أمى في تربية أولادى حتى لا يتسلل إلى حياتهم هذا الاضطراب . كنت أذهب إلى المسرح وابنى مريض واستطعت ، اعترف لك ، أن اصنع سميحة أيوب . ثم كبر الأولاد في غمرة الزمن واكتشفت أن الجوار غائب بينى وبينهم . وكنت أراهم كما تقابل إنساناً عزيزاً في صلاة التراويح ..

وبعد هذه السنين الطويلة كنت أسافر لهما في أمريكا ، وأعترف لك ، تعرفنا على بعض .. أحدهما الأصغر - علاء - يدرس الجيولوجيا في أمريكا والثاني يدرس

## □ أنا لست مخلوقاً حجرياً وأعرف اللهفة والأشواق !

الإخراج ، كل واحد منهما يعيش في ولاية . وقد اكتشفت أعماقهما وعرفت كيف يفكران في ولم يفضبنى هذا التفكير ، الغربة - صدقنى - تفتح مسام الإنسان ، وتتضج ربما قبل الأوان . هما يعتبران أن الفن سرقتنى من الأمومة ، وهذا صحيح رغم أنى أم حتى النخاع . وأنا أعتقد أن حياتهما نضجت حين أصبح من المهم عليهما مواجهة الحياة فالأب فنان يشغله الفن والام فنانة التهم المسرح وقتها كله .

قلت لسميحة : هل أنت انفعالية ؟

قالت : « الانفعالية ، خاسرة » .

قلت لها : في بكائك نشيج أم نهنهة أم ماذا ؟

قالت : « حسب كثافة الحالة . وبكائى دائماً يحمل معنى الأسف على أشياء كبيرة .

ومن الممكن أن أبكى في صمت » .

سألتهما : « هل تسألين الآخرين في قراراتك ؟ »

قالت وهى تضحك : نعم .. تقدر تقول بأعمل استفتاء على ما اتخذه من قرارات

وأطلع في قرارى القطط الفطسة حتى لا أشك في سلامة تفكيرى !

قلت لها : « هل قراراتك كلها سليمة ؟ » .

قالت : بعضها طلع غلط في العلاقات الانسانية .

قلت : « ماذا أفشل هذه العلاقات ؟ » ..

قالت سميحة : زعزعة الثقة بين الطرفين !

قلت لها : « هل أنت معترزة بعقلك ؟ » .

قالت : هو نوع من النرجسية المستترة !!

قلت : « ما حجم التلقائية في سلوك سميحة أيوب ؟ » .

قالت : أنا إنسانية تلقائية !

ضحكت . فغضبت ! وقالت سميحة أيوب : نعم أنا تلقائية ! حتى ولو لم

تصدق . أنا لهلية وبنت بلد . أنت مثل كل الناس تتصور أنى « مخططة » وهذا

غير صحيح !

قلت لسميحة : « متى كان الحب سيدك ؟ » .

قالت : كلنا عندما نحب يصبح الحب سيدنا .

قلت لها : « هل تصدقين كل كلمة من رجل تحبينه ؟ »

قالت : أصدقها لأنى أحترمه .

سألتهما : « تعرفين اللهفة والأشواق ؟ »

غضبت سميحة أيوب وقالت : هل أنا مخلوق حجري ؟ أنا عرفت اللهفة

والأشواق والصد والفراق وعرفت الانتظار وهوشىء سخيى ، قوتى أمام الناس

لا تمنع ضعفى الشخصى الانسانى ، اعترف لك أن غفلى يقوم بمهمة ترشيد

عواطفى ، ونزيف أحاسيسى ، وأعرف نقط ضعفى ولا أسلمها بإرادتى إلا لمن

أحب . تماماً كما يقول كامل الشناوى : وتطل من رأسى الظنون تلومنى وتشد أذنى

فطالما باركت كذبك كله ولعنت ظننى أكل منا - يعرف الحقيقة - ولكنه يضحك على

نفسه لأنه لا يريد تعذيب ذاته !

## □ تهمنى صورتي عند الناس غير المرضى !

قلت لسميحة أيوب : « ممثلة وكاتب فنان ، هل هناك مساحة للتنازلات في حياتكما ؟ » .

قالت : لا أحد يتنازل من أجل الآخر . ولا أحد منا يطالب شريكة بأى شىء . ربما كان التنازل في بعض السلوكيات وارداً . لكن التنازلات الانسانية غير واردة ، كل منا حر تماماً إذا كان يكره البامية ، فأننا - مثلاً - أحبها ، ولن أتنازل عن استمتاعى بالبامية . وإذا كنت تتصور أن هذا تحرر فأنالست امرأة متحررة ، أنا امرأة عندى افكار وأحياناً أتناقض مع نفسى ، امرأة شرقية تعرف كيف تتصرف وماذا تقول ومتى تصمت . المهم كيف تكسب احترام المجتمع . وأنا تهمنى - بالمناسبة - صورتي لدى الناس . ولكن لا أخضع ذليلة لأقوال الناس ما دمت مقتنعة بما أقول وبما أفل ، فإذا كانت نظرة الناس مريضة ، فلماذا أشغل نفسى بها وأتأخر وأضيع وقتى ؟

قلت لسميحة أيوب : « هل تحافظين على صورة سميحة أيوب عند الناس ؟ » ، قالت : لاشك أنى مشغولة بهاداشما ولكن الشهرة لا تصنع أخلاقيات إنسان أو تصوغ له نظرتة في الحياة ، اننى سعيدة بحديثك لأنى لم ألق من قبل بكاتب محاور إلا وطرق مسائل المسرح وأرائى في الزملاء والزميلات بحثاً عن « إثارة » ! قلت لها : « إن أقوالك في المسرح محفوظة .. وقد شيع الناس منها ، وأراؤك في زملائك وزميلاتك كانت مرحلة في الصحافة وأتصور أن الناس يهملها الوجه الانسانى للفنانة يريدون التعرف على « الأشياء الصغيرة » و « اليومية » في حياة النجوم . اننى أريد ببساطة أن أبحر في الانسان لأقدم الصورة البشرية لفنانة كبيرة مرموقة وقوية ! قالت لسميحة أيوب : مازلت أقرأ في عينيك أن ضعفى كإنسان يثير دهشتك وربما دهشة قرائك !

قلت لها : جبران خليل جبران عبارة تقول « الرجل أرجوحة بين ابتسامة المرأة .. ودمعتها » ، وأنا أعتقد أن هذا ينطبق عليك بتحفظ ! ان فئاتك الدمعية تتحكمين فيها بمهارة !

قالت بضيق : هذا رأى فيه قسوة . قلت : عندما مرضت ووقعت على قدمك عرفت من صديقة عمرك نادية لطفى أنك كنت تعبرين الأم وتبوسين الأناث ، كنت جبارة ! قالت بسرعة : أمام الناس فقط ، أما أنا - بعيداً عن الناس - فأسأل بولا - نادية لطفى - عنى . أنت تعرف أن فريد شوقى وحش الشاشة ، طفل قماص ، يفرح بكلمة ويثور بكلمة ويبكى من كلمة !

قلت لسميحة أيوب وفي رأسى صدى صوتها وهى تعيش شخصية سمارة التى تفتحنها عليها في المسلسلات الاذاعية وفي رأسى أيضاً « سوسو » بطلة سكة السلامة ، أنضج ما قدم المسرح السياسى في الستينيات : أريد أن أسألك هل اللجوء إلى الرجل عند سميحة أيوب ، خوف أم استئناس به في الحياة ؟ هل باستطاعة سميحة أيوب أن تواجه الحياة دون الاعتماد على ذراع رجل ؟ هل تستمدين احترامك من رجل محترم في حياتك ؟ لماذا تتمسكين بالندية مع الرجل ، مع أن الضعف الانسانى يجعلك تسكنين تحت جلده وفوق أهلبه ؟

تتهددت سميحة أيوب طويلا ، وقالت :  
لن أكون ضيفتك يوماً ما في التلفزيون ، إنك مقتحم . أنت لا تحاور .. أنت  
تحارب سكينتي ، لكن أحب هذه الندية !!

.....

.....

.....

وأجابت سميحة أيوب ، ولذت بالصمت من فرط دهشتي !

\* \* \*

ينساب الحوار بيني وبين سميحة أيوب ، كانسياب ماء عذب في جدول رقراق .  
ربما لأن كل حوار ناجح . كما تقول صديقتي الحميمة غادة السمان . « أشبه بحكاية  
حب فيها اللغة المشتركة ومحاولة الالتقاء .. ومحاولة معرفة وصدق عميق في  
اللحظة ذاتها على الأقل ! » .  
وأنا أضيف على كلمات غادة « إن الحوار الصحفي الحقيقي حكاية حب لا تعقبها  
المرارة ... ! »

كنت أسأل سميحة أيوب « أم علاء » : هل اللجوء إلى الرجل خوف أو استئناس ، وهل باستطاعتها أن تواجه الحياة دون الاعتماد على ذراع رجل وهل تستمد احترامها من رجل محترم في حياتها ولماذا تتمسك بالندية مع الرجل مع أن الضعف الانساني يجعلها تسكن تحت جلده وفوق أهديه !

وأجابت سميحة ، وهي عندما تتأهب للكلام تبدو أمامي وكأنها محامية أخذت «الاذن» من قضاة المحكمة بالرافعة . « منذ أن كانت سميحة طفلة وحتى عندما صارت صبية يافعة وهي تشعر أن الأنثى في مجتمعنا متهمه ولذلك تواجبها دائما حالة الدفاع عن النفس » .

□ سميحة أيوب  
تعترف لي :  
لا أستمد احترامي  
من رجل ما !

قالت سميحة : أنا لا أستمد احترامي من رجل ما ، أنا أستمد احترامي من احترامي لذاتي وهو ، مجموعة تصرفاتي ومواقفي في الحياة . بل ان هناك رجالاً محترمين يسقطون في فخ نساء غير محترمات ! وأنا أعترض على كلمة « لجوء » إلى رجل . أنا لست بلاجنة عاطفية . أنا إنسانة « تلتقي » لا « تلجأ » برجل وتقيم معه علاقة مبنية على احترام متبادل ومن ثم دفع إلى آخر المشوار . أنا لا أنتمي لرجل ما من أجل « البرواز الاجتماعي » لأنه أرخص أساليب الانتماء تماماً مثلما تبع امرأة نفسها لرجل تزوجها بمهر خيالي ! صحيح أنه تزوجها ولكنه دفع « ثمن » الصفقة . وأنا لا أطيق المثل القائل « ضل راجل ولا ضل حيطة » أنا أؤمن بالندية وهي علامة على صحة العلاقة . عندما أكون في احتياج للكلام مع رجل أحبه ، ينبع هذا من أقصى بئر في ذاتي !! إنما المسألة أن احتاج إليه لأنه « يعيشني » فقط ! وضحكت سميحة أيوب ضحكتها المجلجلة وقالت : هناك فرق !

سميحة أيوب عندما تضحك ، إما لتجرح ، أو لتزف لك خبراً . أو لتقاوم البكاء ، الضحك عندها . كما يرى برجسون . حالة كيميائية . معادلة التحام مع الحياة وأستطيع أن أميز ضحكتها . من القلب . عندما تفقد السيطرة على ذهنها المتوقد دائماً .. المتأهب للدفاع دوماً ! هناك دائماً عند سميحة شيء جاهز : حروفها أو .. حضورها ! هناك دائماً عند سميحة شعار يختفي وراء قفصها الصدري ؛ لا تضعفني ضربات الزمان من الخارج مهما قست !

قلت لسميحة : الرجل احتياج !

قالت بسرعة « الرجل مشاركة . احتياج للحوار . عندما يموت الحوار بين رجل وامرأة فاعلم يا سيدي الكونت أن العلاقة بينهما ماتت » .

سألت سميحة عن المرأة بعد الأربعين .

فقلت .. أنا لا أشعر بالنسبة لي بوقع إيقاع الزمن ، ثم أضحك بطريقتي وأقول كبرنا سنة ، إحنا في العد التنازلي ولكن من الداخل لا أحس بذلك !

قلت لها : « أنت امرأة قوية ، هل تحبين رجلاً ينصاع إليك ؟ »

قالت : أبداً أحب أن يكون معي على قدم المساواة بل أفضله أقوى مني وأكثر فهماً ود مفيش مانع أدوجر معه « الرجل عندي باختصار ، يتقدمني بخطوة ، بخطوتين ، بثلاث فقط . حتى لا أتحوّل إلى تابعة . هكذا أفهم العلاقة بيني وبين الرجل . وأكره المرأة التي تحاول تسفيهه « الرجل بقاعها » أو تجعل الناس يشعرون أنها أقوى منه . وأنا يجذبني سلوك الرجل لأنه أهم بكثير من أي عسل ينقط من

لسانه ، فربما كان يحترف الكلام المعسول واللسان داسا كذاب والسلوك يكشف لى  
عن مدى « نقاء » رجل .

قلت لسميحة أيوب : « ما الفرق عندك بين نيتشه وآلان ديلون ؟ »  
قالت ضاحكة « عليك أسئلة !! » ثم أجابت : نيتشه مخ . وآلان ديلون  
عضلات . والعضلات بدون مخ . قوة فى طريق الشر واستعراض .  
سألتها « أيهما اقترب منك فى الحياة رجل ( مرمرطه ) الحياة أم رجل شديد  
البراءة ؟ »

قالت : لا هذا ولا ذاك ! أنا أحب من مارس الحياة عن فهم ، والذي مارسها عن  
فهم لابد أن يكون بريئاً ونقياً من الداخل ، فهو قد فهم حكمتها وفلسفتها . أما من  
« مرمرطه » الحياة ، فقد زودته بالانتهازية سلاحاً والكذب سلاحاً !  
قلت لها « ماذا يفتال براءة إنسان ؟ » .

قالت لسميحة أيوب : الحياة نفسها تجعل من الإنسان نقياً أو شريكاً إذا كان  
عنده استعداد لأحدهما ، لأن هناك شيئاً اسمه المقامرة ، قد تغتالنى الحياة فى  
نقطة ما ، وعلى أن أدافع عن نفسى بصلابتى .. فلا أغتال !..

دق جرس التليفون وكان الوقت متأخراً وبشكل أوتوماتيكى ، نظرت لسميحة  
أيوب فى ساعة يدها .. وقامت لترد على التليفون والدهشة تسبقها : أيوه ؟ مين ؟  
أهلاً وسهلاً ؟ مين اللى بيتكلم ؟ أيوه مين يعنى ؟ الأستاذ سعد خلال نص ساعة  
يكون وصل أيوه حضرتك لما تطلبه بعد نص ساعة حاتلقاه أقول له مين !!؟  
ممكن تعلى صوتك شويه ؟ طيب وطى التليفزيون الأول . مع السلامة !

قلت لسميحة أيوب .. كنت أظن أن التليفون المتأخر فى بيت ممثلة مسرح وكاتب  
كبير ، شىء عادى بل أقل من عادى !

قالت لسميحة .. هذا بيت مصرى عادى ، التليفون المتأخر مزعج ! الدقات على باب  
الشقة فى ساعة متأخرة مزعجة لا أحد يزورنا بدون موعد سابق احتراماً  
للخصوصية !!

قلت لسميحة : هل تفضلين الرجل الانسان على المرأة ؟

قالت : أنا أصدقائى معظمهم رجال !

قلت لها : هل تتألمين يا سميحة !!؟

غضبت وقالت : هل أنا إنسان الى لا يعرف الألم ، فكرتك خاطئة عنى . مع أن  
لك صديقات فى منتهى القوة . نادية لطفى ، فائق حمامة . غادة السمان . القوة هنا  
يا سيدى الكونت قوة شخصية فقط لكن الإنسان يضعفه البشرى وارد ولكن ليس  
من المعقول أن يرى « كل الناس » هذا الضعف . ومن هنا فأنا أعرف الألم ،  
وأعرف جيداً كلمة « أه ... » !! المهم هو إرادة الإنسان . مرضت ذات مرة بمرض  
خطير والتزمت السرير . وكان الوقت غارات ٥٧ وصممت أن أعيش ، وشفيت !  
عندما تنزل درجة الإرادة عند إنسان إلى الصفر .. تهبط درجة حرارته وتحمسه  
للحياة !

قلت لسميحة أيوب : هل هناك شخصية جسدتها على المسرح وتشعرين أنها  
قريبة منك ؟

قالت وقد أغلقت جفون عينيهما للتذكر بعمق : في شخصيتي ملامح من مسرحية « الإنسان الطيب » لبريخت . البنت كانت طيبة جداً وتعطى بسخاء واكتشفت أن الناس يذبحونها ليأكلوها « ذراع تمد إلى الجائعين تعض وتنهش من فورها » فبدأت تضع قناعاً وتعيش ثلاثة أيام طيبة ، وثلاثة أيام جامدة . هناك أيضاً شخصية سوسو في سكة السلامة . لحظة التعرية أمام الله ، تكشف عن الإنسان في أسمى لحظات ضعفه .

قلت لسميحة : هل تخاطبين الله كثيراً ؟

قالت « علاقة الإنسان بالله . علاقة ليست للنشر ، ومع ذلك أنا أخاطبه عندما أشعر بالظلم وكثيراً ما أحس بهذا الظلم »

قلت مندهشاً « شعور بالظلم » ؟

قالت : نعم هل هذا يدهشك ؟

قلت : أنت تظلمين « بفتح التاء لا بضمها » الآخرين ممكن ؟

قالت بغضب : يقع على الظلم كثيراً وأبتلع المرارة في جوفى فلا يشعر أحد . قلت لسميحة أيوب .. في أحد مشاهد مسرحية الوزير العاشق تقولين بلغة عربية سليمة وفصيحة « أنا لم أخنك . والله لم أخنك » .

أسالك أولاً : ما هي الحياة ؟

قالت : خيانة امرأة هي فعل حمق رجل !

قلت .. وأسالك ثانياً : أراك . مثل أم كلثوم . شاعرة لم تفصح عن نفسها .

قالت : أحب الشعر وأوافق شيللى على رؤيته أن الشعر « تزداد به التحاماً برحم الطبيعة والأصالة الإنسانية » .

قلت لها : أتوق الشعر واستحم في بحيراته الأنيقة لأني اعتبره رد الاعتبار إلى الأشياء الصغيرة والعادية وإعادة خلقها من جديد في ضمائر الناس !

قالت سميحة : هل قرأت مقدمة أليوت عن الشعر ؟ إنه يقول : الشعر خلاصة المعرفة الإنسانية واكتشاف حقائق الوجود عبر أداة تفوق أداة العلم والتاريخ والأديان ، تلك الأداة هي رؤية الشاعر الثاقبة النادرة » .

قلت لسميحة : هل الشهرة هي مطلبك ؟

قالت : مطالبى هي الحب والصحة والمال ، والشهرة من خلال عمل ! الحب ليس كما تقول لتوازن الشخصية أو الوقود ولكنه احتياج Need والمال ضرورة .. والشهرة إن أتت من خلال عمل فنى ، فأهلاً بها ! فانا عندما أقف على خشبة المسرح أشعر بأننى أمتلك العالم في قبضة يدي . لا شيء في الدنيا يعادل هذه اللحظة من المتعة والتحليق والعظمة ليس هناك ولا مال قارون يعادل هذا الاحساس .

قلت لسميحة : هل تخافين الزمن والعمر ؟

قالت : « طبعاً » ثم استطردت تقول .. في رأسى مشاريع وأعمال والحيز الزمنى محدود إذا القضاء والقدر لم يتدخلوا لواء الطموح !

قلت لسميحة أيوب : هل هناك رجل وراء نجاحك كامرأة ؟

قالت باعتداد « لا » .



قلت : بكل الوضوح ؟

قالت بثقة « لا .. بكل وضوح » ا

وقالت : محدش بيعمل وقود للثاني كل نجاح منبته كفاءة وطاقة ومواهب وظروف وطموح الفرد .

سألت سميحة : هل في حياتك جرح لازال أخضر ؟

قالت : كلنا ، في حياتنا جروح ، إنها تعادلية الحياة . تعطيك وتأخذ منك ا جروحي ليست خضراء « على طول » أحيانا « تنشف » وأحيانا تظل من بين الشقوق ا وقد خلق الله الذاكرة للإنسان كعامل لطف . والنسيان نعمة ، والتذكر للمرارة نقمة .

سألت سميحة : ماذا يحاصرك دائماً ؟

قالت « الكمبيوتر فقط يرد بإجابة واحدة محددة لا تتغير أما أنا كإنسانة فكل وقت يحاصرنى شيء ما .. مختلف لكن الحصار لا يطول وأنا أصدر قرار الافراج بعقلى ا »

قلت : هل يمكن أن تذهب لطبيب نفسى يوماً ؟

قالت ضاحكة « أنت تحاصرنى بأستلثك الوديعة الشرسة . ومع ذلك أجيبك . سميحة أيوب تذهب لطبيب نفسى إذا دعت الحالة ، وإذا وجدت صديقاً يعوضنى الطبيب النفسى لجأت إليه ا »

قلت لسميحة .. تربطك صداقة عميقة بنادية لطفى ماعمقها ؟

قالت .. عمق بئر وعرض محيط ا بولا « فيها جدعنة بمائة رجل ، وكثومة كتمان رجل أصيل ، بولا ، امرأة تحاورها ، وكأنك تكلم نفسك . فيها صلابة فولاذية ودموع طفلة تاهت في مولد . والباقي أنت بالذات تعرفه » .

قلت لسميحة : لك صورة وأنت شابة تمسكين مسدساً !

ضحكت سميحة من قلبها وقالت « حالة دفاع عن النفس » .. وعندما كبرت وأصبحت أنثى ، كان المسدس هو عيناى ا وعندما نضجت كان المسدس هو المنطق والحجة . كان الندية ا

قلت لسميحة : أنت ترفضين الاعتراف أن هناك قضية ما للمرأة منفصلة عن قضية الرجل وقضية المجتمع ماذا ؟

قالت الفنانة الكبيرة : ببساطة شديدة لأننى لا أرى هناك قضية ما .. لهؤلاء المضطهدين ومنهم المرأة وأرى أن اضطهاد المرأة هو جزء من أسباب اضطهاد بقية بؤساء المجتمع ، التخلف - يا سيدى - هو المرض الأساسى ، أنا لا أعتقد أن الرجل يعتمد إذلال المرأة إلا إذا كانت هى ذليلة .. من هنا أعتبر القضية مفتعلة . الندية كإحساس يجعل الأمر متساوياً فلا فروق نفسية ولا فروق شخصية ، هل تصوت يوماً أن للتمييز جنسية 119

« هل أنت امرأة عادية ؟ »

هكذا فاجأت سميحة أيوب بسؤال وفاجأتنى هى بالرد : أنا امرأة عادية جداً حتى أقف على خشبة المسرح .

قلت لها : ألا تزال بقايا طفولة في أعماقك ؟  
قالت سميحة أيوب : عرفت المسئولية وأنا في الرابعة عشرة لم أكن طفلة  
أخذت دور السيدة المسئولة ! لم ألعب بعرائس ! أحن للأطفال ، أنت رأيتني  
بنفسيك أحتضن الأطفال في بهوفندق القدس . وقرأت دهشتك الآن وأنت تفسر  
لي سر سؤالك ! نعم ترقد في أعماقي بقايا طفولة لم تهجر بعد !  
سألت سميحة أيوب : ماذا يستفزك ياسيكتي ؟  
قالت « الفجاجة » ثم أكملت : الفجاجة في كل شيء في ملابس ، في تمثيل ، في  
إبداء وجهة نظر ..

هل أكل الزمن رقتك ؟  
قالت : ربما أكلتها الورشة ! الورشة هنا .. « وأشارت إلى رأسها » الورشة  
تعمل باستمرار . لا تتوقف . هل التهمت الورشة رقتي ؟ ربما يجب أن تدرك  
أن إشغال العقل بصورة دائمة يقلل من رومانسيته ! أنا مثلاً ، أعرف أنك  
رقيق الكلمة ، عذب الأسلوب ومع ذلك أشعر أنك إنسان « على » للغاية يبدو  
في عينيك حركة عقلك !

سألت سميحة أيوب بإيقاع سريع ، كضربات مجداف قارب حوارنا ونحن  
نقترب من الشاطئ ..

- ★ إلى أي حد يغيرك الحب ؟
- بقدر ما تتغير شمعة حين تشتعل !
- ★ هل انهزم كبرياؤك مرة ؟
- مرات ، ولكنني أخفي هزائمي عن نفسي !
- ★ ما سر توازنك كأمراة ؟
- عزلت أنوثتي عن .. عقلي !
- ★ تغفرين نزوة الرجل ؟
- الرجل مجموعة .. نزوات !
- ★ تبحثن في ماضي .. رجل ؟
- يهمني مستقبلي .. أكثر !
- ★ ضعف المرأة ، متى ؟
- في الحب فقط !
- ★ هل عندك تفسير للحب ؟
- الحب يفسده .. التفسير !
- ★ هل يقلل النقد من قدرك ؟
- لا .. تستفزهم نجاحاتي المتواضعة !
- ★ هل حدث أن جافاك المسرح ؟
- حصل . ولم أقترب من خشبته حتى .. صالحنى !
- ★ تستعدين لعمل مسرحي لفاروق جويده ؟
- لا أستعد بل أشتاق !

- ★ تشدين التحرر؟  
 - تحرر عقل من قيود سخيقة !  
 ★ ماذا تنتظرين من الحياة؟  
 - لا انتظر شيئاً ، اتركها تلحق بي !  
 ★ هل أنت عدة نساء في امرأة واحدة؟  
 - على المسرح نعم !  
 ★ الصداقة عندك؟  
 - طلق يمنع عزلتنا عن الآخرين !  
 ★ التصفيق على المسرح؟  
 - مكافأة فورية لإبداع ما !  
 ★ من هي سميحة أيوب.. السينما؟  
 - فانت حمامة !  
 ★ من هي سميحة أيوب.. الغناء؟  
 - أم كلثوم !







# النجم الساطع ! فريدة فهمي

« .. ألقيت بقبيلة وأنا أسألها :  
ألا تشتاقين للأطفال ؟ »

شاطيء بلطيم .. ذات صيف بعيد .  
صبية في الثالثة عشرة ، أدارت ظهرها للطفولة .. فقد بدأ صدرها يتكور ..  
وخصلات شعرها تتطاير في زهو . العيون ترمقها وهي تعرف وتتجاهل .  
تمسح جبينها من العرق ، وكانت « حافية » وعلى ساقيها آثار اللعب بالرمال .  
تلبس « شورت » وتشرب من « قلة » ، وحولها صبيان في مثل عمرها وربما  
أكبر ينتظرون دورهم في الارتواء بعد العطش . ولا أحد يجزم على وجه  
التحديد ، هل كانوا بالفعل عطاشى للماء أم لرؤية الصبية التي زارتها الأنوثة  
مبكرا . لقد كانت تبدو انحناءات جسدها النحيل وكأنها منحوتة ! وكان « هو »  
واحدا من هؤلاء الصبيان ، يكبرها ببضع سنوات .. ويتأملها . ولأنه لا يملك أن  
يحدثها ، فقد احتواها في عينيه ، وراح يجتر أحلام يقظته !  
وبعد قليل ، لم تعد أحلام يقظة . فقد شعرت « ميلدا » بعيون « على » تثرثر  
بأشياء كثيرة ، أحست بها الصبية وان لم تفهمها !  
وشهد الشاطيء الأمين ، قصة حب بين شاب و« بلطيه » ! إذ لولا ظهور  
على رضا في حياة فريدة فهمى ، ما كانت قصة الحب الكبير « فرقة رضا » .  
وحين يستعيد « على رضا » هذا المشهد يقول لى : في الرابعة عشرة علمتها الرقص  
في النادي .. وكنت أشعر انها تستجيب للموسيقى ، فالرقص كفن لا يحتاج الى أداة  
خارجية . لا يحتاج لفرشاة وألوان كفن الرسم . أداة الرقص في داخل الجسم نفسه ..  
بالجسد يمكن أن أرى لك حكاية تفهمها وتقتنع بها . وكانت « ميلدا » ترقص وهي  
تتكلم . ترقص وهي تأكل . كان قوامها النحيل يهتز طربا اذا سمعت موسيقى . وكان  
القدر دبر لنا هذا « اللقاء » فوق رمال شاطيء بلطيم .. لنهذى للناس ، مصر الأرض  
والحياة والتراث ! وكان ان التقينا بالرجل « المعجزة » الذي سبق زمانه وزمان  
الآخرين ، د. حسن فهمى ، والتقط الحس الذي كان « يسكن » فريدة ، ولم يصادره  
كالأبناء المتشجنين ، بل شجعه ورعاه وعلى يديه ولدت فرقة رضا . التي كان ظهورها  
عام ١٩٥٩ ، حدثا اجتماعيا هز المجتمع وصار فيما بعد تيارا سرى في نفوس الشباب ولم  
يعد يخجل أحد من الرقص مادام فلنا يخاصم الاثارة ! ان الأفكار الكبيرة تحتاج الى  
عقول وقلوب كبيرة كحسن فهمى .

من كتاب د. حسن فهمى رابعى فرقة رضا « عيني على ابنتي » وهو لم يظهر بعد  
ولم تلتهمه أسنان المطبعة يقول: فريدة لا ترقص يا سادة . انها . في الواقع . تواصل  
تأكيد الثورة التي تقودها . انها في معركة . وهي تكسب كل يوم أنصارا جديدا وهي  
تحاول أن تضع شيئا في عيوننا وعقولنا . انها « شيخة طريقة » ، انها تثبت أن قيمة  
العمل في جودته . انها تفرض علينا ان نتخلص من الازدواجية . فكلنا نحب أن  
نرقص ولكننا نخجل . فربما اهتز وقارنا !

تقول لي فريدة فهمي وهي تقرأ هذه السطور من أوراق كتاب لم يصدر بعد : كان بابا حسن كالنسر الذي يحشى صغاره لم يكن فنانا فحسب . كان أبا عظيما . عرف كيف يكتشف ذاتي وأين أخفى مواهبى ! أعطاني الثقة ومنذ أول يوم دفعني فيه للرقص سلحني بنصيحة هامة لاتزال تطن في أذني بصوته الحبيب حتى الآن : لا تجعل جسمك يوما ما يسيطر على عقلك . فالجسم « يرشو » أحيانا صاحبه ويقتنه بأنه متعب ، فيتعطل العقل عن العمل ويتبلد . ليكون عقلك دائما - ياميلدا - يا عصارة العمر هو الذي يسوس جسمك !

وتصمت فريدة فهمي ، لأن نزييف الذكريات لا يتوقف اذا جاءت سيرة والدها . ففريدة تقول عن نفسها صنعني أبى كائنسنة ، ثم وهبني الله « على رضا » وقابلت « محمود رضا » .. وعزفنا وأخرجنا ما عندنا ، وطفنا قرى مصر وسافرنا لمسارح العالم ورقصنا أمام شعوب تعرفنا وربما لم تطأ شواطئنا ، فقصصة الحب الكبيرة ( فرقة رضا ) لم تقتر يوما . ولا أظن أنها تقتر اصادفتنا العقبات . قفزنا فوق المتاريس . وبقينا . صرنا فرقة حكومية وانتصرنا . حوربنا أحيانا ولم نسقط قتلى . واتذكر كلمة كتبها المخرج العالي « اليا كازان » في اليوم الذي زار فيه فرقة رضا عنى . قال « ان هذا الرقص الذي رأيته الليلة فيه لقاء الرمال وحلاوة الصدق » ! يوما ما ، حين عرضت مجموعة الشباب والبنات رقصاتها وألهبت الأكف ، بكى حسن فهمي من الفرح واحتضن فريدة ومحمود وعلى وقال عبارة قصيرة « نجعنا في الامتحان يا أولاد » .

وكتب احسان عبد القدوس يقول في خواتمه : « كلما رأيت فريدة فهمي ترقص ، تمنيت أن تكون أخت كل منا أو بنت كل منا » اوكتب أنيس منصور يقول « ان فرقة رضا نموذج محترم للهوية والاحتراف والمجهود الفردى والروح الجماعية » . وقال أحمد بهاء الدين في يومياته « لقد جعلت هذه الشابة الموهوبة فريدة فهمي من الرقص فنا محترما لا يخل الانسان أن يصفق له » .

اثنتان لا تتألقان أو تتوهجان إلا أثناء « الأبداع » النفس . ولو لمعتهما بعيدا عن هذا « العطاء » ، فربما لا تعرفهما ! سعاد حسنى .. وفريدة فهمي ! سعاد حسنى « في الحياة العادية » قد لا تلفت نظرك . أنها صموتة ، منطوية ، خجولة ، قليلة الكلام ، ليست باهرة اجتماعيا . ونفس الشيء بالنسبة لفريدة فهمي . انها متواضعة ، تواضع ست بيت تسكن في حي المنيرة . انها صموتة باستثناء الحديث عن والدها . خجولة جدا .

كانت تنتظرني في بوفية مسرح البالون فلم أعرفها إلا حين سألت عنها . ببلويزة بسيطة وينطلون وبلا مساحيق أو باروكة قابلتني اودعتني لأركب سيارتها الفيات البيضاء المتواضعة ، ومرقت السيارة شوارع القاهرة الى بيتها في شارع بيروت رقم ٨ بمصر الجديدة . وربما لم تلفت فريدة فهمي نظر أحد بالمره . لم يتطلع مخلوق من سيارته لفريدة ويعرفها ويحييها مثلا . فلو كانت « نبيلة عبيد » في سيارتها مثلا ، لصارت في الشارع مظاهرة سيارات ! ولكن هذه الفذانة الجادة العظيمة المترمة لا يعرفها أحد ، ولا يصفق لها أحد إلا اذا رآها على المسرح « تنحت » من جسدها أشكالا ، تروى لك بها حكاية !

في الطريق ، حاولت أن أقطع طوله بالثرثرة ، فقلت لها : ألا يضايقك تجاهل الناس لك ؟

ضحكت من القلب وقالت : أنا عارفة أين أكون مبهرة . على المسرح ! أنا كالسمك الذي يخرج من الماء إذا ابتعدت عن المسرح . لما أرقص أكون بكامل هيأتي ! أنا اتجمل للمسرح وأبدو رشيقة للمسرح . وأمارس طقوسى الجادة قبل الظهور على المسرح . والذي يرانى أرقص محال أن يصدق أن هذه « السيدة » هي فريدة فهمى ، ولست معقدة من هذه الملاحظة .. بالمناسبة !

وقلت لها : « في عمان ، في المسرح الملكى . حين نودى على اسمك لتتسلمى من الملكة نور ملكة الأردن تذكرك مهرجان جرش ، فوجيء بك الناس وصفقوا طويلا وأخذوا يتأملونك ، وربما لم يلتفتوا لوجودك وأنت جالسة » !

ضحكت فريدة فهمى وقالت لى « أنا أقل من الست العادية بعيدا عن المسرح » ! قلت لها : سمعت من سعاد حسنى نفس الكلام . قالت لى مرة « أنا في البلاطوه سعاد حسنى ، وربما كنت في حياتى الخاصة ، خضرة ، سميحة ، ست أبوها . أى حاجة ! » .

وتذكرت قول « البير كامى » : « ان فلانا فنان عظيم ، ولكنه انسان عادى » ! قلت لفريدة فهمى : « هل لك هوايات تأخذك من الرقص أحيانا ؟ » قالت : ربما لا تعرف انى سباحة ماهرة . فمنذ السادسة وأنا أعرف فن العوم .

وقلت : ألم تركبى الخيل ذات يوم ، وتمارسى رياضة الفروسية ؟ قالت بتواضع أسرئى : كنا تقريبا نعيش في كلية الهندسة مع « بابا حسن » . وكان هناك حمام سباحة . ووجدت أنها أرخص رياضة . فأنا من أسرة متوسطة لا تستطيع وقتئذ أن تتحمل أعباء رياضة ، كالفروسية !

قلت لفريدة فهمى : « كان الراحل الموسيقار على اسماعيل يقول لى ان محمود رضا ، موهوب ومبدع وفنان . وانه وسام على صدر مصر من حقها ان تفخر به » . قالت فريدة : « لا أزيد حرفا واحدا على كلام المرحوم على اسماعيل . فهو ما قل ، ودل » ! وكنا قد وصلنا الى البيت الذى ولدت فيه فريدة ، كما قالت لى .. وظلت تحمل اسم « ميلدا » حتى بدأت ترقص أمام الناس على المسرح ! ولأنى فضولى ود النكش فى البشر ، صناعتى كما يقول لى الموسيقار عبدالوهاب ، قلت لفريدة ما معنى كلمة « ميلدا » ؟ !

أجابت « بالتركى معناها القمر الساطع » . ثم سكنت ثانية . وقالت : « ولكن بابا حسن - وأنت تعرف ابجاءه فى محيطات اللغة - كان يقول ان ميلدا هى كلمة تركية أو إيرانية ، معناها : المثقفة » ! حين دلفنا من باب الفيلا ، سألت فريدة « فيه هنا كلاب » ؟ قلتها وأنا معقد من حادث مداعبة كلب الست أم كلثوم للصديق كمال الملاح مداعبة سخيفة .

قالت فريدة « أيوه » ! فتراجعت قليلا ريثما يتم حبسه !

لكن فريدة طمأنتنى انه كلب ودود ، ويشعر بمشاعر الغرباء نحونا ، فإذا كنت - لا قدر الله - تنوى بنا شرا . فتك بك . وإذا كان يستشعر حبك لنا ، ظل يحرسك -



حتى نودعك . اسمه « سمره » وهو كلب ذكى ومحِب للناس ويعرف الوفاء . ادخل  
لا تتردد !

ولما دخلت ، هجم على سرب من القطط !! وتذكرت في الحال ما أصاب صديقة  
قديمة من قطّة ، فقد خربشتها بضراوة ، قادتني إلى مستشفى الكلب ، واستسلمت  
لعلاج قاس استمر أسابيع وكان من بينه ألا تعرض نفسها للشمس وإلا انتكست !  
وقالت لي فريدة وهي ترانى أتعاشي « هزار » القطط : الحيوانات مخلوقات  
ضعيفة ولا تعبر عن نفسها إلا لمن يحبها ويفهمها . وأنا صديقة القطط والكلاب  
والخيل ! اعتبر القطّة ودوده . وأحب « وفاء » الكلب . وتعجبني شهامة الحصان  
ورقصاته إذا انطرب للمزيكا !

قالت لي فريدة فجأة : عندي مشكلة تحيرني وأنا استعد للسفر لأمريكا كما  
تعرف لمدة عامين . أين يذهب « سمره » . الكلب الوفي ! لا أستطيع أن  
أصاحبه معي . وأعرف انه قد يموت حزنا إذا أحس بغيبابي . ولو تأملته الآن ،  
ستكتشف انه في حالة كآبة . سرها ببساطة انه أحس بحالة « عزال » في  
البيت . فنحن نحزم حقائبنا منذ شهر ونصف ، منذ تلقيت من جامعة UCLA  
في لوس انجلوس الموافقة على ذهابي كمدرس مساعد لقسم الرقص . القسم  
الوحيد الفريد في جامعات أمريكا .. بلوس انجلوس !

همست لنفسى : هل ستحرم من فريدة ؟ على أى شاطئ سترسو  
سفينتها ؟ نسيت مشكلة « الكلب الأسمر » ، واكتنايه ، وأمطرت « النجم الساطع » ،  
بعشرات الأسئلة .. وأجابت ميلدا ، أو فريدة فهمنى .

في هذه الجامعة ، يدرسون بعمق نظريا وعمليا ، رقصات الشعوب . القسم  
اسمه « رقص الجنسيات » فلسفتهم في ذلك محددة : رقصات الشعوب تعبر  
عنها . اذا أردت أن تعرف شعبا ، فابحث عن رقصاته وأمثاله الشعبية .  
الرقصات تعطي صورة عن حركة الانسان ، وأمثاله تقودك الى موطن حكمته !  
الاتفاق مع هذه الجامعة ، كان أيضا محددًا . ان أعلم الرقص المصرى  
المعاصر . رقصات المدينة . الرقص في الصحراء . رقصات الواحات . الرقص  
الشرقى . ومن خلال ذلك سأقدم برسالة دكتوراه عن « جهود فرقة رضا على  
مدى مشوارها الزمنى والفنى » . سأرقص وأضع أمامهم ابعاد هذه  
الحركات . فنحن فيما أظن من شعوب البحر الابيض المتوسط ، شعوب  
راقصة !

مشوار فريدة فهمنى في الرقص ٢٤ عاما . تعلمت خلالها الصبر والاصرار  
والتحمل والمسئولية . لم أعرف الدلع . لم أعرف الاسترخاء . عرفت طعم  
العمل وحلاوة النجاح . لم أش نصيحة أبى . لا تجعلى جسمك يسيطر على  
عقلك !

وقلت لفريدة : هذا المجد . يا ميلدا . صاحبه في نفس الوقت ألم عظيم !  
قالت « المثقفة » حقا : سمعت مرة الدكتور النابغة ياسين عبدالغفار يقول  
لك على شاشة التلفزيون وأنت تحاوره « وراء كل مجد ألم . هذه معادلة  
الحياة » !

**قلت لها: كان يتحدث عن عبدالحليم حافظ!**

قالت ميلدا « حليم كان يشعر الانسان انه أخ . ابن عم ، صديق ، يدخل القلب بلا استئذان . وكانت ألامه في مستوى أمجاده كفنان ، أما أنا فالألم لا تقاس بألام حليم » .

**قلت لها: لعلها الصلابة التي تجعلك تقللين من حجم الألم في حياتك!**  
قالت فريدة فهمي : ماذا أقول لك ؟ أقول ان الصداع النصفى يلزمنى العمر كله ، كظلي ! هل تتصور انه ذات يوم ، سيفارقني ظلي ؟ ذلك هو موقف الصداع النصفى مني ! قرأت كثيرا عنه ولم أعرف لغزه . انه عندما يزورنى بسلامته ، يحيل الحياة الى جحيم . وأنفر من كل المسرات في الحياة . ان زيارته ثقيلة خصوصا اذا شرفنى وأنا على المسرح . لحظتها أقاوم الصراخ وهذا يعذبني أكثر . ناهيك طبعا ، عن ألام الظهر فقد منحني الله عظاما غريبة . هناك مادة بين فقرات الظهر تجعل الألم سيابا على ظهري . وكل طبيب عالمي زرتة نصحنى بالكف عن الرقص بشرط عدم الكف عن الحركة . وأنت تجدني كل ساعة - خلال حديثنا - أتركك بلا مناسبة ، فقط لأتحرك .

**قلت لفريدة: ظننت انى محل ولهذا تقطعين الملل وتعودين!**

ضحكت فريدة وقالت برقتها الشديدة « أبدا ، دى نصايح الدكاترة ، لا تجعلى ظهرك لفترة طويلة في وضع واحد . فأنا اذا مرضت بالانفلونزا مثلا ، لا أستسلم للرقاد في السرير . أحاول أن أتحرك . وأنا أعتقد ان ما اصابني في ظهري هو من أمراض المهنة » !

أضافت فريدة : أمراض المهنة تزور الانسان - عادة - بعد الستين . ولكننا جئنا مبكرة ربما لهذا الوفاء الشديد للرقص . فأنا قدمت أغلى ما عندي ، وحصدت من الرقص ألاما الكنى لست نادمة ، ولو قدر لى أن أعود للوراء ، لعشت العذاب كله مرتين ! في لندن قالوا لى : لا ترقصى . ورقصت ٥ سنوات قبل زيارة الاتحاد السوفيتي وهناك قيل لى لا ترقصى . ورقصت بعدها ٨ سنوات ! انها ليست مكابرة كما تتصور .. ولكنى أعتقد ان ارادتى ترفض الاستسلام !

**وقلت لفريدة فهمي: ان علاقتك بوالدك، ليست مجرد « ولاء عاطفى ساذج »، انها في البداية والنهاية ولاء عقلاى! ان نصيحة والدك « بابا حسن » لا تجعلى جسمك يسيطر على عقلك هي التي تدفعك للضرب بنصائح الأطباء عرض الحائط! ان ما يربطك بابا حسن « ياميلدا » هو « ارتباط روحى وذهنى » . لقد ترك بصماته .. وجعلك تتبين أفكاره حتى بعد رحيله . انه « يحيى » معك !**  
قالت ميلدا ، وشيء أشبه بالدموع في عينيها : رحيل أبى ، ألم كبير . رحيل أختي نديده ألم كبير . الصداع النصفى وألام الظهر .. ألام كبيرة .  
**قلت: قرأت مرة لزميلتى الكاتبة سناء فتح الله تقول « لقد ألغت فريدة فهمي عامل الزمن » .**

قالت : ربما كان هذا صحيحا .. لأنى لم استسلم لعذابات الجسم !

قلت : يبدو ان الرقص هو «مرضك وعافيتك» !  
 قالت لى مجاملة : انتظر لأكتبها هنا .. على ظهر هذه الورقة لأحتفظ  
 بالعبارة ، انها تصفنى تماما ! وقامت فريدة وأحضرت قلما ، فلما وجدته  
 لا ينطق ، أخرجت « قلم الحواجب » من حقيبتها وكتبت العبارة !  
 قلت لفريدة فهمى بصوت هامس ( وهى صفة تلازمنى فى الحوار حين أريد  
 ان ألقى قنبلة ) !  
 ألا تشفقين للأطفال ؟!

مرت لحظات من الصمت قبل أن تجيب فريدة على السؤال . بل انها أعادته  
 بنصه على نفسها مرة ثانية . ثم قامت لتعدل وضع صورة على الحائط ..  
 وعادت وقالت لى اشتقت بشدة هل هناك أنثى فى هذا الوجود لا تحلم بالأمومة .  
 ورغم انى من مواليد برج السرطان ، محبى الخيال فأننا انسانة واقعية جدا .  
 حاولت مرات ومرات أن أكون أما .. ويصبح لى بنت ، اسمها نديده ، وفشلت .  
 أحيانا يتطلب سيناريو الحياة ، عدم الاعتراض على مشاهدته القدرية ! الأمومة  
 حلم أى امرأة . ولكن شاء الله أن يحرمنى منها ، وهذا ألم أكبر على المستوى  
 الشخصى جدا ! حين ماتت « نديده » وقفت أشكوه . ولكن أبى قال « ان الله  
 استرد وديعته يا ميلدا » . يعوضنى الله عن أختى بحب الناس المذاب فى  
 احترام على حد تعبيرك ! يعوضنى الله عن أختى ، بحب الأطفال الخزانى .  
 انهم يتعلقون بى .. وكأنهم يحسون ، انى فى حاجة الى هذه الضمة وهذا  
 العناق وهذه الابتسامة النقية . يعوضنى الله عن « أختى » بحب الناس للتيار  
 العميق الى أحدثته فرقة رضا فى شباب وبنات بلدى . أصبحت قدوة لهم .  
 عشرات الفرق الشعبية ظهرت . فرق عربية ولدت . أخذ الرقص الشعبى  
 احترامه . فذات يوم ، تحمل أبى « أهائات » شديدة من الجامعة عندما قيل له  
 « ازاي تبقى أستاذ جامعة وينتك رقاصة » ١٩  
 فريدة فهمى ...

- ١ - طولها ١٧٥ سم ووزنها ٦٠ كيلو .
- ٢ - عمرها كراقصة ٢٤ عاما ، هو عمر فرقة رضا .
- ٣ - تحب من النجوم : ( عادل أدهم لتمييزه كفنان ) ، ( سعاد حسنى ، لأنها  
 ساكنة القلوب ) ، ( نيللى لأنها مجموعة مواهب مشتعلة ) ، و( محمود  
 عبدالعزيز لأنه شباب الفن ) .
- ٤ - محمد عبدالوهاب فى نظرها ( هرم ) ، يجيد الحديث بنفس طلاوة الغناء .
- ٥ - اذا غضبت فريدة فهمى الزوجة من على رضا ، أعلنته « أنا مخلصك  
 يا على » .
- ٦ - لو لم تكن فريدة فهمى راقصة ، لاخترت مهنة فيها ( حركة ) : مهندسة  
 ديكور مثلا .
- ٧ - فريدة فهمى تصمم الآن ملابس الفرقة . بدأتها بملابس الموشحات .
- ٨ - تخاف الميكروفونات وعدسات التلفزيون والأحاديث الصحفية مع غرباء  
 عنها .

- ٩- تحمل « وسام » من الدولة : جائزة العلوم والفنون عام ١٩٦٥ .  
١٠- لا تقتنى أشياء ذات قيمة . تتعمد نسيان ساعتها .  
١١- تقرأ قراءات جادة عن كل بلد تعظم الفرقة زيارتها . ( أحب أعرف انسان هذه القارة ) .  
١٢- تقول ( بإمكان راقصة الفن الشعبى أن ترقص شرقى ، وليس بإمكان الراقصة الشرقية ، العكس ) .  
١٣- تحترم « دور » السيدة تحية كاريوكا .  
١٤- أهم ما تطلبه من الآخرين « احترام الموعد .. والوعد » .  
١٥- زارت - كراقصة - نصف الكرة الأرضية ، وقابلت مشاهير العالم .  
١٦- مرتب فريدة فهمى - بعد ٢٤ سنة - هو : ١٢٤ جنيها ١١





**طائر الملكة !**

**محمد عبده**

«.. أنا أنتقى أصدقائي بشدة  
وأدقق في اختيارهم ، حتى  
لا أواجه لحظة غدر يوماً ما..»



عندما سألت عندليب الجزيرة العربية ، طائر المملكة الحنون عن اللحظة  
النفسية التي دفعته للزواج ، قال بهدوء :

صونا لشبابي !

ودهشت من إجابته ، فأعدت السؤال مرة ثانية ؟

فقال : أردت أن أصون نفسي من الزلل ، فتزوجت !

قلت لمحمد عبده : هل عشت تجارب عاطفية ؟

قال متحفزاً : كيف ؟

قلت : إن سؤالي شديد الوضوح ، مثل صوتك وأنت تغني .

قال محمد عبده : لا يوجد شاب لم يدق الحب بابيه . وأنا كأي شاب ، عشت هذه  
الأحاسيس . ومعظمها كان فاشلاً وأنا لا أخجل من هذه الحقيقة ، بل أذهب لأبعد  
من ذلك وأقول لك أن الانسان الذي يدخل الحياة بلا تجارب ، تقضى عليه  
قسوة الحياة ويدوسه قطار الزمن ! لقد كان بودى أن أكون مطرباً هاوياً ،  
ولا أحترف الغناء ، وتحقق هذا الأمل فأنا مازلت بعد هاوياً ، وأتصور أن الهواية  
حب . وإذا أنت ككاتب مثلاً فقدت شعور الهواية ، ماتت الكلمة داخلك .. وشنقت  
فن الاحتراف . وأنا - كمطرب - أردت الهواية وتحققت . ثم استطعت أن أقيم  
مشروعاً تجارياً في نفس الخط . استديو مثير .. وتجارة كاسيت وتسجيلات . ثم  
حلمت بحياة زوجية مستقرة . تسألني ، هل خططت لحياتي ؟ نعم ، خططت !  
تسألني : في هذه السن المبكرة ؟ نعم ، في هذه السن المبكرة يجد الانسان بجانبه  
أصدقاء أوفياء يسدون له النصح بلا مقابل . يعطونه الود بلا إيجار . وقد  
استمعت إليهم طويلاً ، وخططت ، وقررت ! نعم ، خططت لنفسى . كان لا بد أن  
أحيا حياة عائلية مستقرة . كانت لدى فكرة عن الزواج سيئة ! أحياناً كنت أتصور  
الزواج عائقاً أمام الفنان . وكنت أتصور الزواج قيداً على انطلاق الفنان وأحياناً  
أخرى ، كنت أشعر أن الزواج « اعتقال » مهذب للزوج في سجن له سقف يمارس  
فيه هذا السجين كافة نشاطه الإنساني ! كنت أسمع من أصدقائي المتزوجين  
سخریات كثيرة عن الزواج ، والبعض كان يتبسط معى ، ويسمى الزوجة :  
الشاويش ، والآخرين يسمونها الحكومة .. وآخرون يقولون : السجان الناعم !  
كنت أسمع كل هذا وأضحك وأتساءل : لماذا هذه النظرة للزواج .

وكنت أرد قائلاً : « إن الزواج يتحول إلى جنة بالتفاهم .. ويصبح واحة حقيقية  
إذا كان الود مقسوماً على اثنين » . وصارحت نفسى : أنا كلفنان محتاج لإنسانة  
تفهمنى وتعرف دورى في الحياة ، وتتعاطف مع همومى الخاصة .. وتتحمس  
لصوتى .. وتعترف أنى فنان ولكنى بلا نزوات . ولكن كيف أعثر على هذه الزوجة ؟  
إنها لا تستورد . ثم أنى لن أتزوج إلا سعودية من المملكة . ووجدت مسامى  
مفتوحة لاستقبال التجربة . أولاً ، رفضت الزواج التقليدى . أن يأتى لى صديق  
ويهمس فى أذنى أنه ينصح بزيارة فلان لأن ابنته « تستاهلك جداً » لم أكن أوافق  
على هذا الأسلوب ، فمهما بلغت من الشهرة فليس هذا هو تأشيرة الدخول لقلب  
فتاة . رفضت الفكرة تماماً ! رفضت أيضاً ترشيحات أختى الكبيرة . فالزوجة  
ليست رقعة شطرنج . الزوجة إنسانة لها قلب وعقل وبصيرة !

وحدث أن كانت إحدى المعجبات بصوتي ، تناقشني في فني متى سنحت لها الفرصة في الحفلات العامة . والفنان حساس يستطيع أن يميز المعجبين بسهولة . وقد اكتشفت أنها معجبة من نوع خاص . موجهة جادة . وناقدة خطيرة وحساسة للكلمة . وأنا إنسان ، الحياة هوايتي ، ولكن خارج الزيف والتبريج التقينا في نقطة الجدية . هي إنسانة جادة وأنا رجل جاد ! نعم أنا رجل جاد . يقولون عني أن أتصرف وكأنني ابن الخمسين . وفي بعض الأحيان ، أبدو مع أولادي وكأنني ابن العشرين .. كانت نقط الالتقاء معها ، أكثر من نقط الخلاف ، فتزوجتها . لا توجد زوجة على مقاس رجل ولكن الود يقر بهما ..

قلت لمحمد عبده : عندما يختار الإنسان زوجته ، فإن بعض العوامل الخلفية تلعب دوراً مهماً .

أصغي لكلماتي ...

فتابعته الحديث ، وقلت : مثلاً ، تلعب الطفولة دوراً هاماً في الاختيار .  
رد محمد عبده : هذا حقيقي . أنا حرمت من الحنان ، ويحثت عن زوجة حنون ، نصف وزنها حنان !

قلت : تلعب التجربة السابقة مع المرأة دوراً هاماً في الاختيار .  
رد محمد عبده : هذا حقيقي ، تجاربي نصفها فاشل ، والنصف الآخر لم يكن تجارب جادة . وقد اشتقت لنموذج جاد ..

قلت : تلعب طبيعة الإنسان وسماته الشخصية دوراً هاماً في الاختيار ..  
رد محمد عبده : هذا حقيقي ، فأنا بطبيعتي إنسان هاديء ، وأميل للهدوء ، وكنت أتمنى زوجة هادئة الطباع . فأنا من الذين يعتقدون أن أجمل ما في امرأة هو طابعها ، أما الجمال البدني ، فزائل ، ويتضائل مع الزمن !  
قلت : إن علاقة الرجل بأمه تلعب دوراً هاماً في الاختيار .

رد محمد عبده : هذا حقيقي ، إن زوجتي مثل أمي ، تحترم الحياة العائلية وتميل للجدية وتعتبر تربية أولادها أسمى المهام .

قلت : إن اهتمامات الرجل في الحياة تفرض عليه في الاختيار نمطاً ما من الزوجات !

رد محمد عبده ، لولم تكن زوجتي معجبة بمحمد عبده ، ما كانت زوجتي ، اني أحب فيها هذا الاهتمام الحنون بصوتي . إنها توفر لي أسباب النجاح .  
قلت لطائر الملكة الحنون : خذني إلى دارك لأعرف كيف تهيب لك زوجتك أسباب النجاح .

قال محمد عبده بخجل : في يوم الحفل ، تساعدني على النوم أطول مدة ممكنة بدون إزعاج لأنها تعلم أن النوم هو أعظم وسيلة لراحة الصوت . وفي نفس الوقت تمنع عني بذكاء المتغصنات حتى لا تتأثر حالتي النفسية فهي تعرف أن الصوت يتأثر بسرعة بأي تعكير نفسي .. وبعد الحفل تزرعني في واحة راحة ، لاستعيد نشاطي ويدخل الأولاد ، فأمارس أبوتي ، وأنسى الفنان !!

سألت محمد عبده : هل تشغلك أمور الغناء فقط في الملكة ؟  
قال : عندي - بفضل الله - استديو للموسيقى ومعمل كاسيت ومصنع إلى جانب



أعمال الكترونيات . وسيارة لتصوير الحفلات بالفيديو . إن هذه الأشياء جعلتني أبقي في المملكة كثيراً ، أديرها . لقد كان عدد حفلاتي في القاهرة أكثر من ٣٠ حفلة كل عام .. وجاء الوقت الذي أستريح فيه من هذا العناء . لقد كافحت حتى أستطيع ألا أتنازل عن مستوى في الغناء . وبفضل الله نجحت . قل عدد حفلاتي في القاهرة وانتبهت لأعمالي في المملكة ، وحظيت بالاستقرار العائلي .

**قلت لمحمد عبده : لماذا تهرب من الغناء ؟**

أصابه الدهول فقال : من قال اني أهرب من الغناء ؟ أنا أهرب من غابة الوسط الغنى .

**قلت : ألم تتدرب على ترويضها ؟**

قال محمد عبده : للأسف ، أعترف لك اني لست قادرا على عملية الترويض هذه . إن فيها من القيم الغريبة ما يعجز الفنان المسالم عن التصدي لها !

**قلت : هل هي بهذا السوء ؟**

قال محمد عبده : لا أقصد أنها سيئة ، ولكني لست ناجحاً في فهمها . إنها لعبة قذرة وفار . إنها لعبة شد حبل . إنها لعبة فيها تنازلات كثيرة وقد تعلمت منذ طفولتي ألا أتنازل بسهولة . الفن عظيم ولكن بعض الذين يعملون بالفن ينقصهم الصدق والصراحة وانفتاح القلب ! ثم دعني أصارحك أكثر . أنا في القاهرة لا أنطلق من قاعدتي ولكن في المملكة أنطلق من قاعدتي ولذلك أفرض ما أشاء .. وبالتالي أنسج نجاحي المطلوب ، أما في القاهرة فلا زلت أشعر بالوحدة بل وبالغربة ولا أحقق ما أريد . وأستسلم أحيانا لما لا أريد .

**قلت لمحمد عبده : هل أنت مناضل في الحياة والفن ؟**

قال : أنا مناضل في الحق ولكني لست مستعداً للنضال في الباطل .. وهذه سمات المجتمع الذي خرجت منه . أنا محمد عبده عثمان الجيزاني . من جيزان في جنوب المملكة . وناس جيزان ضئيلو الحجم كما ترى . مسالمون . يتميزون بالوداعة والبساطة . والمسحة الطفولية ، يميلون للفن ويعشقون المثاليات وسريعو الصدمات .

**قلت لمحمد عبده : هل عرفت الصدمات في حياتك ؟**

قال : الإنسان بدون صدمات كمنفضة سجاثر مسطحة .

**قلت : أى نوع من الصدمات واجهتك ؟**

قال : صدمات عاطفية في مطلع عمري . صدمات في أصدقاء . صدمات في العمل . وهذه الصدمات قوتني ولم تقتلني !

**قلت : لماذا يغلب عليك طابع الحزن والشجن ؟**

قال : أنا لست حزينا ، أنا إنسان جاد ومرح ، والجدية ليست حزنا ! سأته وأنا أنظر إلى ملبسه : هل تشتري ملبسك من باريس ؟

قال بسرعة وكأنه ينفى عن نفسه تهمة : لا .. من المملكة !

**قلت : هل تختارها لك زوجتك ؟**

قال : أختار ما يعجبها من ألوان الذوق وأهمها الرماديات والكلاسيك ! واستطرد يقول : الألوان المزركشة لا تناسبني . ومع ذلك بعض الناس

يدهشهم تمسكى بهذه الألوان الجادة ويقولون ان الشباب يحب المرح والبساطة وإن العمر القادم للجدية لا يجب أن أسرع إليه بالخطوات ! إذا كان الزى كالأسلوب فأنا جاد في ملابس ، ولكنى مع أهات الشباب وأغنى عن الحب والحزن والحرمان . وبعض الناس يلوموننى على كم الحزن في أغائى ! وقلت لهم أنا أعبر عما في الغناء العربى من سمات ! قلت لمحمد عبده : احكى لك قصة قصيرة ربما أروىها لأول مرة :

ذات مرة اصطحبت معى صديقى المرحوم عبدالحليم حافظ الى بيت العالم الاجتماعى الكبير د . سيد عويس بناء على رغبة عبدالحليم . وكنت قد حددت له موعدا مع د . عويس . وعندما جلس عبدالحليم فى غرفة مكتبة العالم الاجتماعى الكبير . سأله بعذوية .. ممكن يادكتور أعرف أسباب الحزن فى الشخصية المصرية ؟ وشرح د . سيد عويس عناصر الشخصية المصرية وأسباب الحزن وتأصيله وتاريخه وتطرق الى الحزن النبيل الايجابى والحزن الهدام السلبى ووصل الى نقطة دور الفن فى تناول هذا الحزن بالكلمة والصورة وأهدى العالم الاجتماعى ، عبدالحليم حافظ واحدا من أهم كتبه اسمه «هتاف الصامتين» الذى يشرح بأسهاب قضية الحزن فى الشخصية المصرية .

وقرأ عبدالحليم حافظ الكتاب واستوعبه تماما ، وبعد شهر من قراءة أشعار نزار قبانى . اختار بنفسه قصيدة «قارئة الفئجان» .

ونجحت قارئة الفئجان نجاحاً ساحقاً لأنها ببساطة عزفت على أوتار «الحزن والموت والمجهول» وقال بعض النقاد ان حليم كان يرثى نفسه بهذه القصيدة ! الخلاصة أنى أريد أن أذكر لك كيف كان عبدالحليم يعتمد على العلم فى فنه ! كيف كان يريد أن يعيث بأوتار النفس البشرية ليصيب الهدف .. ويلقى الاستجابة . ولذلك كانت أغانيه مثلاً فى عصر عبدالناصر .. واجهة نظام .

وصمت محمد عبده ثم تنهد وقال : الله يرحمه عبدالحليم . قابلته ٣ مرات . اثنتان فى السعودية ، والثالثة فى مصر . كنت أشعر أنه يعشق فنه . كان فنه قبل المرأة والشهرة والمال . كان يبذل قصارى جهده فى اسعاد جمهوره . رأيت يتحدث مع أحد كبار الشعراء فى المملكة ليكتب قصيدة جديدة . وعرفت دأبه لاقتناع الشاعر السعودى . كان صوته الحنان كله . يقولون ان صوتى حنون ، ولكن صوت عبدالحليم كان نيع الحنان . ذات مرة ، ناقشنى عبدالحليم فى احدى الاغانى السعودية التى قدمتها . كان يريد أن يعرف « الطبقة » التى أغنى منها اللحن . وظل يحاول غناءها بكل إصرار . ولما عرف أنها من التراث الشعبى السعودى ، فرح وقال ، لابد أن يتخصص ملحن موهوب فى جمع هذا التراث ! وبعد شهور قليلة فوجئت بالفنان الكبير بليغ حمدى يطوف الجزيرة العربية والخليج ويجمع الألحان الشعبية وموسيقى التراث ، ولما قابلته ذكر لى أن عبدالحليم أبلغه بحلاوة التراث الشعبى السعودى . وطلب بليغ أن يسمع بعضاً منه . إن عبدالحليم حافظ ظاهرة حقاً . كانت أذناه تستقطب أى جمال ، ليفرزه صوتاً ويسعد جماهير الأمة العربية . وأنا واحد من هذه الجماهير .

أعجبني تواضع محمد عبده .. ابن جيزان البسيط الذي يعيش حياة هادئة في بيته .

قال لي : « لا أسهر خارج البيت إلا نادراً . معظم سهراتي في البيت . أنا وزوجتي أمام الفيديو .. نشاهد أفلاماً عاطفية وبوليسية . أنا تأسرنى الأفلام العاطفية وزوجتي تحب الأفلام البوليسية وترى في « الاثارة » ما يحرك الذهن ! وفي بعض الأحيان أمضى وقتاً في القراءة . وأحياناً أنسى الفن في السباحة . وأحب الشعور أتذوقه ولكنى لا أحفظه . ولعلك لا تعلم أنى كمطرب سعودي أغنى « الموال الفصيح » لأن المغنى السعودى لابد أن يدرب نفسه وامكاناته الصوتية على « المجسات » . كالمولف في تونس والموشحات في مصر . المجس باختصار هو لون قديم من الغناء السعودى . وأنا أحب أن أرى جمهوراً من الآباء والجدود ! إن كل مغنى سعودى قد تتلمذ على المجس . والسلفيون في المملكة يعشقون هذا الغناء . إنه صعب في أدائه ولذلك هو المدرسة الأولى في تدريب الصوت .

سألت محمد عبده : من صديقاتك من الآلات الموسيقية ؟

قال بسرعة : العود .

سألته : هل صوتك جميل كما تصفه الفتيات السعوديات ؟

قال بسرعة : إنه حماس إقليمي !

قلت : هل تعرف مقاس صوتك ؟

قال : صوت طلال المداح أجمل من صوتى !

قلت : من جمهور محمد عبده ؟

قال : كل من يمسه الصدق ، من الكبار أو الصغار !

قلت : لماذا تلحن أغانيك بنفسك ؟

قال : أحس بالكلمات إحساساً إيقاع ، فأترجمه إلى موسيقى .

قلت لمحمد عبده عندليب الأغنية السعودية : أريد أن أعرف عنى ذوقك الخاص . افتح لى قلبك . لا تحبس عنى أى معلومة ولو صغيرة . إن الانسان مجموعة أشياء وعادات صغيرة . إن زجاجة العطر في بيت الفنان من أشياء الصغرى تماماً مثل لون ربطة العنق . وقد قال مرة الناقد الفرنسى سادول « إن ذوق الفنان الخاص لا يتجزأ . إنه مساو في الأهمية للفيلم الذى يفضل ، والشاطيء الذى يختار . كل هذا يدخل في نسيج الشخصية » .

وتذكرت ماذا قالت لى مرة اينوك إيميه عن عطرها المفضل . وماذا سمعت من غريغورى بيك يوماً ما عن شغفه بالساعات القديمة .

سألت محمد عبده عن عطره المفضل . فأجاب بسرعة ! ظلت أردد إجابته وأضحك من قلبى وهو مصاب بالدهشة ! شعرت كأن عادل إمام قال نكتة ! لم يخجل عندليب الجزيرة العربية محمد عبده وهو يقول لى :

أنا لا أستخدم الروائح الباريسية والعطور الإيطالية الشهيرة والذائعة الصيت .

أنا أستخدم كولونيا الليمون ! وانفجرت ضاحكاً !

سألنى محمد عبده ببراعة : لماذا تضحك ؟

قلت : لأن اجابتك كانت مفاجأة بالنسبة لى .. اننى عادة أشم العطور الغالية  
تظل برأسها من بيت الشمشات البيضاء .

قال محمد عبده بسرعة : لهذا السبب بالذات ، أنا أكره هذه العطور وأشعر  
أنها « تغطى » روائح أخرى كريهة !

واستطرد ملأثر الملكة الحنون يقول : لقد فطمت على الأطايب كما قلت لك ،  
ولكننى لا أطيق أى رائحة قوية تعلن عن نفسى . إذا تجولت فى حديقة ما ،  
فسوف تبهرك روائح الطبيعة . زهر البرتقال ، زهر المشمش . ولهذا أفضل  
الليمون . أنها كروانيا عادية رخيصة ، ثمن الزجاجة بضعة ريالات .. لكننى  
استريح لها !! ثم أن هناك علاقة كيميائية بين العطور وجسم الإنسان . أنا  
أعتقد أن مطلب جسمى هو نوع من العطر غير نفاذ !

ان حياة التقشف ، والقسوة فى الطفولة جعلتنى لا أميل مطلقا للرفاهية  
المبالغ فيها . جعلتنى أميل للبساطة ، أنا لا أحب مثلا الذهب ولا استريح له  
وأشعر أنه استعراض لمدى ثراء الإنسان .

قلت له : يبنو أن الجمال عندك وظيفى . ما يخدمك ويحقق الهدف يصبح  
جميلا . جماله من أداله لوظيفته !

قال محمد عبده : لا خلاف !

جاءت . أثناء الحوار . ابنة محمد عبده الصغيرة «ود» ، شرد منى محمد عبده .  
قام يقبلها ويحتضنها وهى مبهورة مستسلمة لعدسات التصوير ، أخذ يتحدث  
معه وهى صامتة . حملها فوق كتفيه وأخذ يجرى بها فى غرفة الفندق . وكلما  
جرى بها ، ضحكت وامتلا وجهها سعادة ، فيشعر محمد عبده بسعادة أكثر ،  
قال لى وهو يغنى لها أغنية سعودية قديمة :

أعظم ما فى الحياة .. الأطفال !

عاد يغنى لابنته «ود» ، التى أبدت استحسانا لاسمها .. وقال محمد  
عبده : أجمل الأسماء هى الأسماء العربية ، ابنتى الكبرى نورا فى الرابعة من  
عمرها أما هذه « الشيطانة الصغيرة » فهى عامان فقط . وعندما يكون لك  
بنات . تصبح مسئوليتك كآب ، أكبر !

سألت محمد عبده : هل ترى الطفولة ، بنتا ؟

قال : نعم ، ولكننى أشتاق لصبى يحمل اسمى ..

قلت لمحمد عبده : هل تخصص وقتا للأسرة ؟

ضحك وقال : وقتى كله ، ملك للأسرة .. يتخلله مهامى التى أباشرها  
بنفسى .. ثقت تماما أن الرجل الذى يواجه مسئولياته بنفسه ينجح فى الحياة ،  
أما الذى يعتمد على أحد .. فلا أمل .. وأنا من النوع الذى أصبح مبكرا  
وأبشر على مبكرا ، حيث الذهن صاف والهموم غائبة نسبيا ، وحيث الأمل  
والشروق والصباح الجديد يعطى طعما للتفاؤل ، وحيث يصبح اليوم الجميل ذا  
بداية حلوة .. تنتشر طول الصباح حتى المساء .

عندما سألت محمد عبده عن أحلامه ليلاته .

قال : هذه إرادة الله .. فهو علام الغيب وأنا أتوكل دائما على الله ..

قلت : شكر معى بصوت عال ماذا تريد لهن من مستقبل !  
ضحك وقال : مستقبل سعيد بإذن الله .  
قلت : لو كان لابنتك «نورا» صوت جميل . هل تسمح لها بالفناء ؟  
وصاح محمد عبده : أبدا !  
سألته عن السبب .

فقال : لا أريد أن أكرر التجربة !  
قلت : هذه شهادة على الفن .  
قال بسرعة : باستطاعة الرجل أن يجابه الحياة ، ولكن المرأة ضعيفة  
أسلحهن بالعلم ، بالإيمان . بالتقوى وبالحياء .  
وقال محمد عبده : عندما أسافر خارج حدود المملكة .. أشعر أنى مسئول  
عن ٤ نساء . والدتى وزوجتى ونورا وود !  
أحس أنى سفيرهن فى دنيا المتاعب ولو أنى أصارحك القول أنى منذ أسست  
مشروعا تجاريا لنفسى فى السعودية أصبحت أغنى من منطلق مريح . ولكن  
هؤلاء النساء الأربع أظل قلقا عليهن لدرجة أنى عندما أصل إلى أى عاصمة ،  
أطلبهن تليفونيا هذا أن لم تكن زوجتى تصحبنى فى رحلاتى ، وغالبا ما يحدث  
ذلك .

سألت محمد عبده عن والدته ؟  
فقال : من والدتى تعلمت أشياء كثيرة . تعلمت التواضع والسماح وتعلمت  
كيف أحترم « المال » لأنه وسيلة حياة . وقد كانت والدتى تنصحنى دائما وأنا  
طفل أن اعتمد على نفسى وكانت تقول « بيدك شق طريقك » . وكانت عندما  
ترانى غاضبا من شىء تقول « الغضب ما يفيد الإنسان » كانت تطلب منى  
دائما أن أعبر الغضب ولذلك أصبحت حلما ولكن « اتق شر الحليم » فعلا !  
إن والدتى كانت يوما ما ضد الفن وكانت تقول إن « الفن معذب » لأنها تعتبر  
الفن فى بلادنا فى مراحله الأولى .. وعندما اشتهرت بصوتى .. كانت تحلم أن  
أكون موظفا يمر بالترقيات حتى يصبح « مديرا » . ولما قلت لها ذات مرة أن  
الفنان مهم جدا فى أى بلد . قالت : لكن الموظف أهم ! وحاولت أن أبين لها  
كيف أن فى أى بلد يوجد آلاف الموظفين وبعض الفنانين يعدون على الأصابع ،  
لكنها لم تصدق ولم تعترف بذلك ! ويبدو أن الصيغة التى وصلت لها أراحتها  
تماما . فانا صاحب مشروع تجارى ، وفى نفس الوقت ، أغنى وأشبع حبنى  
وعطشى الدائم للغناء .

سألت محمد عبده عن إحساسه بأداب الاستماع فى العالم العربى .  
فقال : عندى انطباعات لا أكثر !  
١ - جمهور العراق ، جمهور سميع ومتذوق .. وكان يغنى فى العراق يوما ما ،  
ناظم الغزالي قمة الغناء العراقى .  
٢ - جمهور تونس ، جمهور يحب الغناء ، وتستطيع أن تقول وأنت مستريح أنه  
تحت جلد كل تونسى ، شاعر أو مغن !  
٣ - جمهور المغرب ، جمهور فنان ، أحببت هناك صوتين .. صوت عبدالمهادى

بلخياط ، فهو صوت قوى ورائع ، وصوت عبدالوهاب الدوكالى فهو صوت « مغربى » يعبر عن التربة المغربية أكثر .

٤ - الجمهور اللبناني ، متذوق للحياة ، فكيف لا يتذوق الغناء .

٥ - جمهور مصر ، امتحان لآى مطرب يفكر فى الغناء !

قلت لمحمد عبده : هل رأتك واللتك تغنى على المسرح ؟  
قال : نعم .. ولكنها تتعذب !

سألته : كيف .

قال : إنها تعاملنى كمطرب وعندها حق . أنها ترانى محمد ابنها الذى تقلق عليه . إذا رأت بعض الشرود تصورت أنى متعب ، وإذا طلبت كوب ماء ، أحسست أنى سأسقط على المسرح ، إذا كنت أغنى أغنية جديدة تحتاج للاستماع الشديد ، فقلت من الأصوات المشوشة على صوتى ! إنها لا تستطيع أن تستمع لغنائى . ولهذا طلبت منها أن تسمعنى فى الإذاعة وترانى فى التلفزيون .

قلت لمحمد عبده : هل افتقدت والدك ؟

قال : أنا ما عرفته أصلاً ، حتى افتقده .. ولكن والدتى ، كانت الأب والأم فى آن واحد . « والله ما خلتنى والدتى أحس أن فيه شىء ينقصنى أبداً » .

قلت لمحمد عبده : هل جريت السينما ؟

قال : ليست فى تخطيط حياتى لثلاثة أسباب : أنا لا أحب الاستعراض واستثمار الشهرة ، والسبب الثانى أنى لست ممثلاً موهوباً ، والسينما بحاجة لممثل موهوب . والأمر الثالث ، أن موضوعات السينما لا تجذب فناناً مثلى لهذه المغامرة ! لقد عرض على بعض المنتجين موضوعات مكررة .. فاعتذرت تماماً !  
قلت لمحمد عبده : هل تسمح لى بأن أعترف على ذوقك بصورة أعمق .  
قال : أنا أتكلم معك على سجيى ..

قلت : هناك أصوات شابة ظهرت بعد عبدالحليم حافظ ولا أعرف كيف

تقدرها ؟!

قال : أحب صوتين : صوت محمد ثروت فى الشباب وصوت سوزان عطية . أما صوت ثروت فهو صوت كله شجن وإحساس ، ويصلح للأغاني الدينية والتواشيح وبإمكانه أن يغنى المجسات السعودية وينقصه الألحان التى تستنطق صوته . وصوت سوزان عطية صوت تربى فى مدرسة أم كلثوم وأشعر بنضجه وباعتزازه بنفسه إلى حد كبير . هذان الصوتان فيهما الخامة والإحساس . وأنا أعتبر المطرب خامة صوت وإحساساً وليس معنى هذا أنى ضد الأصوات الأخرى ، ولكن أنا أميل لهذين الصوتين على وجه الخصوص .  
قلت لمحمد عبده : ما أحلى أغانى عبدالحليم حافظ بالنسبة لك كمطرب .  
قال بسرعة : ظلموه !

سألته عن السبب ، فقال : لها ذكرى حلوة عندى . فضلاً عن أدائه الحنون ،

وموسيقى اللحن والكلمات .

قلت : ما أحب نجيمات السينما إليك ؟  
قال : فانت حمامة وسعاد حسنى ، وكلاهما من مدرسة السهل الممتنع في التمثيل . أنا من حزب فانت ، وزوجتى من حزب سعاد حسنى !  
السائلة : أين مكانك في الغناء السعودى ؟  
قال : بعد الأستاذ طلال المداح !  
قلت : أنت تتواضع !  
قال محمد عبده : أنا أقرر حقيقة .  
قلت لمحمد عبده : دعنى أقرب منك أكثر ، ليعرفك جمهورك أكثر .. هل تكتب خطابات خاصة للمعجبين ؟  
قال : عندما يهزنى خطاب بعد قراءته خصوصا الخطابات التى يسألنى أصحابها عن مشاكلهم الخاصة . اننى أشعر اننى أخ أكبر .. وليس فنانا مشهورا ، لمعلوماتك ، كل صورة أرسلها لمعجب أو معجبة ، أوقعها بنفسى .  
قلت : هل تحب الزهور ؟  
قال : أحب « الفل والياسمين المصرى » .  
قلت : هل تخاف من الظلام ؟  
قال : أخاف من حشرات لا أراها فى النور !  
قلت : ما أجمل عواصم العالم عندك ؟  
قال : جنيف فى سويسرا . أحب السلام الذى يرفرف بجناحه فوق المدينة . أضف إلى ذلك نظافتها . انها مريضة بالنظافة يا سيدى .. أضف إلى ذلك أدب أهلها الذى يضطهدك .  
قلت : قرأت مرة فى مجلة « سيدتى » حديثا لبها طاهر ينتقدك لا تذكر مراحلك الأولى بأسهاب وانك تقفز فوقها عبورا !  
قال بغضب : أنا لا أخفى شيئا فليس فى حياتى ما أخفيه . إنا ما قصرنا فى دراستى .. وحصلت على قسط من التعليم معقول . حصلت على دبلوم الصناعة من المعهد الصناعى الثانوى ( عام ٥٩ / ٦٠ عام دخول المعهد ، وعام ٦٣ هو عام تخرجى ) ، وأنا أعتبر هذه المرحلة هامة فى حياتى ، لأنها كانت مفترق طرق . هل أتجه لمواصلة رحلة التعليم أم أتجه للفن .. وعالمه فكيف أمر على هذه المرحلة مورا عابرا .. انها واحدة من محطات مشوارى !  
قلت ماذا يعجبك فى المرأة ؟ قال طباعها . قلت ثم ؟  
قال محمد عبده : أن تكون امرأة . أن تكون أنثى . أن تكون مثقفة .  
سألته : ماذا يلفت نظرك فيها ؟  
قال : الوجه البشوش .  
قلت : إن الموسيقار عبدالوهاب يحب « عينى » المرأة .. يقول انها « المدخل » لعالمها . عبدالحليم حافظ كان يحب القوام ، ويقول إنه « الاطار » ونزار قبانى يقول أن صوت المرأة عضو من أعضاء جسدها .. وأنت ؟  
قال طائر الملكة الحنون بخجل :  
لماذا تضعنى مع عمالقة ؟ أنا رجل بسيط ، أعتقد أن المرأة الوديعه هى

أجمل النساء . لأن الوداعة جمال معنوى باق ، أما جسد المرأة وتفصيله فهو بالنسبة لى قضية ثانوية ، صحيح أن « الجمال المادى » مهم ، ولكن ما رأيك بإمرأة جميلة روعة الجمال وطباعها سيئة باللغة السوء ١٩ ما رأيك بإمرأة تقاطيعها جميلة مذهلة ولكنها « مسترجلة » ؟ ما رأيك بإمرأة باهرة للرجال ولكنها دساسة وتوقع الآخرين فى حبالتها تغدر وتهجر ١٩ ما رأيك بإمرأة تهز أوصال رجل ، ولسانها يطلق الرصاص كل ثانية ١٩ أنا أحب المرأة الوديدة الطيبة المسالة .

وسأعطيك مثلاً عن طباع المرأة حسن تصرفها . من الممكن أن تكون أنت وزوجتك مثلاً ، أو أنا وزوجتى جالسين فى حفل عام ويحدث أن يتطوع أحد السفهاء لمعاكسة زوجتى أو زوجتك هنا موقفان : أحدهما أن تتصرف الزوجة بحكمة شديدة وتطلب منى همسا تغيير المقاعد والأماكن حتى تتفادى المشاكل . وموقف آخر أن تنور الزوجة وتقلب المائدة وبالطبع لابد أن تتصرف كرجل وتدخل معركة غير مضمونة النتائج ١٩ إن الطباع هنا تملئ على المرأة سلوكها ، ولذلك الوداعة أعظم من الجمال العضوى .. صدقنى : إن وداعة المرأة هى سر أصالتها أن تشعر أن المرأة كل ما فى الحياة تهتم بك كإنسان ليس كمشهور . وأنا أعلم جيداً أن الأيدى ، التى تحنو ، أعظم من الأيدى التى تصفق ! أيدى الزوجة الحنونة الباسمة البشوش . تساوى كل لآلى الدنيا ، نعم يا سيدى ، الزوجة الفاضلة ، لؤلؤة من قاع البحار لابد من الصياد الماهر الذى يذهب للأعماق ليحصل عليها ويحملها ويحفظها فى حدقات عينيه . قلت لمحمد عبده : هل فى بيتك أسطوانات أجنبية ؟ هل تحب الفن العالمى ، خوليو ، مثلاً ؟!

قال بسرعة عندى أسطوانات أجنبية ، ولكنى مغرم صباية بكل ما هو شرقى وعربى . وأنا لا أسمع خوليو .. ولست من جمهوره العريض ! قلت : قد تغضب معجباتك .

قال محمد عبده : هل الصديق يغضب ؟ هل أنا فقهن لأكسبهن ١٩ أنا أتمنى أن تقام « ندوة موسيقية عربية » هدفها البحث عن صيغة للموسيقى العربية تعيدنا للأصالة إننا ندور فى موسيقى ( البوب ميوزيك ) وتتوه منا الأصالة العربية . هل تعرف سر عبقرية السنباطى ١٩ أنه حافظ على ثوبه الموسيقى . حافظ على شرقيته طوال عمره الفنى . أخضع أم كلثوم لفنّه الاصيل . ولما طلبت أم كلثوم فى لحظة أن تجرب موسيقى الغير ، فقدت بعض الشيء من أصالتها وإن ظلت هى أم كلثوم العملاقة ، لماذا تحب عبدالوهاب القديم ؟ لأنه حافظ على ثوبه الشرقى وأمتعنا بأنغام عربية أصيلة . وإذا كان الموسيقىقار عبدالوهاب قد واكب العصر بموسيقى أخرى ، فهو عبدالوهاب الذى يهضم ، ويفرز !

أنت لم تسألنى عن « محمد القصبجى » إنه قمة هو الآخر . قلت لمحمد عبده : هل أنت « أكول » ؟

قال : إنك تتقاذفنى مثل كرة التنس بمضرب من أسنتك . لماذا تسألنى هذا



## السؤال ؟

قلت : ان لى اصدقاء يجنون المتعة فى الطعام وهم نحفاء مثلك !  
قال : الاكل عندى لا يمثل مشكلة . وأنا أتناول وجبتين فقط وغداى الوحيد . النوم وراحة البال ، أحب الطعام السعودى والعب رياضة كل صباح ، ولا أطيق الحياة فى لندن أكثر من أسبوع . وأحب نيل مصر ، وأسعد أوقلتى فى مركب شراعى ساعة العصرية . هأنذا أجيت بسرعة على أسئلتك السريعة المتلاحقة !

سألت محمد عبده : ما دور « الكورة » فى حياتك ؟  
قال : شأن أى شاي عربى يعشق كرة القدم . نجمى المفضل من مصر الخطيب ، ومن الملكة مجموعة على رأسهم أحمد الصغير ، نجم النادى الأهمى .

قلت لمحمد عبده : ما حجم الذكاء الاجتماعى فى حياتك ؟  
قال : لا يخدم اللقائن سوى موهبته وعطائه للفن ، الذكاء الاجتماعى عامل مساعد لا يتيقضى أن يتألف فى حجمه !

قلت : ماذا تكره فى رجل ما ؟  
قال الطيبة التى تتسم بالغفلة والقانون مثلا لا يحصى المغفل . والمرأة مثلا ، تنقر من الطيب للمغل !

قلت : هل تحتاج المرأة إلى رجل ليس طيبا ؟  
قال بسرعة : المرأة تكره الشرير ، ولكنها تنقر أيضا من المغفل ، المرأة تريد إنسانا مترننا يحميها بعقله اليقظ .

سألت محمد عبده : هل أنت من مواليد العنراء ؟  
قال : لا .. أنا من مواليد العقرب ؟

قلت : هل تؤمن بالأبراج ؟  
قال : لا ..

قلت : إن فائن حمامة تؤمن بشدة بتطابق الصفات من مواليد برج وآخر . فعندما تبدأ عملا ما ، مع مخرج أو ممثل لا تعرفه فإنها تسأله بذكاء عن «برجه» ثم تقرر ، هل تعمل معه أم لا .

رد محمد عبده على الملاحظة وقال : إنها قناعات ! واستطرد يقول : أنا مثلا أرى أبواب البخت فى الصحف ، من باب الفضول ولكنى لا أسمح لها بأن تؤثر على سلوكى !

قلت : ما هى العبارة التى تكتبها وأنت تهدى صورتك للمعجبين ؟

قال : أكتب « مع تمنياتى بالشباب الدائم » !

قلت : ما سر العبارة ؟

قال : السعادة هى الشباب .

قلت لمحمد عبده : كم وزنك ؟

قال : ٥٥ كيلو !

قلت : متى يزيد وزنك ؟  
قال : عندما أكون حزينا ! أضع همى فى الطعام !  
قلت : لاحظت أن قدامى الناس من السعوديين ، يفضلونك كصوت ، ما السر يا ترى ؟  
قال : لأننى أخاطبهم من خلال أنغام المجسات ، وأعيد إليهم ذكريات ..  
وهناك أمر آخر ، أنا أحب صحبة الكبار . لماذا ؟ ما أدرى . ربما أبحث فيهم عن .. أبى !! ملاحظة صغيرة أضيفها لك ، يقولون عنى « أنى تربية عجوز » .  
سألته : ماذا يقصدون ؟  
قال محمد عبده : انها تنطبق على حالتى . الذى يفقد والده ، ثم تربيته أمه أو جدته !  
سألت محمد عبده : مم تخاف ؟  
قال : من الله سبحانه وتعالى .  
قلت : مم تخاف من الطبيعة ؟  
قال : أخاف غدر البحر !  
قلت : هل تخاف غدر الأصدقاء ؟  
قال : أنا أنتقيهم حتى لا أواجه الغدر يوما !  
قلت : هل ثمة تشابه بين البحر والمرأة ؟  
قال محمد عبده : نعم ، كلاهما عميق .. ويمكن الإنسان يفرق فيه !  
قلت لطائر المملكة الحنون : يقول الكاتب الجزائري محمد ديب « لولا المرأة والبحر لنتنا من الجفاف .. »  
أعاد محمد عبده العبارة وقال : إنها دقيقة للغاية !  
قلت لمحمد عبده : إن الأبحار فى أعماقك يوشك أن ينتهى . لقد اقترب الشاطئ .. وتبقى بعض اللمسات !  
● أى الفصول تحب ؟  
- الشتاء ، لأنه فصل الحركة .  
● ما أجمل رقص فى العالم ؟  
- رقصة الفلامنكو الأسبانية . انها ثورة الأصابع والقدمين .  
● ما نظرتك للصوت ؟  
- واقع مر !  
● كيف ترى الميلاد ؟  
- بداية لخوض معركة .  
● كيف تحس بالشيخوخة ؟  
- خطوة تمهيدية لمقابلة الإله .  
● ما إحساسك بالخيانة ؟  
- نوع من شراسة الإنسان .  
● ماذا يصدمك فى امرأة ؟  
- جحودها .

● ماذا يصدك في ملحن؟

- عندما يشترط على الأجر!

● ما آخر كتاب قرأته؟

- اعلام الحجاز لمحمد علي المغربي .

● هل درست موسيقيا؟

- أنا تتقفت موسيقيا !

سألت طائر المملكة الحنون محمد عبده : ما أكثر شيء تمتلكه أو تقتنيه في بيتك؟

قال : أكثر ما أملكه هو الاستقرار والهدوء .

قلت له : ماذا أعطاك الفن؟

- قال : امتص عذابات الأيام الخوالي .. وأضاع طريقى ، وأعطاني الشهرة .. وبعض القلق !

سأله : كم في جيبك الآن؟ أدهشه السؤال :

وأجاب : أعتقد أنهم ثمانون جنيها مصريا . وبضعة دولارات !

سأله : ما نوع قلمك الحبر؟

قال : قلم جاف . رخيص جدا !

سأله هل ساعتك غالية الثمن؟

قال : غالية لأنها هدية من زوجتى !

سأله : إلى أين أنت ذاهب الآن والساعة تقترب من منتصف الليل؟

قال محمد عبده : عندي موعد مع مركب شراعى في النيل !

● ● ●

صمتنا !

قال محمد عبده : كأنى كنت في عيادة طبيب نفسانى ، أعترف وأعترف

ولا أملك سوى الاعتراف !

قلت لمحمد عبده : عندما أعرف مطربا ، معرفة جيدة .. أسمع به بأذن

أخرى . إن الخلفية الجديدة تشاركنى الاستماع !

قال طائر المملكة الحنون : كيف ستسمعنى ؟

قلت : سأسمعك بقلب شاب وعقل عجوز .

صرخ محمد عبده : أنت تصفنى بالضبط !!





# نضال الأشقر

« أنا حيوان مسرخی ! »

هؤلاء حاورهم مفید فوزی . ۲۲۲



لمحت دموعها من بين خصلات شعرها !  
كانت هذه أول مرة أراها ، وأذكر اني قلت لها فيما بعد « رأيتك في لحظة  
دراما » !

كنا في عمان ، العاصمة الأردنية - في فندق الأردن ، وكان الوقت منتصف  
الليل ، وكانت هي - الفنانة اللبنانية المرموقة نضال الأشقر ، هي الداعية لحفل  
عشاء تكريماً لفيروز التي جاءت تغني في مهرجان جرش . ووسط جو من  
المرح وعدد من الأصدقاء قليل ، قالت فيروز - فجأة - لنضال :  
- نضال ، ارجعي بيروت . ما باتصورك بعيدة عن بيروت ! ويبدو ان العبارة  
فتحت جرحاً في قلب نضال الأشقر فلاذت بالصمت وأغرورت عينها  
بالدموع !

عادت فيروز تقول : نضال . ارجعي بيروت . كوني معنا !  
وهنا سمعنا نحيب نضال الأشقر وقالت من بين الدموع :  
- نهاد ( اسم فيروز الحقيقي ) ما باقدر أشوف بيروت هيك .  
قالت فيروز : كل اللي يحبوا لبنان ما يبقارقوها !  
قالت نضال : أنا أموت حبا .. لكن ما بقدر أشوف تراب لبنان من الجماجم  
والجثث . هذا جنون . عاوزه مسرح . عاوزه فن !  
وغلبت الدموع على نضال الأشقر ، وسكتت فيروز واستطاع صديقي  
الصحفي الناقد سمير نصرى أن يحول دفة الحديث من « الدراما » الى المرح !  
ذلك كان أول لقاء بنضال الأشقر .  
ومرت الشهور والتقينا منذ أيام في .. عمان !

## حزمة أعصاب مشتعلة

أسخف المهام الصحفية هي الذهاب لشخصية ما لاجراء السين والجيم في الحال وكأنى اتخلص من « المهمة » لاتحرر من عبئها ! وأجمل المهام الصحفية هي « التوغل » في نفس وقلب وعقل انسان .. والعزف على أوتاره ، ومحاولة البحث عن مفاتيحه !

تذكرت . ونضال . تعد لى كوب شاي بنعناع ما قاله لى الفنان صلاح أبو هنود ، نقيب الفنانين الأردنيين . قال : نضال اسم على مسمى . فحياتها منذ كانت طفلة حتى وقتنا هذا نضال « نضال » وقال : يكفى ان تعلم انها بطلة مسرحيات كارت بلانش ، ومجدلون ، وشجرة الدر . انها فنانة تفرض عليك الاحترام .

تذكرت أيضا ما قاله لى الشاعر الأردنى حيدر محمود نضال الأشقر حزمة أعصاب مشتعلة دوما ، كالضوء . ونضال الى جانب اهتماماتها السياسية ، تحب الرسم وتتابع أى حركة فن تشكيلي وتحب الشعر وتهوى الموسيقى . نضال يا سيدى - باختصار - « حيوان مسرحى » كما تطلق هي على نفسها !

تذكرت أيضا عبارة موجزة للكاتب الأردنى الكبير محمود الشريف : نضال ، فنانة بارعة وتحيا حياة الفنانة الملتزمة ، لا انفصال بين الاثنين !





وجاءت نضال ، فقلت لها : لماذا كان المسرح السياسي هو اهتمامك وحبك و ..  
هواك ؟!

قالت وكأنها تستفز ذاكرتها . طفولتي تجيب على سؤالك . طفولتي رأت والدي يطارده البوليس . ورأت أمي تطرد ضابطا جاءنا بعد منتصف الليل وقالت له « أنت ما بتستحي » ؟ طفولتي رأت مطاردات غريبة لوالدي - وماكان بلبص - ولكنه كان صاحب آراء سياسية تغضب السلطات .

طفولتي رأت والدي يجيئنا هاربا ليرانا .. ثم قبيل الفجر يفر حتى لا يراه أحد من العيون المبيثة في كل مكان ترصد تحركاته . طفولتي عرفت ما معنى النضال في وقت مبكر . وعندما جئت الى الدنيا اختار لي والدي اسم : نضال !

□ كان أبي  
تطارده الشرطة  
وماكان لصا !

### في كتف جبل !

كنت احتفظ برقم هاتف نضال الأشقر . وذات مساء تحدثت معها ، فأرسلت لي سائق سيارة تاكسي لأن سائقها « في اجازة » . ويبدو ان السائق كان يتعرف مثلي على العنوان الذي يبعد ٢٠ كيلو عن عمان في منطقة مترامية اسمها « الهاشمية » ، اختارت نضال الحياة فيها بعيدا عن ضجة العاصمة . وقد قضيت داخل التاكسي ساعتين نبعث وسط جبال ووديان سحيقة عن « امرأة .. بلا عنوان » ! ونشط « خيالي » في تلك اللحظة وتصورت اني وقعت في فخ ، لولا اني أعرف طبيعة الشعب الأردني ، لذهب خيالي أبعد من هيك

فجأة ، لمحت ضوءا من بعيد ، وقلت للسائق : لابد أن يكون هذا بيت « أبو نعيم » وهذا اسم زوج نضال . ولكن كيف نصل اليه . ومرة أخرى ناضلنا حتى نصل . ووصلنا !

حين رأتني قالت « الحمد لله السلامة » وفهمت انها كانت تسأل الشرطة عنى الطريق من قلب عمان الى بيتها لا يستغرق أكثر من ربع ساعة على حد قولها ! وبدأت . بعد اللهاث الطويل . أتأمل المكان بعمق . فالهدوء يحيطنا من كل جانب وكأنه بحر . والفيلة الصغيرة ومعلقة في كتف جبل . والبيت حديقة تتخللها أثاث ، وليس العكس ! فكل ركن تعلن فيه « الخضرة » عن نفسها . وشعرت بأن هناك « حوارا موصولا » بين نضال وأشجار حديقته .

وصرخت نضال عندما واجهتها بتأملاتي « ما معقول هذا حقيقي ، كيف فهمت هالحوار » .

وقلت لها : ذات مرة كنت أحاور أستاذ نبات ، فقال لي ان للنبات لغة . وهو أحيانا يفضب وأحيانا ينتشى . وعندما تريد إيذاء النبات ، فهو يعرف وقد يحترق وكأنه ينتحر ! وجلست نضال أمامي في « بوز » مسرحي تستمع لمعلوماتي المتواضعة أثناء جلستنا كان هناك « كلب » يجثو تحت قدميها .

وقالت لي ان في البيت ثلاث قطط . وأرانب ودجاج وأردفت قائلة « الحيوانات تعطيني جو الريف . البداوة . البساطة . هل تعرف اني من برج الميزان . برج ألقناتين والمجانين . برج بريجيت باردو ؟ »

## مأتم في .. قلبي !

تقول لي نضال الأشقر .. ليس مصادفة ان اسمي نضال ، واسم أبى : اسد . لكن الثابت ان قصة الواقع عندى أكبر من القصص التي لعبتها على خشبة المسرح . يقولون ان الفنان يهرب من الواقع الى الخيال ، وأنا أعتقد انها - نظرية خاطئة . الفنان يفتش عن الواقع الحقيقى ، ويلتحف به ! وأقول لنضال .. أحيانا يفشل الانسان في حياته الخاصة .. فيفتش عن تعويض . عمل كبير . نشاط رياضى . اهتمام سياسى .

□ الفن - ايها السادة . احتراق !

قالت نضال : أبدا . حياتى هى « نمط » اسلوبى . كنت في المدرسة أخطب في زميلاتى . وفي الجامعة أعقد الندوات . الطفولة تفرض على الانسان « طعم ومذاق الحياة القادمة » . كنت أحب ان « أفتى » في موضوعات شتى . كنت أحب القضايا الصعبة . حتى في مراهقتى عندما أحببت لأول مرة ، جاءنى حبيبى مكسور اليد . لم يذهب لمستشفى . جاءنى والدم يتساقط من ذراعه . أعجبني هذا المشهد الدرامى . أعجبني لجوؤه الى ! كنت بسيطة وكنت أفهم الحياة جيدا . كان عندى مشاعر سامية تكسو مسامى ولهذا لم تكن مشاعر الحب العادية ترضينى ! لم أكن بريئة كل البراءة ولكنى كنت أعرف أين أقف في هذا البحر . وأعرف التيارات المؤذية ولا أذكر ان أحدا ، سبب لى أى أذى ! عندما كبرت ودرست التمثيل في لندن ، كنت مشهورة في لبنان ربما قبل أن أعود الى بيروت . بدأت في التلفزيون اللبناني مخرجة ، و« شقيت طريق طويل حفرته بأظافرى عشان أكون فنانة لها قيمة وأثر .. » وتستطرد نضال : أعطانى المسرح هويتى الحقيقية وفهمت ان المسرح حوار بين نص يحمل مضمونا ويجسده ممثلون وممثلات .. و« جمهور يتصف بالوعى ، مسام عقله مفتوحة للتلقى » . وتستطرد نضال - حزمة الأعصاب المشتعلة - « الفن ياعزيزى احتراق » ! ولا تتوقف - كالنزيف - عن الحديث ، فالوجة واحدة بينى وبينها . تقول نضال « قرأت مرة ناقدا كبيرا يقول انه يذهب للمسرح - أى مسرح - ليتسلى فقط ، فأقمت له ، لهذا الناقد مأتما في قلبي » !

## الخادمة .. ياقوت !

اسأل نضال الأشقر : « لماذا شخصية الخادمة ياقوت التصقت بك ؟ »  
تضحك نضال ضحكة عالية مجلجلة من القلب نصفها براءة أطفال ! لعبت هذه الشخصية في مسرحية ( المفتش العام ) .. أنا شخصية انسانية جبلية ساذجة . تعرف لماذا أحببتها لأنها أنا ! نعم ، أنا بنت جبلية قروية من قرية ديك المحدى . عندى بديهة انسان الجبل . وعندى الالتصاق بالحياة القديمة التقليدية مع نزعة الحداثة . هل تعرف ماذا يقول زوجى فؤاد نعيم عنى ؟ انه يقول ان نضال « تشبه جدتى ، وابنتى » . لست أدري ، كيف كانت هذه المعادلة . لكنها حقيقة .

وأقول لنضال « سرقت حرب لبنان منك المسرح » !!

قالت « حزمة الأعصاب المشتعلة » : سرقت الحرب كل شئ .. سرقت الحب ، والبساطة ، والمسرح ، والفرح . وتركت الحطام والعذاب . والحجارة واليتامى

والأرامل . تقويض انسان برصاصة في بيروت أصبح شيئاً عادياً يفعله العاطلون . ما عاد للرصاص قيمة . ولو أنا ذهبت الى بيروت ، يمكن أن أدفع حياتي ثمناً لشخص أبه يتسلى !! جئت الى الأردن واخترت بقعة بعيدة .. وكانت الأردن كريمة معي ، أكثر مما تخيلت . وأحببت البقاء هنا حتى تنتهي مسرحية الحرب التي تعرض منذ سنوات بفشل كبير !! منذ ٧ سنوات لم أقف على مسرح ، وطيلة هذه السنوات ، كنت أشعر بصداق مزمن غير عادي واحترار الأطباء في تشخيصه . أنا الوحيدة التي أعرف سر الصداق . انه البعد عن المسرح . ٧ سنوات لم أسمع تصنيفاً مدوياً له طعم خاص . ٧ سنوات لم أقرأ نصاً يقول شيئاً . في سنوات الحرب ، ما كان للكلمة دور يذكر . ما قيمة الكلمة وأحياء كاملة تهوى وتستوى بالأرض من قصف المدافع . ما صار للقصص الاذاعي - مهما تصاعد - قيمة . صارت لبنان هي ميلودراما العصر والأوان . وكنت أنا أفترج وأتعذب . أصرخ وأبكي . كنت مغمورة بالغموض ، وأتمنى لو كنت حشرة زاحفة وليس انساناً له عقل وقلب ولسان !

### لست جميلة !

سألت نضال عن « الضعف الانساني ، الحب .. والزواج » . قالت تصحح لي العبارة : الحب ليس ضعفاً . عندما تجد الانسان « المضبوط » الذي يعيد اليك توازنك مع نفسك ، تعطيه كيانك وحياتك دون تردد ! أنا لم أعرف نفسى إلا من خلال فؤاد . تاريخ قلبي بدأ من نظرة مركزة في عيني ، أثناء تصويري فيلم الأجنحة المتكسرة .. وظلت النظرة تختبئ تحت جلدي فاذا عاد نفس الشخص بعد ١٠ سنوات ، تلاقينا دون أن ينطق أحد بكلمة ! كنت دائماً انسانة غير تقليدية . وأنا تزوجت رجلاً ، هو حبيبي وصديقي وعشيقى . نحن اثنان يعيشان تحت سقف واحد .. بإرادتين اثنتين . وعقليين اثنين وقلبين اثنين . وذوقين اثنين ونمطين مختلفين من الحياة وهذا هو الذى يعطى لحياتنا الجمال والاستمرار كل مناله صداقات . وكل منا يقدم أصدقاءه للآخر .. باحترام متبادل ان حياة الفنان فيها بعض الجنون ، ان لم تكن كلها جنون وزوجى فؤاد ، يستوعب هذا الجنون و « لا يحرمنى إياه » ، وأعتز دائماً بأنوثتى كأمراة . انها ليست أنوثة الاستكانة ولكنها أنوثة امرأة ، تعرف انها بالتعبير عن ذاتها تقطع برارى العدوية والطفولة والبراءة ! أعرف انى لست جميلة ذلك الجمال الذى نراه فوق الكرسى ، ولكنى أملك أدوات ابهار آخر ، لا يحسه إلا القليلون ، مثلك مثلاً !

وقلت لها : ان جمالك من النوع الذى يعمر القلب . ان جمالك في شخصيتك ، حيث تستثمرين كل مفردات الحياة ، لكنى تكون عند أطراف أصابعك ولكن يظل عندى تساؤل هل نضال المناضلة ، مكانها بيروت أم عمان ؟

وتصرخ نضال : لو توقفت الحرب يوماً كاملاً ، لذهبت أمثل فوق الجدران المحطمة . لكن ما قيمة شجاعة مزيفة في ذهابى الى بيروت لأموت برصاص البلهاء ؟ ان صديقتى فيروز لم تقف على المسرح مرة واحدة خلال ٧ سنوات . وأنا أحياء للمسرح وبالمسرح . هل الشجاعة هي الموت كالدھماء ؟

□ لن أذهب الى  
بيروت لأموت  
برصاصة واحد  
يتسلى !

□ لبنان هي  
ميلودراما  
العصر والأوان !

## متربصة .. بالود !

تقول لى نضال الأشقر : تعجبنى الفنانة سناء جميل . أحس أن المفردات بينى وبينها واحدة . وقفت الى جوارها فى مسرحية مشتركة . شعرت ما معنى الالتزام فى الفن . ربما جمعنا سويا موجة « الالتزام » . فإني سناء جميل هى نجمة المسرح الأولى فى مصر . وأمانة رزق قابليتها فى تونس أنها الصديق ذاته . أنها أم المسرح . وسعاد حسنى أحلى الممثلات وأكثرهن تأثيرا فى جماهير السينما العربية . وفاتن حمامة ، زعيمة التمثيل فى العالم العربى ، لا أستطيع إضافة كلمة واحدة بعد هذا اللقب . وتحية كاريوكا المتوحشة الفريدة ، المصرية . ونيللى ، هذه الطاقة غير المحدودة من العطاء . وكرم مطاوع الرائع فنا وإنسانية . ودريد لحام فى سوريا ، غدة فن تسير على قدمين . ولكنى أهمس فى أذنه : « هناك فرق بين المسرح السياسى والمسرح المسيحى !!! » . وهناك على الصعيد الإنسانى الشاعر أنسى الحاج الذى كتب عنى مجموعة قصائد بعنوان « لن » . أنا وكل فنان لبنانى لا ننسى فضل أنسى الحاج علينا . ومحمد الماغوط ، قيمه . وصداقة وعالم أثرى . وغادة السمان ، قطعة منى ، أحيانا كثيرة ، أشعر أنى اشتاق فى الحديث الهاتفى معها . وليلى يعلى ، إذا رأيته تدمع عيوننا . وفاطمة السردوك ، أختى وصديقتى . أما فيروز ، فهى بالنسبة لى كوكب صغير لم يكتمل هذه هى بعلى ، بأصدقائى ، بأنماط بشر أحبها ، مقاتله متربصة ولكن مقاتلة بالحب ، متربصة بالود .

واسمعى لى ياسينتى المنسوجة من لحم ودم وفن وحب ونضال ، أن أضملك لقائمة أصدقائى وصديقاتى . هل تقبلين ؟

إذا وافقت ، هابرقى لى ، لأقدم أوراق اعتمادى !!

## □ هناك فرق

بين المسرح  
السياسى والمسرح  
المسيحى !

## □ أفيروز

كوكب صغير  
لم يكتمل !





# نحمتي الفضلة! أينوك إيميه

« .. سر اعجابي بها فيلم رجل وامرأة . كان قصيدة  
جميلة أبياتها منسوجة من أعصاب رجل وأحاسيس امرأة! »



في « الغابة ، الباريسي ، المترامي الأطراف ، يرقد فوق هضبة صغيرة بيت اينوك ايميه . فيلا من دورين . مزروعة بأجورات ان صح التعبير . والحواط كان لها أذرعاً .. تحتضن أى زائر لسيدة البيت . مادامت هى قد رحبت به ! الموسيقى تدغدغنى . والحة تغفل في مسامى بوصف ان حاستى للشم هى أبلغ حواسى وأكثرها سلطانا على ! الزهور متناثرة بعناية « يابانية » . السقف ، كأنه سماء مرصعة بنجوم . واللون الغالب على الأثاث البسيط ، هو الأبيض .. والروز .

وسمعتها تقول وهى تقرأ اعجابى بفوتيل مريح « ان كل قطعة اثاث هنا ، تعانقنى في صمت . فان لى معها تاريخاً ..

تماماً ، مثلما تخيلتها ، رقة مذابة . اصفاؤها .. قبال صامتة ، ويجعلك اذا كنت محدثها تحكى وتستطرد وتتجول في رياض عمرك وتصحبك في برارى صباك ، ولا تخجل حتى من رواية نزوات مراهقتك ! تماماً . مثلما أراها في أفلامها . « رجل وامرأة » .. « الموعد » . حنان . علوية . نضج . دعوة . فهم . تأمل . حزن ، ذكاء . وعى . تجربة .

قالت لى .. « طفولتى كانت عادية . كنت دمية . كان الأطفال يسموننى « الحلوة » . كنت سميئة بعض الشيء . أضربت عن التهام الشكولاته فلم أتمتع بشيء من الوسامة . وحين أحببت في السابعة عشرة ، تفتحت مسامى . وكأن ماردا انطلق داخل . هل الحب يؤدى وظيفة « جراح التجميل » . دون أن ندري ؟ ربما ! وديعة وهى تحكى . بساطتها ، هى مفتاح شخصيتها ، لها ضعف جذاب .. هو اطار أنوثتها .. كامرأة . ان اينوك ايميه - وهذا انطباع رجل - خلقت لتستقر بين ذراعى رجل عاشق !

ابتسامه اينوك ايميه ، لاكون منصفاً ، تعتذر ألف مرة عن أى خطأ وارد في بقية جسمها المتلى . ولكنها تعرف كيف تغطى هذا العيب .

وحين قلت لها : أن فيلكم « رجل وامرأة » رأيت عشرات المرات واحتفظ به على الفيديو كاسيت ، خجلت من الملاحظة ، كمروس تصافح أذنها كلمات غزل لأول مرة .. وأشعلت سيجارة .. وقالت لى - كلنا يأكل وينام - ولكن أغلى المسرات في الحياة . قلب يخفق مع قلبك وذراعاً امرأة وأنت كفارس عائد من معركة .

أغلى المسرات - صدقنى - ان تحب بغير حذر . بغير حسابات . بغير تفكير بالثمن . ان الدورة القصيرة للعمر ، مهما يكن عدد سنوات العمر ، فهى مثل سنبله القمح ، ملأى بالحبوب الناضجة انحن حين نحب ، تتعانق دوراتنا الدموية مع من نحب ، وتتصافح أجهزتنا العصبية ، لولا الحب في حياة الانسان - صدقنى - ما اكتشفنا ما حولنا . ألوان الزهرة . ضوء الشمس . غضب الريح . مجرى النهر . عبق الزهر . لولا الحب - صدقنى - لمتنا من الجفاف !

صدقنى . صدقنى !

كلمة ترددها . بكل العلوية . اينوك ايميه . وهى لا تدري ، اننى أصدقها سلفاً . أصدقها لو كتبت . ان للكذب - بين شفتيها - طعم الصدق .

نجمتى المفضلة تعدد أفلامها ، كما تسمح ذاكرتها : منزل على البحر . زهور العمر . العشاق . اللقاء السيئ . اثنان في استطاعتها قتل . الاتاء الذى يغلى .

لو كنت هناك ، لحظة أن كانت المدينة تستحم في بحر من الأضواء . لحظة أن أصبح خصرها مهرجانا للزنايق ، وصدرها حلبة للمبارزة .

لو كنت في مدينة « كان » الفرنسية ورأيت نجمتى المفضلة « اينوك ايميه » تصعد المنصة وتتسلم جائزة « النخلة الذهبية » بين تصفيق الأكف وهدير عدسات المصورين ومحاصرة ميكروفونات الاذاعة .. لاخترقت الحصار . وأشبعتهما ثما !! فإذا فشلت أرسلت لها باقة ورد وبضع كلمات .. « من معجب زارك مرة في الشتاء الماضى ومنحه لقاءك دفنا . من معجب اكتشف أن المحكمين في مهرجان كان السينمائى بعافية ، حين منحوك جائزة التمثيل الأولى . فهم - والحق يقال - استردوا الذوق السليم بعد وعكة طارئة ! » .

قابلت مرة « جورجينا رزق » ملكة جمال العالم ، فعرفت معنى « الأمية » في الجمال . ان مقاييس جسمها محسوبة . ولكنها - مطروحة - من الجمال الباقي . الذى بنظرة واحدة يختصر مئات العبارات والكلمات . انه الجمال البليغ الذى لا يعرف الثثرة !

واينوك ايميه من ذلك النوع الذى يثير فيك الحنين ، لتستعيد أشياء من عالمك الخاص . الرفاق . المعارف . البيت . الأطفال . اينوك ايميه يذكرنى وجهها دائما بالآلفة والمعبة والبهجة التى لا تذهب . ووجوه ممثلات أخريات يذكرننى باعلانات معجون الأسنان !

في باريس ، والأمطار تغسل كل شيء . الشوارع والقباب وهامات البيوت والشمس مختلفة متوارية .. سطعت في رأسى فكرة ! لماذا لا أنور « اينوك ايميه » ؟!

ومثل معجب من سوهاج بسعاد حسنى ، عرضت الفكرة على صديقى « عمر الشريف » الذى ظن اننى أمزح ! فلما أحس - من لهجتى - بجدية ما أقول ، امتثل للأمر ، وأدار قرص التليفون . وجاءت اينوك ايميه على الخط . ولخص عمر الشريف رسالتى بأمانة . فرحبت هى بالفكرة وقالت انها اعتادت أن تدخل محارة الوحدة أيام الأحاد ، ولكنها ستكسر القاعدة وتستقبلنى .. لظروف سفرى . باختصار : فرحت ..



الرحلة ، الرأس في مواجهة الحائط . الحياة اللذيذة . الطريق الكبير . رجل وامرأة . ليلة في قطار . الموعد . محل الموديل . حبى الاول .

قلت لاينوك ايميه : اذهلتنى قصة « حبى الاول » . كيف تنمو علاقة بين أم .. وابنها ؟ انه شىء مقزز !

لم تغضب ، ولم تثر . بل قالت في صوت خفيض ( أحب المرأة التى صوتها لا يسمعه سوى رجل واحد ) .

الفيلم صدمة لك ، وصدمة لى ، ولكن العزف على أوتار النفس مهنتى . هذا قد يحدث ، فالقيم اختل توازنها . والأمور نسبية . ومنسوبة للظروف والملابسات ! أنا اعتبر الشخصية معطفا ارتديه . واعتبر الفن هو الحب الباقي الخالد . أنا انسانة مزاجية بالنسبة للشخصيات التى أمثلها . أنا « اتوحد » مع الشخصية ولا أفقد الوعى .

ان قلبى ينبض حين أحب . أعيش دقائق القلب وارتعاشات الشفاه . وأنا أبكى حقا ، حين أعيش الفراق . أن مصدر الاحساس هو الفهم . وليس فى الفن ايدولوجيات . ان ليلوش لم يقدم قصصا مرموقة لروائيين مرموقين . انما صارت فيما بعد مرموقة حين هزت العالم بصدقها . ان ليلوش « يللم » التفاصيل الصغيرة . ويصنع منها نهرا من الصدق الذى يوسع !

قالت نجمتى المفضلة .

امراة بطيئة . آتنفس ببطء . وامضغ ببطء . وأتحدث ببطء ، وأفكر ببطء . لكننى لست بليدة . ان البطء عندى هو معيار للجدية والمتعة .. وفهم جوهر هذه الحياة ١ - وأنا صدقنى - لا أعرف ما هو أجمل أفلامى . لكننى أعرف أحل لقطاتى . هناك لقطات تبدو من فرط حلاوتها .. وكأنها عمل جنسى متكامل وبديع .. الحب والجنس . وجهان لعملة واحدة اسمها الصداقة وأرجو ألا يضايق القراء فى بلدك رأى سيدة فرنسية مثلى !

حماس اينوك ايميه ، حين يغلبها الحماس . لا تتفعل . ولا تهز قدميها من العصبية . ولا تأكل أظافرها .. ولكنها تركز نظرتها فى عينى من تحدته كأنما تكسب ، جولة المناقشة ، باقناع أنثوى لا يقاوم . عينيها !! حين قلت وسط حماسها ، هل أنت جسر ، لفكر مؤلف .

ذابت الابتسامة وتوارت وقالت « أنا لست جسرا » أنا نهر لى منبع ولى مصب أنبع من ذاتى وأصب فى الانسانية ؟؟

سألتنى اينوك ايميه عن الفن فى بلادى . فقلت ان « الممثل » هو أكثر أدواته تقدما ! اعترضت بشدة على كلمة « أدوات » . وقالت الفنان ليس آلة . atool . وإلا ما معنى الابداع ! انك تجرد الفنان من عقله واحساسه عندما تصفه بالآداة .

وسألتها عن نجوم العصر !

١ - جريجورى بيك .

قالت : « نضج فى أوانه تماما » .

٢. عمر الشريف .

قالت : « طفل تائه . ان عثرت عليه . أبلغنى » .

٣. صوفيا لورين .

قالت : « مهرجان دائم .. » .

٤. جينا لولو .

قالت : « مصورة سابقا . وحاليا » .

٥. انطونى كوين .

قالت : « عمدة السينما . أينما كان » .

٦. كلود ليلوش .

قالت : « مسكون بجان اسمها السينما » .

شئ ما فى .. اينوك ايميه ، يذكرنى .. بغيروزا !

ما هو ؟ لست أدرى !

خاطر سريع مر بى . على طريقة كلود ليلوش .

جاءت سيرة السياسة . فقالت اينوك ايميه كلاما شديد الاختصار . قالت لولا الحكام والزعماء والمعلمون الخالدون ، لفقدت الخصومات بين الشعوب ، أعظم أسبابها !

مرت لحظات صمت . كان لها سحر خاص . فقد أعطتنى اينوك ايميه فرصة لأرى بعضا من ذوقها . كامرأة داخل عشها . هى حريصة على أن تطلق عليه ذلك اللقب .

لون ستائر نوافذها . يعطينى احساسا ، بالأفق الممتد ! كراسى البيت ، رأيت مثلها . يتناثر فوق أرصفة البحر فى أثينا . جرس الباب ، يذق دقائق استئذان ! رنين التليفون . موسيقى ناعمة !

التليفون صغير جدا . فى حجم الكف ، ولونه أبيض .. دببه وأسود ونمور محنطة ، تقبع فى أركان الصالون الفسيح . نافورة صغيرة . غرغرتها تعيد الى ذكرى وجع حب أسباني . على الحائط ، لوحات بعضها لبيكاسو . والأخرى لا أعرف لمن .. ولكن اللوحات تبني نوافذ على دنيا بعيدة . قرية !

لها . لاينوك ايميه ، صورة ملونة ، وهى تبكى . دموع فرح . والناس تصفق لها بعد عرض أحد أفلامها : اللقاء السيئ . وأسألها ، ماذا كان موضوعه . فتقول « الغربة الشديدة بين اثنين متجاورين . ربما زميلين ، ربما صديقين ، ربما زوجين » !

لاحظت أن اينوك ايميه لا تلبس « حلقان » . ولا غوايش . ولا أى سلاسل لماذا ؟ هى تقول « لا أسمح لشيء يقييدنى مطلقا سوى بعض أفكارى المترسبة منذ صباى .. وأحاول التخلص منها » !

وبينما التهمت أنا فنجان الشاي فى أقل من ثلاث دقائق . وهذه إحدى عاداتى السخيفة ، ظل فنجان الشاي ، بجوارها .. ممتلئا فترة طويلة .. ترشف منه على ببطء .

فستان اينوك ايميه ليس فيه شيء يلمع أو يسطع أو يبهر سوى صاحبته .

قطعت الصمت بسؤال عن حياتها الشخصية !  
قالت بعدوية أسرة وقاطعة في وقت واحد .. « لانتك تقابل اينوك ايميه ، الفنانة »  
اعطيك بلا بخل اينوك ايميه . ولكنك لو كنت تقابل « فريدا او سلو ايميه » لكان  
ذلك امرا آخر !

ابتلعت سؤالي .. أو أعدته . ان شتمت الدقة . الى مرقدته ! وأخذت تتكلم بكاء عن  
موضوع فيلم جديد ، تقرأه .

تقول نجمتي : الفضيلة والرزيلة ، هما تعبير الناس عن ظروفهم الخاصة .  
والظروف التي تفسر الاخلاق هي في طبيعتها كسائر الظروف التي تحكم كل أعمال  
الحياة . صدقني !

قلت لاينوك ايميه : ما نوع قراءاتك ؟

قالت : لست مشتغلة بالفلسفة على أية حال . ولكنني أحاول أن استخدم هذا  
« الموتور » . وأشارت الى رأسها !

قلت لها : هل تكتيبين أحيانا ؟

قالت : أحيانا .. ولكن المهم . ماذا أكتب . اسمع ، آخر ما قلت .. ان هذه  
الدنيا تحتاج الى أنبياء يعلمونها فن العصيان والكبرياء والتحدى ..

سألتها بفضول تقليدي : ما ظروف هذه العبارة ؟

قالت : حين يقبل الفتى حبيبته في لحظة ما ، لا تسأله . لماذا اخترت هذه اللحظة  
لتقبلني . انها لحظة . ومضة . فكرة . هذا « الموتور » مرهق لصاحبه أحيانا .  
وأشارت اينوك ايميه الى رأسها !

مرة أخرى ، ابتلعت سؤالي .. وأحسست بالخجل .. ويبدو انها قرأت في عيني  
ذلك . فأرادت ان تبدد هذا الاحساس .. فسألتني عن سر اعجابي بفيلمها « رجل  
وامرأة » .

فقلت : يبدو كقصيدة جميلة .. أبياتها منسوجة من أعصاب رجل ، وأحاسيس  
امرأة .

قالت اينوك ايميه : حكاية كلود رجل وامرأة .. هي « العلاقة الانسانية »  
العميقة التي تصنعها ظروف اثنين .. لهما نفس المفردات ، ويتحدثان بلغة  
واحدة .. وربما يتنفسان .. على موجة واحدة !

كانت الريح ، تصفر خلف النوافذ .

وكانت اينوك ايميه . تعطي المكان دلنا خاصا وهي تعرف على طريقتهما الانسان .  
« الانسان أفكار ومشاعر ورغبات وقدرة .. » .

صمتت وأخذت نفسا من سيجارة فرنسية وقالت : هل توافقني ؟ أومات  
برأسي .

استطردت تقول اينوك ايميه : من هذه العناصر الأربعة ، يتألف ما نسميه  
سلوكا محترما أو فضائل أخلاقية . صدقني ان أى شيء أخلاقي ليس فيه مساحة  
للعلل ، هو شيء غير أخلاقي بالمرّة ! اليس العقل هو الذي يصنع الجهاز العلمي  
ويحل المسألة الرياضية ؟

صدقنى . ان تكون عبقرىا أو انسانا عاديا .. ذلك كله علاقة كيميائية مع ظروفك ومجتمعك . وقدرتك على تشغيل هذا « الموتور » العقل وليس هناك أسباب سمردية غامضة .. أخرى !

الحوار معها . مع اينوك ايميه . مهما طال . فهو قصير !  
حاولت أن أعرف عمر نجمتى المفضلة . طرحت عليها خمسة أسئلة . الهدف منها الوصول لمعلومة .

قالت فى ايجاز بليغ بليغ : العمر هو نظرتى للحياة . مقدار تفاؤلى . حجم تشاؤمى . قدرتى على تحقيق أحلامى !

وطلبت فنجانا آخر من الشاى ، ربما لأطيل الجلسة بعبث طفولى وجاءت مديرة البيت . امرأة من ساحل العاج ، متوسطة العمر .. وضعت الأبريق أمامى . بأسلوب بنات الجيشا اليابانيات . الصمت . والاحترام . والالفضول !

قالت لى اينوك ايميه:عرفتها فى أحد مواقع التصوير بأفريقيا ، وتصادقنا . كنت فى ظروف نفسية تشابهت مع ظروفها ، فاقتربنا . هى لا تخدمنى ، بالمعنى الحرقى . ولكننا نعيش صداقة هادئة !

حاولت أن أشرب الشاى ببطء . ففشلنا .

قالت اينوك ايميه وهى تضحك وترفع خصلات شعرها .. يجب أن يكون الانسان نفسه . ان سحر أى رجل ان يكون نفسه . وسرفتنه أية امرأة . ان تكون نفسها ، ولا تستعير تجارب أخريات .

أعجبنى الكلام .. فرشفت الشاى الساخن فى رشفة واحدة !!

لو كنت هناك فى المدينة السابحة فى النور التى أصبح خصرها مهرجانا للزنايق وصدرها حلبة للمبارزة .. ورأيت نجمتى المفضلة اينوك ايميه .. تتسلم جانزتها الأولى النخلة الذهبية . لاخرقت الحصار واشبعته .. لثما !

\*\*\*



# مقبولة الحب ! كلوديا كاردينالي

« .. بت يومًا مذكراتي لمجلة فرنسية مقابل خمسة  
آلاف استرليني لأنفق على نفسي وأعيش بكبرياء! »



أستاذكم في أن أبدأ حوارى مع « أجمل اختراع إيطالى » بعد المكرونة  
الاسباجتى بسؤال كان من المفروض في لغة الحوار أن يتسلل ليكون السؤال  
الأخير !  
أما لماذا كسرت القاعدة وقفزت إلى « النهاية » وأنا أشرع في البداية ، فذلك  
لأن اجابة السؤال كانت بمثابة قراءة لكف كلوديا كاردينالى أو « الزهرة  
الحنون » كما يلقبها نقاد إيطاليا ! وربما دفعنى إلى « مبالغتها » بالسؤال قبل  
الآوان أن « كلوديا » كما يناديها الايطاليون ، محددة كرمج رومانى .. صريحة  
كشمس افريقية !

سألت كلوديا كاردينالي : لمن أنت مدينة باستمرارية الشهرة والسحر الخاص . رغم زحف السنين !؟

قالت « أجمل ابتسامة » بعد تفكير عميق وهي تدخن بشراهة جميلة ...  
« أنا مدينة للحظ ، للصدفة ، للشمس . لمورافيا . لأكثر من صدمة عاطفية . لتقلبات القلب . لنزوة عقل . لجمهور أحبني . لناقذ ما كرهني . لرجل يوما ما - خدعني . لفيلم لي فشل . وقيل كل هذا مدينة للحماس . انه طاقة معنوية لها فعل السحر لولا حماسنا لهزمنا الزمن ، وصرعتنا الصدمات وذبحنا الفشل وقتلنا اليأس ، إن أحلى العطور وأجمل مساحيق التجميل في العالم لا تضيف شيئا ما لامرأة ، رحل عنها اليأس . إذ بالحماس يتلاشى من أمامنا قبيح العالم وضراوة بعض البشر . ان من لم يشم زهرة ، ومن لم يتأمل نجمة ومن لم يعرف قلق انتظار حبيب .. ليس انسانا . اننا في حوار دائم مع الزمن ، وبالحماس نكتشف المجهول ولا نفقد الشهية للمعرفة ! »

روما ، صباح يوم أحد ...

أجراس الكاتدرائيات القديمة تجلجل في هيبه . الشمس اعتذرت عن موعدها . أمطار حنونة تغسل الشوارع والتماثيل والذكريات الرديئة من رأسى !  
إحساس بالشجن يغلفنى « وبى حنين ما يعرف لمين » كما تغنى فيروز !! وحملنا جمال كامل وأنا . تاكسى إلى « فيافنتو » شريان روما النابض بالحياة ليل نهار . السائق ثرثار ، يعرف اننا لا نفهم ايطاليته ومع ذلك لا يكف عن الكلام والتلويح بيديه . أنا أبتسم مجاملة له وجمال كامل مشغول بلوحة أخرى يراها من خلف زجاج التاكسى : « البشر والمطر » ! توقف التاكسى أمام سينما فمينيا ، حيث دعتنى « الاختراع الايطالى الجميل » كلوديا كاردينالي لمشاهدة العرض الخاص لفيلم المانى من اخراج المخرج الألمانى « هيرزوج » وستأتى هى في نهاية الفيلم تتواجه النقاد . أطفئت أنوار الصالة ، وبدأ عرض الفيلم .. الذى حالت « لغته الألمانية » بيننا وبين الالتحام به .. لكن « الصورة المعبرة » على حد قول جمال كامل كانت كافية لتفهم المضمون الذى يطرحه المخرج !

أحداث الفيلم تجرى في بيرو ، بأمريكا اللاتينية . مدينة الغابات الطبيعية لشجر المطاط .. وفي ضواحي مدينة « اكويتيوس » حيث اختارتها عدسات المخرج ، قوارب قديمة يلعب حولها الأطفال العراة والخنازير . ويعيش وسط المدينة طبقة الاثرياء وهم ملوك المطاط والبارونات ، وفي هذا المجتمع المتناقض يعيش بطل الفيلم « فيتنجيرالد » ويحلم بالثقافة الغربية . إن رغبة بطل الفيلم العارمة والمالحة تكمن في تحقيق حلمه بالجمع بين مغنى الاوبرا العظيم « انريكو كاروزو » ومغنية الاوبرا المشهورة « سارا برنارد » في غابة الامازون لإحياء ذكرى فيردى !! ومن أجل تحقيق هذا الحلم الرائع فقد قرر « فيتنجيرالد » استغلال مساحة شاسعة من الأراضي المليئة بأشجار المطاط التى تقع وراء مساقط مياه « أوكايالى » التى لا يمكن تخطيها ، ولكى يتجنب عائق مساقط المياه ، يسلك بقلبه طريقا جبليا مستخدما دفع السفينة بواسطة بعض رجال القبائل على جذوع الشجر ، ويصل في



النهاية إلى .. حلمه بفضل قبيلة الهندوس التي بهرها صوت أكبر مغنى في ذلك العصر .. ونجح فيتزجيرالد في تحقيق المستحيل !  
وانتهى الفيلم ! وأضيئت أنوار الصالة ودخلت « الزهرة الحنون » والمخرج الألماني هيرزوج . وبدأت المناقشات التي أغفلتها ، لأن كلوديا خطفت اهتمامى . وبدأ جمال كامل « يحبسها » في فرخ من ورق أبيض !  
كلوديا ، غجرية إيطالية ناعمة ...

بشرتها البرونزية ، هدية شمس تونس لها ، عيناها تلمعان . تتكلمان . تحكيان عن فرخ عاشته ، وأمل تحلم به ، وذكرى خاصة زارتها فجأة . ثم تسكتان ! تسكت شفتاهما : تختصران نصف ابتسامات نساء الأرض ! قال عنهما مورافيا بالناسبة « لشفيتك لغة خاصة » من يعرف مفرداتها يصل إلى الكنز المخبوء ! كلوديا ، تصفى بكل جوارحها .

تجعلك تدمن الكلام ، لتحظى بهذا النوع من الاصغاء !  
كلوديا ، بسيطة . أنيقة ، سخية . دافئة ! ضحكتها ، ضحكة طفل انتقل فجأة إلى مرحلة الصبا والبلوغ ! صوتها أجش ، فيه بحة هي مزيج من الرفض والقبول ، والحجل والنداء !

كنت مازلت أركز « عدساتى » على كلوديا وهي تدخن ، وكأنها تمارس متعة تدارى بها « خوفها » من العيون النافذة والألسنة المتسائلة ! هذا هو فيلم كلوديا رقم ٦٠ ، ومع ذلك كانت تحاول اخفاء عصبيتها . النقاد في إيطاليا لا يعرفون ألف باء المجاملة . فسوتهم في التقذ كالمطارق الثقيلة تهوى فوق الرؤوس بلا رحمة !  
جاءنى خاطر مفاجيء فيه رائحة التعصب لكونى عربيا .. ان كلوديا تونسية المولدة فيها مسحة عربية . هي في النهاية ابنة الريح والتراب والبصيف العربى الحار . ابنة همهمات الغرباء في الدروب . وحفيف الأشجار في الخريف وطنين النحل حول الأزهار . لابد أن عينيها تعى تونس . لابد أن مشاهد تونسية تسكن وجدانها . البيوت البيض ذات الأبواب والشبابيك الزرق . النخيل المتهادى في كبرياء . الأزقة ، حيث الرجال يسرعون في عباءاتهم البيضاء . موسيقى العود . خادم القهوة المرة . الفنانين المحلاة بالصدف . الدهاليز والأروقة . وفي هئاء البيت التونسى نافورة تفرغر في صمت وتغان !

يا ترى هل نسيت كلوديا كاردينالى مسقط رأسها ؟

أبدالم أنس شيئا من تلك التفاصيل الصغيرة . أذكر تونس ، رمالها . كثبانها . أشجارها . عصافيرها ، وحببات التين التي كنت أقطعها من فروع الشجر . وذلك السمك الصغير الذى كنا نصطاده ونشويه ونأكله ! تركت تونس وعمرى سبعة عشر عاما . فتاة حلوة .. كان لى ردفان كبيران ، وصدر كبير أخفيه دائما بحقيبة كتبى ! كانت بنات الحى يغرن منى ويقتلن أنى « ساحرة » اجتذب الأولاد الصبيان بعيونى ! أول حب مراهم فى حياتى كان فى السادسة عشرة . ظلمت أحب ابن ناظر المحطة فى تونس حبا صامتا .. وليلة أن بحث له بهواى المكتوم قبلنى ، وسافر فى اليوم التالى إلى أوروبا وانقطعت عنى أخباره ! والذى كان « محالجي » المحطة .

وأنا أكره صفارات القطارات لأنها دائما تذكرنى بالعويل وبالرحيل المفاجيء !  
أذناى كبيرتان كما تلاحظ ، كان الصبيان فى تونس يقولون أن « كلو » وهذا اسمى  
الحقيقى قبل الشهرة . تضع « مراوح » فى رأسها اكان مقدرالى أن أكون مدرسة  
أطفال فى تونس لولا الصدفة التى لعبت دورا فى حياتى . مسابقة ملكات الجمال ،  
دفعونى إليها دفعا . توجونى « أجمل ايطالية فى تونس » . الجائزة تذكرة سفر  
بالباتنة إلى فينسيا . هناك كان « مهرجان سينما » . اختارتنى عيون خبيرة .  
رشحنى عمر الشريف للعمل معه . سارت العجلة . جئت إلى إيطاليا . سعت إلى  
الشهرة . لكنى رفضت أن أكون شيئا آخر . أحيانا عندما أرى صورى منشورة فى  
الصحف أو المجلات ، أنظر إليها وكأنها تخص أحدا غيرى !!

عندما تتكلم كلوديا ، يتكلم كل عضو فى جسمها الذى أزالته . يمضى الأيام . كل  
شعومه الزائدة . سألت كلوديا ، وكنا لا نزال فى « سينما فمينيا » ، وقد انفضى المؤتمر  
الصحفى بعد ساعة زمن : ماذا يقصد المخرج الألمانى هيرزوج بالسفينة التى أخذت  
مساحة من اهتمامه أكبر من دورك فى الفيلم ؟ قالت كلوديا بجديّة شديدة ( لم تعب  
ابتسامتها ) :

أولا ، أحب أن تذكر قراءك باسم هيرزوج ؛ لأنه أهم مخرج فى العالم الآن  
ولا يقل شهرة عن المخرج اليابانى كرساوا . وكلاهما يشترك فى « نظرة » واحدة  
للحياة ، ووجهة نظر واحدة فى الفن . إنهما يعتقدان أن الحياة أصبحت مريرة ،  
وتعاش بقوة الدفع . ومن هنا ،هربا الاثنان إلى الحلم والخرافة والفانتازى !  
لا أعرف إذا كان هيرزوج يرمز للسفينة بشيء ما . لكنى وأثق أن الرمز فى أعماقه  
ولا يستطيع التعبير عنه . تماما كما تسأل فنانا تجريديا ، ماذا يقصد بهذه البقعة  
من اللون الأحمر فى لوحته !! لا بد أن تعرف عن هيرزوج أنه لا يهتم بالأفراد . يهتم  
بالجماعات . يقول إن لغة الجماعة أصدق . يهتم بالطبيعة . يقول ان الطبيعة  
لا تكذب . يهتم بالمستحيل . يقول ان المستحيل يحرك طاقة التحدى الكامنة فى  
نفس الإنسان . يهتم بالحلم . يقول ان تحقيق الأحلام فى السينما يعوض الإنسان  
عن أحياءاته فى تحقيق أحلامه اليومية !

وأنا - بالمناسبة - لا يهمنى حجم دورى . انهم يطلقون على « الممثلة اللون » فى  
بعض الأحيان ( ١ ) لأنى أظهر فى بعض الأفلام كبقعة لون ساخنة فى لوحة كبيرة !!  
قلت لكلوديا : لم أرك فى مصر ، عندما جئت ضيفة على مهرجان النقاد وكتاب  
السينما عام ٦٧ ولكنى أذكر أن زميلى الصديق كمال الملاخ سألك عن غيرتك من  
صوفيا لورين .. فقلت له : « نعم أغار منها » ، دعينى أسألك : هم تغارين ؟  
قالت « الزهرة الحنون » وقد سرحت قليلا وعبثت بشعرها « نعم أذكر هذا  
السؤال وأذكر اجابتى ، وقد كان زميلك أمينا فى ترجمة اجابتى القصيرة  
المحددة . فانا لا أخفى غيرتى ! أنا امرأة ، قادمة من الشرق ، هل نسيت أن  
العاطفة جزء من النفس ؟ وعندما كنت أعيش قصة حب عارمة ، لم أكن أتردد  
فى القول « أغار من هذه الشقراء .. » ! أنا واضحة المشاعر . قلت مرة لحبيب  
عرفته « رفض أن يتزوجنى » خذنى فى قاربك نقضى يوما فى هذه الجزيرة  
البعيدة ودعنى أو دعنا نتوهم أننا زوجين ! أنا أغار من ذكاء صوفيا لورين فى

معاملة الناس ! إنها تطنش وتتنازل وتتجاهل .. وتكسب البشر ! أما أنا فساخنة في مشاعري وفي انتقاداتي ولا أخشى شيئا ! أغار من ضوفيا لورين لأنها بجهد أقل تلمع ولا تغيب عن الشاشة العالمية . بينما أنا أتعذب وأتعب وأقرأ أدوارى حتى أكاد « أتحد » بالشخصية وأصاب بالجنون .

قلت للنجمة الإيطالية الأولى : لماذا اخترت دور « عشيقته موسوليني » في فيلم عن حياتها ؟

قالت بحماس منقطع النظير : لأنها كانت تقف وراء كل تصرفات موسوليني الفاشية . كانت تدفعه للحماقة بنية طيبة ! كانت تتنفس حقدا من خلال الفاشي موسوليني . كانت السيدة كلارينا بتناسى عشيقته موسوليني شخصية قوية ، متعددة الوجوه ، فهي الناعمة والقاسية والحاملة والمتعجرفة والمتواضعة في أن واحد ! لقد قرأت عنها كل ما كتب ، وذهبت أنا وزوجى الذى سيخرج الفيلم إلى كل مركز وثائق في العالم يضم شيئا عن حياة موسوليني الخاصة التى اعتبرها دراما كاملة !!

سألت كلوديا - وكنا بعد في السينما : هل عشت « ياسيدتى » تجارب حادة في حياتك تمدك بهذه الطاقة من المعاناة ؟

فجأة غابت - لأول مرة - ابتسامة كلوديا وقالت بصوت منخفض كأنه صادر من « القرار » بلغة الغناء : « الحياة مغامرة . أنا ضحكت وبكيت . رقصت . وتعبت . تبعثرت ، وتمزقت واحترقت ! » .

في سيارة « الاختراع الإيطالى الجميل » كلوديا كاردينالى ، أردت أن أعيد ابتسامتها لعيوننا وكان جمال كامل قد همس لى بأن كلوديا « عيانا تبتسم » وشفتان ترى !!

قلت لها : لو جمعت كل ما كتب عنك ، فسوف أغزل منه ، عبادة حب تضعيها فوق كتفيك ! وضحكت كلوديا بسعادة وسألتنى ماذا قرأت ؟ قلت لها : قرأت أن نجمك الإيطالى المفضل مارشيلو ماسترويانى قال .... ! وقاطعتنى كلوديا وكأنها تحفظ ما قيل عن ظهر قلب : قال ماسترويانى « أخيرا عثرت على فتاة طبيعية بين المنافقين والمجانين الذين يحفل بهم عالم السينما ، فتاة لا تعرف الزيف ! » .

واستطردت كلوديا تقول : « حاولوا في هوليوود أن يطبعوا منى طبيعة مزيفة .. فقاومت ، أسمع النساء في أمريكا معطرات ومرسومات .. لاشئ يمت للصدق بأدنى صلة . ان هوليوود باهرة ولكن بدنى يقشعر من بعض دهاليزها الرخيصة !

وقلت لكلوديا : « ان لى صديقتى هي كاتبة عربية مرموقة أرسلت لى مرة كارت بوستال من هوليوود فيه عبارة واحدة : عزيزى مفيد ، تستحيل الحياة في هوليوود لىيا جميلا يقطر سما ، !

صرخت كلوديا .. وقالت : تشبيه دقيق .. ثم قالت بالعربية التونسية « صح » !!

فجأة - ونحن في السيارة - فى الطريق إلى بيتها ، الذى يحتل أحد تلال المدينة

روما ، أشرقت الشمس ، ففرحت كلوديا بالأطفال ، وقالت « أنا .أعتبر الشمس فردا هاما في أسرتي ، ليس عندي أجمل من سماء صافية تبتت منها شمس . نفتح الشمس ذراعيها وتضمني بود . وأنا صغيرة كنت أترك نفسي لأشعة الشمس تعبت بي ، في الشتاء ، كنت أستلقي على السطوح وأنتظر موعدها الدافئ . عندما جئت إلى روما ، أجلس خلف زجاج النوافذ أنتظرها . وعندما تغيب وتمطر السماء ، أشتاق إليها أكثر ، وأحبها أكثر ! حكايتي مع الشمس .. حكاية » !

« قلت لمعبودة الحب الجديدة ، كما أطلق عليها الشباب الايطالي : سمعت أن الممثل الأمريكى الراحل جون واين قال « اننى أجلب الحظ للممثلات الايطاليات فقد مثلت صوفيا لورين لول أفلامها الأمريكية أمامى وأرجو أن تفعل كلوديا ما فعلته أختها صوفيا » !

ردت كلوديا وقالت : تحققت نبوءة عمى العجوز الراحل !

قلت لها : وأعجبني قول مارلون براندو !

فقاطعتنى وقالت : « قول براندو أحفظه لأنه كان نجمى المفضل قبل أن أدخل دنيا الضوء ولأنه بصورة خاصة يعجبني كفنان . قال براندو كلاما يخجلنى أحيانا عندما أردده ! قال الملعون « انها تبدو هادئة وساكنة ، ولكن يكفى أن تلتقى نظراتنا حتى أصاب بهزة عنيفة » ، ولكى تغطى كلوديا الجميلة - رغم ربيع العمر ، ورغم أنها جدة - على خجلها ، عادت لتتكلم عن الشمس - العناق الوحيد الذى يسلبنى عقلى هو عناق الشمس . وإذا كنت « جميلة » كما يقولون ، فإن بشرتى لوحتها الشمس ورسمتها بعناية » .

بيت كلوديا كاردينالى ، فيه شيء من تونس ، وفيه لوحات ايطالية .. وفيه زهور وخضرة كثيفة تحتضن الغرباء ..

وكلوديا تعد لنا بنفسها « القهوة الايطالي » ، سألتها : هل صحيح انك يوم ما أثرت ضجة عندما ذهبت تقابلين البابا !

قالت كلوديا وهى تضحك : أتذكر هذه الواقعة في عهد البابا الراحل بولس السادس ، كنت أرتدى فستانا فوق الركبة بقليل وعندما جئت أركع أمامه ، سارع البابا وجذبني بحركة ودية ولم أشعر أنه تضايق . ولكن الصحف وجدتھا « مادة » طريفة وقالت أن فستانى يعلو على الركبة بست سنتيمترات وكانهم جاءوا وقاسوه بالمسطرة !!! وضحكنا ... !

جاءتها خادماتها ، تطلب منها نقودا تدفعها لمصور فوتوغرافى التقط لابنها باتريك أكثر من صورة أثناء عطلة الدراسة حيث يدرس في أحد معاهد أمريكا .. وبحثت كلوديا عن حقيقة يدها وقالت بالعربية « فلوس .. فلوس » ، سألتها : ما احساسك بالنقود ؟

قالت بسرعة : « جعلتنى مستقلة رغم أنها السبب في مشاكل كثيرة » ! قلت لها : كم عمر باتريك ؟

قالت : ٢٤ عاما .

قلت لها : وحفيدتك .. ما عمرها ؟

قالت : ثلاث سنوات ونصف !

قلت : ما اسمها ؟

قالت : كلوديا !!

قلت لها : انتاجك في السنوات الأخيرة قل ، هل تلاحظين ؟

قالت « معبودة الايطاليين » : نعم ، لقد اتخذت قرارا بأن أبقى في البيت « أطول » مدة .. لأنه في النهاية مملكة الإنسان التي تشع عليه السعادة أو التعاسة .

لاحظت ان كل الصحف والمجلات الايطالية تقبع في أحد أركان غرفتها الشبيهة بالاستديو ، فسألتها : ما علاقة الفنان بالسياسة ؟

قالت : نحن نعيش في عالم متصارع ، ومن الضروري أن يلم الفنان بحوادث التاريخ اليومية وهي السياسة !

قلت : هناك من اندفعت في شارع السياسة بعنف مثل جين فوندا . وهناك من أصبحت وزيرة في اليونان مثل ميلينا ميركوري ، وقد قابلتها في إحدى رحلاتي الصحفية إلى أثينا !

قالت كلوديا كاردينالي : أعتز بأني فنانة لم « تغتصبني » السياسة بعد ولا أظن انها قادرة على اغتصابي . أشرح لك الأمر ببساطة : إن كل انسان في الحياة له تكوينه الخاص . فهذا بإمكانه أن يحقق جمع ملايين الليرات وذلك عاجز عن تحقيق مئات الليرات . انها قصة تكوين وسلوكيات ومقدرة خاصة . وفي السياسة ، مثل كل شيء ، هناك من هو « مؤهل » لعالمها ، وهناك من « لا يصلح لها » مطلقا مثل !

قلت لكلوديا رأيت برنامجك التلفزيوني ( موعدا يوم الأحد ) وأعجبني فيه شيئين . الأول أنه برنامج استعراضى ذكى من خلال نجمة محبوبة في العالم . الشيء الثانى ، إنه أى البرنامج يعاملك كمملكة متوجة . كل فنان يأتي ضيفا ، يحكى عنك وعن جمالك وأفلامك ويقصص ما تربطك به أو موقف ما لا ينساه لك ! ان كلوديا كاردينالي ، تعرف كيف تضع نفسها بذلكاء شديد غير محسوب ، في أجمل إطار !

ظلت كلوديا تضحك ضحكات الصبى البالغ حديثا وقالت : المرأة الذكية هي التي تتسبك دائما انها ذكية ، ليس كذلك !؟

وهز جمال كامل رأسه بشدة موافقا بلا تحفظ !



د. ك. د. أى كلوديا كاردينالى ، لها آراء فى الحب والزواج !  
مثلا ، قالت فى برنامج تليفزيونى على الشاشة الايطالية : ايمانى بالزواج ليس  
كبيرا ، لانى إذا عشت مع انسان تحت سقف واحد وامتلكته ذهنيا وجسديا ،  
فسوف يموت الحب برومانسيته ! كيف الافلات من هذا المصير ؟ عندما يلتصق  
الانسان بانسان آخر ، فإنه يفقد الرؤية الصحيحة ، ويغفل عيوب من يحب ، بل  
ولا يراها . لابد إذن من الرحيل ... المؤقت !  
مثلا ، تقول كلوديا ردا على سؤال من جمال كامل الذى قال لها : « بعيدا عن  
العواطف السينمائية وقصص الحب المصورة ، كيف ترين الحب ؟ !

قالت « معبودة الحب الجديدة » : إنه قلق معذب ، شيء غير مفهوم ولا معلوم ، ويجب أن تظل جذوة القلق مشتعلة ، يجب أن تكتشف في حبيبك شيئاً جديداً على الدوام ، لأنه في اللحظة التي ستعرف عنها كل شيء ، سيموت الحب !!

عندما قاطعت كلوديا ، لا تختلف معها ولكن لأطلب منها تفسيراً ما ، قاطعتني هي وقالت :

بوصلاتنا قد تختلف في الرؤية ، ولكننا جميعاً نتحرك على خط عرض واحد ، ونخضع لمغناطيسية اجتماعية وتاريخية واحدة !! أنت تعلم كشرقي ، إنه غير مسموح لامرأة شرقية أو حتى رجل شرقي أن « يطرح أعماقه » ! واستطردت كلوديا تقول بحماسها اللذيذ : هناك قولان لسارتر ، أحفظهما عن ظهر قلب .. واحد يقول فيه « اشترى أى شيء .. إلا لمسة حنان واحدة » ! والقول الثانى يقول فيه : « يجب أن يكون رأس الإنسان صلباً ، كى يميز فى روما بين الدين والسحر » !

قلت لها وقد جلست كلاعب كرة بعد مباراة ناجحة : لمسة حنان واحدة ، كيف تشعرين بها ؟

قالت : فى حالات الفرحة ، أحتفى بها من رجل أحبه . وفى حالات التعاسة ، افتقدتها .. بكثافة ! والحنان ، مظهر الحب . أنا - مثلاً - كنت فى حاجة إلى حنان وأنا بعد حبيبة أكثر من الحب . واحد من أصدقاء والدى .. كان يعاملنى بحنان ويشتري لى الشيكولاته ، مقابل قبلة وربما اثنتين ، وعندما كبرت ، فهمت أنه كان يستغل أنوثتى المبكرة !! الحنان ، هو القادر على زيارة مناطق فى أرواحنا لم يدخلها إنسان قط ولا يدرك بها أى مخلوق !

كان المعنى جميلاً ، فصمتنا !  
كان لابد أن أتطرق للحديث عن كاتب إيطاليا الأول « مورافيا الذى كتب كتاباً عن كلوديا كاردينالى .. يحمل اسمها !

إن حوار مورافيا ، معك مثير وغريب ، إنه حوار وحشى ناعم . إن صح التعبير !

وأعجبها وصف حوار مورافيا ، وسألتنى : بم خرجت منه ، كقارئ .. لم تلتق بكلوديا كاردينالى ؟

واعتدلت فى جلستى وقلت : لقد خرجت فى الحقيقة بأكثر من الانطباع ! كانت كلوديا كاردينالى تصفى بعينيها ربما قبل أذنيها !

استطردت أقول متلذذاً بهذا الاصغاء الأنثوى الوقور : الانطباع الأول . إن مورافيا نفسه أديب إيطاليا الكبير وواحد من كتاب العالم المرموقين ، معجب مجنون بدرجة كاتب روائى ! الانطباع الثانى : أنه أراد أن يحلل جمالك كامرأة بنفس مهارة طبيب يشرح جسد امرأة .. أو نحات ينحت جسداً لامرأة عارية ! الانطباع الثالث أنه أراد أن يجعلك رمزا .. للأنى والوفار ، وهى معادلة يندر وجودها فى نساء زماننا . الانطباع الرابع - باقليمية شديدة - أراد أن يقول أن تحت سماء إيطاليا موهبة لامعة ، صارخة الجمال ، مثقفة . أى ببساطة أراد أن يقول هنا فى إيطاليا دون أى بلد أوروبى . امرأة تضرب على أوتار أعصاب أى رجل !! هل أخطأت التحليل !!

قالت « زهرة الحنون » : لا لم تخطئ . انى أشعر بالخجل عندما يبalfنون تصوير جمالى لا أظن أنى مارلين مونرو ، بأنوثتها الجنسية الصارخة ، ولا أظن أنى « ب.ب » بفتنتها الطاغية التى صنعت فى فرنسا !



قلت لكلوديا : لقد أراد مورافيا أن يقول ان مواهبك كامرة « تحت الجلد » .  
انها الدفء والحنان الفياض والأنوثة الغامرة بمعناها الواسع !  
قالت « معبودة الحب الجديدة » : لم افكر يوما ما أن أحتل عرش الاغراء .  
فأنا - بكل المقاييس - لست ممثلة اغراء !  
قلت لكلوديا وأنا أنتهز فرصة سخونة الحوار : إن مورافيا يتفضل غزلا وقحا  
ولكننا لانراها « وقاحة » لأنها صادرة من كاتب كبير له قراؤه وجمهوره  
وسمعه !

مثلا انه يصف شعرك بقوله : « إنه شعر خجول تسير تموجاته مع خطوط  
جسدك » . إنه يصف أنفك بأنه « أنف صغير ولكنه مميز وذو شكل كلاسيكي  
تمتزج به شهوانية عصرية ، وفمك مرفوع كفم النساء اللاتي كان يرسمهن  
، ميكائيل أنجلو » ، ويصفك في موقع آخر بأنك تملكين شيئا من الوحشية البدائية  
تماما مثل موديل أنجلو من القرويات ! ويصف ضحكك بأنها تنفجر لتخفى  
أنوثتك المتبقية دائما . ويصف صدرك بأنه « مرتفع وثابت ومرسوم بعناية »  
ويصفك وأنت تسيرين « إن مشيتك الغريبة لها شخصية بسبب أردافك المستقلة  
بعض الشيء . ان هذا علامة مميزة لجسدك ! ويتوقف عند ساقيك فيقول :  
« إنهما تحيلتان وقويتان والعلاقة بين الركبة والفخذ ، علاقة ناعمة ولا نفور بين  
الاثنتين » !

قالت كلوديا كاردينالي بخجل شديد : « نعم ، حدث هذا الحوار وقد قال  
مورافيا بعد أن مثلت له فيلم « اللامبالون » اننى استنطقت جسدك  
الأخرس ! إن أعمال مورافيا تتأسبنى . إنه يقوم بعملية تشريح لا مثيل لها ،  
إنه يعرى الأشياء .. يوضح العلاقات .. يصدك دائما !! إن كاتب « السأم »  
ود فتاة من روما « هو أقرب إلى الطبيب الجراح منه إلى .. الروائي !! إنه  
الكاتب الوحيد في العالم الذى تهزه « عدالة الإنسان نحو الحيوان التى تفوق  
عدالته مع أبناء جنسه » . انه الكاتب الوحيد الذى يرى أن « الجنس هو تاج  
الحب » ! إنه الكاتب الذى يقول للمرأة « تنفسى كائنتى . تصرفى كائنتى وإلا  
كنت حية .. ومحنطة » !

وسكنت كلوديا لتقول : بعد فيلم ٨١/٢ للمخرج العبقري فيليليني ، قال  
مورافيا : « ولدت ممثلة تستطيع ايطاليا أن تصدرها للعالم ، وبدأ اهتمامه  
بى » . يكفى أنه وقف بجوارى في وقت كادت بعض جراحي الخاصة أن تقتلنى  
وتهبط بى إلى الدرك الأسفل . يوم قلت عن ابنى انه أخى لأخفى حبا . يوما  
نشرت الصحف وثيقة زواجى دون علمى ! لم يكن كاتباً ، كان صديقا كبيرا .  
ومازال !

جهاز التسجيل هو الآخر « يعتفى » بصوت « معبودة الحب الجليلة » ، كلوديا  
كاردينالي . هذا هو الشريط الثالث الذى أغیره .  
وربما يضم هذا الوجه من الشريط الثالث ، ملامح تكمل بقية اللوحة التى  
حاولت أن أسافر فى أغوارها !

تقول لى كلوديا كاردينالي : ماذا جرى للرجال ؟ فى الماضى كانوا يحدقون فى  
صدر المرأة ، ثم تحولت نظراتهم الى سيقانها بعد أن كشفت الموضة عن مفاتن  
الركبة ، ولكن المثير حقا أنهم أصبحوا ينظرون الآن الى وجه المرأة تقول لى :  
« الاختراع الايطالى الجميل » : وأنا أمثل ، أنسى كلوديا ، وأعيش  
الشخصية ، لدرجة انى فى ريو دى جانيرو بالبرازيل ، اشتعلت فى أصابعى  
النار وأنا أشعل عود كبريت لسيجارة فى فم حبيب غادر ! أشعلت اللعبة كلها ..  
وأنا أسأله : لماذا غدرت بحبى !!

تقول لى « النجمة الايطالية الاولى » : كنت سعيدة بعد أن مثلت مع توتى كيرتس فيلم ( لا تكن متقلبا ) الذى كان يتحدث عن مجون الشباب الأمريكى وموجات هوسه وقلقه . مبعث سعادتى أنى استخدم « الصورة » فى كلمة حق تقال .. بلا مباشرة !

تقول لى الجميلة ( ك.ك ) : لقد بعث يوما مذكراتى لمجلة جور دى فرانس .. الفرنسية مقابل خمسة آلاف استرلينى ، لأنفق على نفسى وأعيش بكبرياء !

تقول لى كلوديا ( الانثى الوقور ) : انام ٨ ساعات . وأحب الجرى . ولا أثق بسرعة فى الناس ، وأتعامل معهم بحذر . ولا أكره فى الصحافة مثل هبوب زوايعها عند زواج أوطلاق أوحب ممثلة . كأنها ليست امرأة وإنسانة ، لها قلب ينبض مثل سائر الناس !

تقول كلوديا « الجدة والزوجة » : لا أريد أن أقحمك فى مشاكل الخاصة .. كزوجة ، فأنا قد عشت حياتى دون أن أصنع احساسى يوما ما ، بالزيف . هذا يكفينى !! هذه الشجاعة من امرأة ، ليست مستحبة دائما . الرجال يخافون من هذا النمط البشرى . يقولون عنه أنه « متحرر للغاية » . حتى أنت من الممكن أن تقع فى هذا الخطأ !

تقول كلوديا الايطالية عن روما الجميلة : « فى روما .. تسافر الحضارات إليك وتقع فى أروقة المتاحف والمعارض .. تنتظرك » ! وأنا أحب روما لأنى من عشاق « الأمكنة » .

أعترف لكم أن « اختراع إيطاليا الجميل » كلوديا كاردينالى ( ٤٣ ربيعا ) لا تضرب على أوتار أعصاب الرجل كما قال مورافيا .. ولكنها « تغازل » العقل أيضا !



## فهرست

الصفحة	
٣	١ - الاهداء .....
٧	٢ - يحيى حقى .....
١٥	٣ - احسان عبدالقدوس .....
٣٧	٤ - د. زكى نجيب محمود .....
٤٧	٥ - فتحي غانم .....
٥٥	٦ - نزار قباني .....
٧١	٧ - طفولة سعاد الصباح .....
٧٩	٨ - الطيب الصالح .....
٨٧	٩ - غادة السمان .....
٩٥	١٠ - د. سعيد عبده .....
١٠٥	١١ - حيدر محمود .....
١١٣	١٢ - سلمى شلاش .....
١٢١	١٣ - عبدالمنعم الرفاعي .....
١٣١	١٤ - صلاح عبدالكريم .....
١٤١	١٥ - بلند الحيدري .....
١٤٩	١٦ - فيروز .....
١٥٥	١٧ - فائق حمامة .....
١٦٣	١٨ - عادل امام .....
١٧١	١٩ - الفريد فرج .....
١٨١	٢٠ - سميرة ايوب .....
١٩٩	٢١ - فريدة فهمي .....
٢٠٧	٢٢ - محمد عبده .....
٢٢٣	٢٣ - نضال الاشقر .....
٢٣١	٢٤ - اينوك ايميه .....
٢٣٩	٢٥ - كلوديا كاردينالي .....



---

رقم الابداع ٩٢/١٠٣٧٣

I. S. B. N

977. 08 - 0419 - 3

---





## « مواف »

ليس الصحفي المارع الصديق مفيد فوزى في حلجة الى دليل جديد يؤكد اقتداره على فن الحوار .. فهو يود أن يدري من المص تلاميذ استقلنا العظيم سقراط .. استقلنا اسقطة الحوار الفلسفى في كل العصور .. وكان سقراط وهو ابن « دابة » يقول انه يمارس مهنة والدته في الحوار .. فهو يولد بفنات الفكر من عقول الذين يحاورونه .. وكان يؤمن بأن كل المعنى موجودة في عقل الإنسان .. وانه - بالحوار - يذكره فقط بهذه المعنى التى يعرفها .. فهو موجوده هنا .. اجنة تكبر وتنتهيا للولادة .. والصديق مفيد فوزى رئيس تحرير صباح الخير قد صنفنا البراعة في الحوار في التلفزيون وفي الاذاعة في منطوراته وشقوته الصحفية .. وفي الاحاديث التى اجراها معى عن الرئيس السادات التى استدرجنى وزحلقتى وقومت وحلول هو ايضا .. ولكنى لم اقل إلا ما اردت أن أقول وإلا الذى يصح أن يقال .. وإلا القليل جدا مما أعرف .. واعتزف بأن مفيد فوزى كان امينا في كل ما كتب .. وهو نموذج للفنان الذى يعشق عمله والذي يحرص على سمعته المهنية والفنية .. فلم يضع على لساني ما لم اقل وكنت براعته في أن اشر الى الوقوف الملحى والهبوط الاضطرابى في كل الانطلاقات الخيالية والوجدانية .. وقد سألنى عن الكثير جدا .. واجبته الى كل ما طلب .. المهم اننى اجبت بكلمة او بمفظة كلمة .. ولكنى اجبت ولابد ان الذى يؤرخ للعظماء - لانهم عظماء - سوف يجد صعوبات كثيرة .. من بينها أن أكثر الذى يعرفه شخصى .. والعهد على المؤرخ والفننى انه لا يوجد عندنا « توليق » لكل ما يدور بين العظماء والمقربين منهم .. ولا حتى بين هؤلاء العظماء ومن يلقونهم من العظماء الآخرين أو كبار المسئولين .. ولذلك فلذى يؤرخ لعظمائنا يعتمد أولا على ثقة القارئ فيه .. فإما أن يصدقه أخلاقية .. مسألة ضمير المؤرخ الذى تربطه صلة شخصية بالرجل العظيم .. وبمنطق الأحداث أو منطق الشخصية .. وبمنطق القليل الذى قلت ومفيد فوزى كذلك !

أنيس منصور

الأهرام ٢٦ يوليو ١٩٩٠

